

عَلَى
أَبْنِ الْكَأَبِ وَنَشِئَةٍ

تأليف
مُحْسِنِ الشَّكْرِي



دارُ المَوْزِعِ الْعَرَبِيِّ
بِهَرَمَت - دِمَشَق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

علي
في الكتاب

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

علی

فی الکتاب و العیون

تألیف
حسین الشاکری

المجلد الثالث

دار المورخ العربی
بیروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

دار المنور في العراق

بيروت - ص ١٢٤ / ٢٤ - تلخيص ٤٠٥١٢ كمك - ت ٨٤٣ - ٨٢٠

الإهداء

إلى حامل اللواء
إلى حامي الحمى
أرفع لمقامك السامي
صحائف ولائي وبضاعتي المزجاة
راجياً التفضل بالقبول والإحسان

حسين الشاكري

تفضّل سماحة العلامة المجاهد حجة الإسلام والمسلمين الشيخ
حسن نجل العلامة الجليل آية الله الشيخ محمد تقي الجواهري النجفي
بهذه الكلمة القيمة والديباجة الرائعة ، لمقدمة الجزء الثالث من كتابنا
« عليّ في الكتاب والسنة » في بحث مفصل تناول الحديث وما يدور في
فلكه ، ونظرة علماء الحوزة الشيعية بذلك .

فله الشكر واصباً، وحيا الله العلماء ونقلة الحديث .

المؤلف

حسين الشاكري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وبعد :

فإن هذه الموسوعة التي بين أيدينا ، « عليّ في الكتاب والسنة » هي خطوة نحو جمع الآثار الإسلامية « لا على سبيل الحصر » المتعلقة بشخصية إسلامية لها وزنها الكبير في المميزات ، كما أنّ لها وقعها المؤثر في اللسان ، تلك الشخصية التي نجا بواسطتها جمعٌ غفير ، وهلك بواسطتها جمعٌ غفير ، فمن نجا بتلك الشخصية ، هو الذي أعطاها حقها كما أعطاها حقها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ، ومن هلك بتلك الشخصية هو من عاداها ، أو بالغ فيها إلى حدّ الألوهية فخرجوا عن الإسلام بهما ، ولذلك فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : « يا علي يدخل النار فيك رجلان : محب مفرط ، ومبغض مفرط ، كلاهما في النار »^(١) .

وقد احتوت هذه الموسوعة على موضوع واحد له ثلاث مراحل :

١ - ما نزل في عليّ عليه السلام ، على أنّه المصداق الوحيد أو

(١) البحار للمجلسي ج ٤٠ ص ٧٩ .

أظهر المصاحيق من الآيات القرآنية ، فكان هذا هو الجزء الأول .

٢ - ما روي في علي عليه السّلام من ولادته في الكعبة إلى يوم التحاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى فكان هذا هو الجزء الثاني .

٣ - ما قيل في علي عليه السّلام ، ابتداءً من يوم السقيفة إلى يوم استشهاده عليه السّلام في مسجد الكوفة والصلاة بين شفّته في محراب العبادة ، فكان هذا هو الجزء الثالث .

وقد ألحق الأستاذ المؤلف بهذا الجزء الثالث نبذة من تاريخ المرقد الطاهر وعن مدينة النجف الأشرف وما فيها من خصوصيات مهمة .

وقد استطاع الأستاذ الكاتب أن ينسب هذه الأحاديث والمجريات إلى مصادرها الإسلامية ، « شيعية وسنية » وبهذا فقد سدّ الطريق على إنكار ورودها في المصادر المهمة لدى الفريقين ، ولهذا تكون هذه الموسوعة إسلامية بصفة عامة .

« النقاط المهمة »

ولا بدّ للباحث في هذه الموضوعات من الالتفات إلى نقاط مهمة نورد بعضها ، وهي :

أولاً : إنّ الشيعة الإمامية تأخذ بمنهج العقل كأحد الأدلة على الحكم الشرعي ، كما تأخذ بمنهج النقل الذي يشترط في قبول النقل شروطاً مهمة أهمها :

أ - الشهادة بوثاقة الراوي بواسطة العلماء المعاصرين للرواة أو القريبين العهد بهم بحيث تكون شهادتهم بالوثاقة أو بغيرها حسية .

ب - عدم مصادمة الخبر للقرآن الكريم وللسنة المحمدية الثابتة بالتواتر .

ج - عدم مصادمة الخبر للعقل .

وبهذا المنهج تختلف الشيعة عن السلفيين الذين يعتمدون على خصوص النصوص النقلية التي دخلتها أيدي التحريف والوضع ، فوضعت الخرافات والأوهام والإسرائيليات ، فوجدت الشخصيات الخيالية « كعبد الله بن سبأ » الذي صنعه « سيف » الوضع كما صنع العشرات من الصحابة الخياليين لغرض الإفساد في الإسلام .
وبهذا المنهج الشيعي يتمكن الباحث في الروايات من تمييز الروايات الصحيحة عن السقيمة أو المقبولة عقلاً من غيرها .

ثانياً : إنّ الأمانة العلمية تقضي على كل باحث أن ينسب القول أو الرواية إلى المصدر الذي استقى منه ، سواء كانت تلك المصادر « شيعية أو سنية » ، وهذا هو الذي حصل في هذا الكتاب الذي بين أيدينا « وهو من اللوازم الأساسية لنجاح الكتاب وقبوله بين القراء المثقفين ، والعلماء العاملين ، ولكن ينبغي أن ننبه أنّ ما بين دفتي الكتاب ليس من اللازم أن يكون عقيدة من عقائد الشيعة الإمامية ، فإنّ لعقائد الشيعة الإمامية كتباً خاصة ذكروا فيها عقائدهم مسندة بالدليل ، فمن أراد أن يعرفها فعليّه أن يراجع تلك الكتب المدوّنة في عقائد الإمامية^(١) حتى لا يسلك شططاً أو يفعل عبثاً كما وقع لبعض الباحثين الذين أخذوا عقائد الإمامية من أعدائهم أو من كتب الحديث الجامعة للتراث الذي نُسب إلى الأئمة أو النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ، وأخذ يتهم ويكيل السبّ والشتم ، وهو أسلوب غير إسلامي ، لأجل أنّ رواية ما قد أدرجت في موسوعة حديثية ، ليس الكاتب قد اعتمد عليها ، وإنما حفظها من الضياع والاندثار للأجيال القادمة .

(١) منها عقائد الإمامية / للحجة الشيخ محمد رضا المظفر ، ومنها أصل الشيعة وأصولها / للحجة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء .

ثالثاً : يجب أن نضع بين أعيننا قاعدة « لا يجوز الاجتهاد في مقابل النص » فإن هذه القاعدة قد اتفق عليها الطرفان ، وحتى من يقدّر ويقدّس الأشخاص (الذين خالفوا النصوص واجتهدوا) اضطر آخر الأمر إلى القول بهذه القاعدة ، فقد أقرّ هذه القاعدة مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة ، وفي القرار الثالث الذي أصدر بشأن الاجتهاد وأنه من ضرورة العصر ولا بدّ منه ، فجاء في الفقرة الخامسة « أن تراعى قاعدة « لا اجتهاد في مورد النص » وذلك حيث يكون النص قطعي الثبوت والدلالة ، وإلاّ انهدمت أسس الشريعة » (١) .

وأما الشيعة فهذه القاعدة عندهم أساسية يبنّي عليها أساس كل الأحكام الشرعية من عبادات ، ومعاملات ، وسياسات وغيرها ، وبهذا يُسطلون كل اجتهاد قام على مخالفة النصوص النبوية والقرآنية ، إذن فلتكن هذه القاعدة ركناً أساسياً في بحث هذا الكتاب ، نرجع إليها في كل واقعة خولف فيها النص واجتهد فيها مجتهد ، لنحسب عليه رقماً في نهافت أعماله وخطأه « وحسابه عند ربه » فإننا لا نقصد من هذه القاعدة التجريح أو التشهير بأفراد قد مضى عليهم وعلى حياتهم مئات السنين ، بل نقصد من ذلك تنبيه الأمة إلى وقوع أخطاء في زمن مضى يجب على الأمة ورؤسائها أن تُفادّوها ، فيما يأتي من الزمان وتقدي النصوص وترك الاجتهادات في مقابلها ونطلب من الأمة أن ترجع إلى وعيها وتطبق الأحكام والتشريعات التي فيها النصوص الشرعية ونقل : إن الأوائل قد أخطأوا في مخالفتهم النص ليس إلّا .

(١) قرارات المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي من دورته الأولى ١٣٩٨ هـ حتى الدورة الثامنة لعام ١٤٠٥ هـ الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ ص ١٦٠ .

عليه وآله وسلم أحاديث تختلفون فيها ، والناس بعدكم أشد اختلافاً ، فلا تحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله ، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه ^(١) .

نقول : وطبيعي كم يكون حالنا شيئاً إذا تركت كتابة الحديث والاستفادة منه ، فإن السنة إذا ضاعت ضاع مفسر القرآن ومفصله ، فحتى صلاتنا وعدد ركعاتها لا يمكن معرفتها من القرآن لوحده من دون السنة .

ويقال - كتأييد لهذا المسلك الذي لا يجذب أن يكتب الحديث - : إن الكثرة التي ذكرت في الأحاديث مشتملة على وضع الأحاديث على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد رأى الخليفة أن يحرق الحديث خشية أن يدخل في السنة ما ليس منها .

والجواب : إن هذا الطريق لمنع الوضع على رسول الله صلى الله عليه وآله ، قد قارنه ضياع السنة بتحريق الأحاديث الصحيحة ، وبالإمكان معرفة الصحيح من السقيم بوضع قواعد أساسية للتمييز بينهما ، منها وثاقة الراوي وحفظه وعدم نسيانه مثلاً ، أو معاقبة من يروي الأكاذيب إذا ثبت كذبه ، وبهذا نكون قد حفظنا السنة من الضياع ووضعنا عائقاً من وضع الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا الطريق هو الصواب . إذن نحن بحاجة ماسة إلى كتابة الحديث ، ونشره بين المسلمين ليتضح القرآن به ، ويُفصل ما أجمل فيه ، وقد قال تعالى : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ ^(٢) فما ثبت أنه من الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجب الأخذ به لأنه صلى الله عليه وآله

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي بترجمة أبي بكر ١/٢ - ٣ .

(٢) سورة النساء : آية ٥٩ .

وسَلَّمَ ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾^(١) .
فوائد هذه الموسوعات :

ومن فوائد كتابة الحديث أو هذه الموسوعات التي تجمع لنا ما روي عن الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّمَ :

أولاً : حفظ التراث من الضياع أو التحريف ، فإن التراث الإسلامي المتمثل في السنة الشريفة إذا لم يهتم به ويقدم للناس كزاد ثقافي وعلمي وأدبي واجتماعي ، وكمسلك في حياتهم اليومية عملاً وقولاً فإن الأمة الإسلامية تكون بدون ميزة تمتاز بها عن بقية الأمم التي تعيش على الأرض ، وبهذا تخضع للمؤثرات والأفكار الخارجة عن الإسلام أو المناهضة له ، وبالنتيجة تتلاشى هذه الأمة فكراً وعقيدة وسلوكاً إسلامياً ، وتفقد كل مميزاتها التي أراد الله لها أن تمتاز بها عن بقية الأمم وتكون الأمة الوسط والحاملة للواء الحرية والتقدم والازدهار .

فالباحث الذي يغور في بطون أمهات الكتب ليقدم لنا سلسلة من الروايات يكون موضوعها واحداً أو يسند هذه الأحاديث إلى مصادرها من أمهات الكتب القديمة والحديثة من الطرفين « شيعية وسنة » يكون قدّم لنا الخير الكثير الكثير ، من العلم والحكمة والأدب والأخلاق وما يتبعها من تشريعات إسلامية تميّز هذه الأمة الوسط عن غيرها من الأمم بهويتها ومميزاتها الإسلامية ، لأن هذه الدرر النبوية ، والقرآنية هي التي توصل الإنسان - إذا عمل بها - إلى قمة الكمال الإنساني الذي أراده الله تعالى للبشرية المظلومة في هذا الزمان حيث أبعدنا قسم من البشر الذي يخضع لشهواته ويطلق لها العنان فيكون بعيداً عن التقوى والهدى والعدالة التي أمر الإسلام بالتمسك بها .

(١) سورة النجم : آية ٣ ، ٤ .

ثانياً : إنّ هذه الموسوعات تقدم الزاد الفكري والثقافي للعلماء الأعلام ليفحصوا هذا الزاد المقدم لهم والمنسوب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو إلى المعصوم عليه السلام في (تفسير آية أو إعطاء حكم أو موعظة - أو نصيحة أو سلوك ينبغي لنا أن نتقيد به كمسلمين ملتزمين بمبادئ الإسلام) . وطبيعي قد جعل العلماء الأعلام رضوان الله عليهم قواعد لمعرفة الصحيح من السقيم ، وإليك نموذج عن تلك القواعد :

أ - يؤخذ بالرواية عن النبي أو المعصوم عليهم السلام إذا كانت موافقة للقرآن الكريم أو السنة النبوية المعروفة عن نبي الإسلام ، فإنّ الرواية تكون حجة كما كان القرآن الكريم أو السنة النبوية حجة يجب العمل به .

ب - يؤخذ بالرواية إذا كانت غير مخالفة للقرآن والسنة بشرط أن يكون رواتها من الثقات الذين لا يكذبون في الأحكام الشرعية ، لما ثبت في محله من حجية هذه الروايات . فقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ ^(١) ، ولعل ظاهر الآية ردع لما كان موجوداً من اتباع خبر الفاسق ^(٢) ، أما إذا كانت الرواية المخالفة للقرآن والسنة ، قد رواها بعض من لم تثبت وثاقته ، إما بأن كان فاسقاً (أي كاذباً) أو مجهولاً فلا تكون هذه الرواية حجة لما ثبت في محله أنّ الحجية هي للخبر الذي يرويه الثقات فقط .

(١) سورة الحجرات : آية ٦ .

(٢) الردع لخبر الفاسق بما أنه غير مؤتمن في النقل ، ومن مفهوم الشرط نفهم الإقرار على الأخذ بخبر غيره .

ج - إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن أو السنة النبوية وكان رواتها من الثقات إلا أنها تتصادم مع العقل بأن كانت تخالف إحدى البديهيات المقبولة للعقل فحينئذ لا تكون هذه الرواية حجة ، بل نقدم عليها النص القرآني والسنة الثابتة وما يقبله العقل .

د - إذا كانت الرواية معارضة للقرآن الكريم أو السنة الثابتة فلا يؤخذ بها وإن كان الرواة كلهم من الثقات لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن الرواية يجب عرضها على كتاب الله فما عارض كتاب الله فيضرب به عرض الجدار وأنه زخرف باطل .

هـ - إذا كانت الرواية يرويها جماعة عن جماعة عن جماعة وهكذا بحيث يتمتع تواطؤهم على الكذب عادة ، فمثل هذه الرواية تفيدنا العلم بمضمونها ، وطبيعي أنّ هذا العلم يجب العمل على وفقه لأنه منجز للتكاليف التي قام العلم عليها .

ولا أظن أنّ هذه الأمور المتقدمة هي مورد شك أو مناقشة ما دام الذين ألفوا الكتب من السابقين هم من البشر الذين يخطئون وينسون وربما يكذب بعضهم فلا يوجد لدى أي طائفة من المسلمين كتبٌ معتبرة وصحيحة وبقينة إلا الكتاب الكريم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وحينئذ تكون كتب الروايات عند المسلمين كلها خاضعة للتحقيق من ناحية السند والمتن كما تقدم .

وربما هناك سبب آخر يجعلنا نتمسك بالتحقيق فيما يروى من روايات ألا وهو وجود غاية دينية أو دنيوية في وضع الحديث ، وقد صرح البعض^(١) بوضعه روايات كثيرة في هذا الدين ، وبعضهم لم يصرح بهذا

(١) راجع كتاب (أضواء على السنة المحمدية) لمحمود أبو ريّة / في بحث الوضع في الحديث وأسبابه ص ١١٨ ذكر العلماء أنه لما أخذ ابن أبي العوجاء ليضرب عنقه =

الأمر وقد فعله ، فما على المسلمين من علماء وكتاب إلا أن يتحققوا في الكتب التي جمعها من سبقهم ، فيقبلوا ما انطبقت عليه علامات الصحة ، ويذروا ما لم تنطبق عليه تلك العلامات .

وعلى هذا الأساس فلا يجوز أن نجعل أمام أعيننا كتباً نحكم بصحة كل ما فيها مسبقاً ، (كالكافي ، وصحيح مسلم ، والبخاري ، أو من لا يحضره الفقيه أو غيرها) فإن الأمانة في البحث للوصول إلى الحقيقة تدعونا أن ندقق في كل رواية رواية بالموازين المتقدمة .

ولذا ، فإن أكثر الشيعة الإمامية لا تعتبر أي كتاب - عدا كتاب الله - من أوله إلى آخره صحيحاً وما يمكن أن نذكره كدليل على ذلك عدة أمور :

أولاً : انتخب بعض العلماء من الأحاديث التي يراها صحيحة برأيه وهذا الأمر يدل على أنّ الروايات في الكتب القديمة لا يمكن الاعتماد عليها بصورة عمياء من دون دراسة واعية لسندها أو متنها بل لا بدّ من التريث والدقة في هذا الفكر المروى عن النبي والأئمة عليهم السّلام ليعرف الصحيح من السقيم ، لذا قام :

أ - العلامة الحلي - الحسن بن يوسف المتوفى سنة ٧٢٦ هـ - بانتخاب قسم من الأحاديث ودونها في عشرة أجزاء بكتاب اسمه (الدر والمرجان في الأحاديث الصحاح والحسان)^(١) .

ب - وقد قام العلامة الحلي أيضاً بانتخاب الأحاديث الصحاح

= قال : « وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل الحرام » ، راجع المجلد الثالث من مجلة المنار .
(١) الذريعة / حرف الدال / ترجمة الكتاب .

حسب رأيه واجتهاده ، ودَوَّنَه بكتاب اسمه (النهج الوضّاح في الأحاديث الصحاح)^(١) .

ج - أن الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني المتوفى سنة - ١٠١١ هـ - انتخب جملة من الروايات ودَوَّنَها في كتاب سماه « متقى الجُمان في الأحاديث الصحاح والحسان »^(٢) .

ومن الملفت للنظر أن هذه الكتب رغم تصريح أصحابها بأنها روايات صحيحة كلها أو حسنة ، إلا أنها لم تتداول في الحوزات العلمية الشيعية وأن علماء الطائفة لم يعتدوا بها وإنما اعتبروا عملها اجتهاداً شخصياً رغم اشتهاار مؤلفيها عند الطائفة واشتهاار كتبهم (غير هذه الكتب) مثل كتاب معالم الأصول للشيخ حسن ابن الشهيد الثاني ، وهو أول كتاب دراسي يدرسه طلاب أصول الفقه وقد عرف مؤلفه بصاحب المعالم ، ولكن كتبهم التي ألفوها في الأحاديث الصحيحة والحسنة قد لا يعرفها أكثر علماء الطائفة ، والسّر في ذلك هو : أن شهادتهم بتوثيق رجال السند أو مدحهم بحدّ لم يصل إلى حدّ التوثيق كان بسبب اجتهادهم ، لا بسبب الحسن الذي هو المقبول عند الشهادة بالوثاقة ، فكم هناك فرق بين أن يشهد إنسان بوثاقة آخر حدساً أو يشهد بوثاقته حدساً لأنه عاشره وزامنه أو كان قريباً من زمانه بحيث يشهد بوثاقته حدساً عن زامنه وعاشره ، فالشهادة الأولى غير معتبرة ، والشهادة الثانية الحسنة أو القرينة منها هي المعتمدة .

وعلى ما تقدم نرى أن النقد لا يتوجه إلى من جمع لنا الأحاديث (في موسوعات حديثة) لو وجد في تلك الموسوعات بعض الأحاديث

(١) الذريعة / حرف النون / ترجمة الكتاب .

(٢) الذريعة / حرف الميم / ترجمة الكتاب .

الضعيفة لأن تلك الموسوعات قد ألّفت لحفظ الحديث من الضياع (كلُّ في بابهِ) ليصل إلى الأجيال الآتية بسلامة وأمن من التلف والتزوير .

ثانياً : نقدم إليك أقوال علماء الطائفة في الكتب الأربعة ، وبما أن أقدم هذه الكتب هو كتاب الكافي للكليني (رحمة الله عليه وأعلى الله مقامه الشريف) فنبدأ بذكر ما قاله العلماء فيه ، وقد حوى هذا الكتاب (١٦ ، ١٢١) حديثاً ، وقد ذكر محدثو الطائفة أن فيها (٩ ، ٤٨٥) حديثاً ضعيفاً ، وهناك كتاب ألفه أحد علماء الطائفة وهو المجلسي (رحمة الله عليه) لشرح كتاب الكافي واسمه (مرآة العقول) يذكر تقيّمه لأحاديث الكافي ، فيذكر ضعف ما يراه منها ضعيفاً .

وقد ألّف في عصرنا كتاب اسمه (صحيح الكافي) اعتبر من مجموع (١٦ ، ١٢١) حديثاً من أحاديث الكافي (٤ ، ٤٢٨) حديثاً صحيحاً وترك (١١ ، ٦٩٣) حديثاً لم يراها بحسب اجتهاده صحيحة^(١) .

وقد ذكر بعض العلماء فقال : « وأما ما قيل من أن المهدي عليه السّلام قال : إنّ الكافي كافٍ لشيئتنا ، فإنه قول مجهول راويه ولم يسمع أحد اسمه ، ويدل على بطلانه تأليف مئات الكتب الحديثية بمدرسة أهل البيت بعد الكافي مثل من لا يحضره الفقيه ، ومدينة العلم ، والتهذيب والاستبصار ، والبحار ، ووسائل الشيعة ، وجامع أحاديث الشيعة إلى غيرها » .

وإذا راجعت ما كتبه علمائنا الأعلام حول الكتب الأربعة تجدهم

(١) صحيح الكافي - لمحمد باقر البهودي / طبعة بيروت سنة ١٤٠١ هـ وبما أن المؤلف اعتمد في تصحيح الأحاديث على تصحيحات ابن الغضائري في كتاب الرجال المنسوب إليه ، وكان علماء الدراية والرجال ينكرون وجود كتاب كهذا لابن الغضائري / فلم يكن عمله مقبولاً في الحوزات .

يثبتون ما تقدم بالنسبة للكتب الأربعة (من أنهم بصدد جمع الأحاديث المناسبة لكل باب) فاقترضت الأمانة العلمية في النقل أن يدونوا كل ما انتهى إليهم من أحاديث لأن الأمانة العلمية تفرض عليهم أن لا يكتموا حديثاً على الباحثين من الأجيال القادمة من أجل أنهم يروونه ضعيفاً .

وإليك ما ذكره الإمام السيد الخوئي في كتابه معجم رجال الحديث تحت عنوان (روايات الكتب الأربعة ليست قطعية الصدور) وقد أفاض تحت هذا العنوان وردّ جميع ما يمكن أن يستدل به لكون ما في الكتب الأربعة قطعية الصدور فقال مما قال : « إذ كيف يمكن دعوى القطع بصدور رواية رواها واحد عن واحد ، ولا سيما أن في رواية الكتب الأربعة من هو معروف بالكذب والوضع »^(١) ، « وهذا حذيفة بن منصور قد روى عنه الشيخ بعدة طرق منها : ما رواه بطرقه المعتبرة عن محمد بن أبي عمير عنه رواية : إن شهر رمضان لا ينقص عن ثلاثين يوماً »^(٢) ، ثم قال : « وهذا الخبر لا يصح العمل به من وجوه : أحدها أن متن هذا الحديث لا يوجد في شيء من الأصول المصنفة ، وإنما هو موجود في الشواذ ، من الأخبار ، ومنها : أن كتاب حذيفة بن منصور عرّي منه ، والكتاب معروف مشهور ، ولو كان هذا الحديث صحيحاً عنه لضمنه كتابه » إلى آخر ما كتبه الشيخ الطوسي (قدس سره) .

ثم قال السيد الخوئي حفظه الله : « فالشيخ الطوسي نفسه (قدس سره) يناقش في صحة هذا الحديث عن حذيفة مع أن في روايتها عنه محمد بن أبي عمير ، وقد رواها الشيخ الطوسي عنه بطرق معتبرة ، ولا يكون منشأ ذلك إلا احتمال وقوع السهو والاشتباه من الرواة ، فإذا كانت

(١) ج ١ ص ٢٢ .

(٢) التهذيب ج ٤ باب علامة أول شهر رمضان وآخره حديث ٤٧٧ - ٤٨٢ .

مثل هذه الرواية لا يحكم بصحتها ، فما حال الروايات التي يرويها الضعفاء أو المجهولون ،^(١) .

ثالثاً : إنّ الفائدة الثالثة لهذه الموسوعات الحديثية - بالإضافة إلى فائدها الجليلة في الاختيار والترتيب والتنسيق ونسبتها إلى مصادرها الأم - هي سدّ الطريق أمام من لا ينتهج الحق في كتاباته بل يتبع السلطان ، فإنّ بعض الكتاب يظهرون علينا بكتاباتهم متناسين - عن قصد أو جهل - كل ما قيل في شخصية الإمام علي عليه السّلام من قرآن وسنة ، وينزلون بعلي عليه السّلام إلى مستوى الرجل العادي من المسلمين ، ولهذا قالوا في علي عليه السّلام وبيعته من الخليفة الأول أبي بكر كما ذكر ذلك ابن الأثير « إنّ علياً بن أبي طالب كان في بيته إذ جاءه من نبأه أن أبا بكر جلس للبيعة ، فخرج في قميص له ما عليه إزار ولا رداء عجلأ كراهية أن يبطىء عنها حتى بايعه ثم جلس إليه ، وبعث إلى ثوبه فاتاه فتجلله ولزم مجلسه »^(٢) ، ويقول آخرون : إنّ علياً عليه السّلام بايع أبا بكر كما بايعه غيره وارتضى به خليفة كما ارتضاه غيره^(٣) . وبهذا الكلام قد سدل الستار على وقائع تاريخية كبيرة لها أثرها الخاص في معرفة الإسلام المحمدي الخالص فمن تلك الوقائع التي أرادوا سترها :

أ - تخلف علي عليه السّلام عن البيعة لأبي بكر لينبه الذهنية الإسلامية إلى الحق المغلوب على أمره وأخذ إلى البيعة بعد ذلك أخذاً وقد كتب معاوية فيما كتب إلى الإمام علي عليه السّلام مع أبي أمامة الباهلي « وتلكأت عن البيعة - يعني بيعة أبي بكر - حتى حملت إليه قهراً

(١) ج ١ ص ٢٤ .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢٠ .

(٣) التصحيح لموسى الموسوي ص ١١ .

تساق بخزائم الاقتसार كما يساق الفحل المخشوش»^(١) .

ب - حديث الغدير وحديث الدار وحديث الوصاية والوزارة ، وكل ما ورد في علي عليه السّلام وخلافته من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويكفي أن نقول لك أن حديث الغدير لوحده الذي نصّب فيه الرسول صلى الله عليه وآله علياً خليفة في حجة الوداع عند غدير خم ثم أفرد له خيمة وأمر الناس بمبايعته قد رواه من الصحابة فقط مائة وعشرون صحابياً ، أكثرهم من العامة ، وقد نزلت في هذه الواقعة آية إكمال الدين : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٢) ، وقد ذكر ستة عشر مصدراً بأن هذه الآية قد نزلت يوم الغدير وتسمى بآية إكمال الولاية وقد رواها العامة والخاصة ، وقد كذب الألوسي حيث نسبها للخاصة وقال : (هي فرية)^(٣) .

ج - ذكر في كتاب الملل والنحل للشهرستاني : إن عمر بن الخطاب ضرب بطن فاطمة عليها السّلام يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها وكان يصيح : إحرقوا دارها بمن فيها ، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام^(٤) ؛ إلى غير ذلك من الوقائع الإسلامية المهمة التي لو أطلع عليها الفرد لكانت له صورة حقيقية عن الإسلام المحمدي الخالص الذي أراده الله سبحانه وتعالى لعباده .

فإن لم تظهر بين الحين والآخر مثل هذه الكتب التي تغذي الجيل الصاعد بالحقائق المذكورة في أمهات الكتب القديمة من الطرفين فإنّ

(١) نهج البلاغة .

(٢) سورة المائدة : آية ٣ .

(٣) الغدير ج ١ - ص ٢٣٠ - ٢٣٧ .

(٤) ج ١ ص ٧٥٧ . أقول : إن هذا الخبر وإن كان لا يذكر العلّة لذلك ولكنها واضحة وهي الدعوة إلى البيعة قهراً وقسراً .

الحقيقة قد تنسى أو تنكر كما حدث في إنكار حوادث مهمة في تاريخ الإسلام ، فلأجل أن يبقى الخط الصحيح - في نشر أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأسباب نزول الآيات القرآنية في أولياء الله تعالى وما حدث في تاريخهم من آثار أوجبت لهم منصباً متميزاً عن الآخرين - [لأجل ذلك] يجب أن تصدر هذه الموسوعات ناقلة لنا ما حدث في صدر الإسلام ليكون لنا قدوة نفتدي به ، ويبقى الإسلام المحمدي الخالص موجوداً في الكتب القديمة والحديثة ، وبذلك نسدّ الطرق على المفسد الذي يريد أن يغيّر التاريخ الإسلامي لمصلحته الشخصية الدنيوية ، أو يريد المصلحة لمبدئه المنحرف الذي يريد له أن ينتشر بين المسلمين ، فقد ذكر المدائني في كتاب الأحداث ، قال : كتب معاوية إلى عماله : أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمهم واكتبوا إليّ بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته ، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه ، لما كان يبعث إليهم معاوية من الصلوات والكساء والجباء والقطائع ويفيضة في العرب منهم والموالي ، فكثرت ذلك وتنافسوا في المنازل والدنيا ، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلّا كتب اسمه وقربه ، فلبثوا بذلك حيناً ، ثم كتب إلى عماله : أمّا الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية ، فلإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ، ولا تتركوا خيراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلّا واتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة ، فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقرّ لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله ، فقرئت كتبه على الناس ، فرويت أخبار كثيرة في مناقب

الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها ، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقي إلى معلّمي الكتاتيب ، فعلّموا صبيانهم وغلّمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى روه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن ، وحتى علّموهم (*) بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم ، فلبثوا بذلك ما شاء الله . فظهر حديث موضوع كثير وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك ، فيفتعلون الأحاديث ليحضوا بذلك عند ولايتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل ، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ، ولو علّموا أنها باطلة لما روهها ولا يدينوا بها^(١) .

أقول : إنّ الذي يعمن في هذه الرواية ويتأمل ، يعرف الظروف التي مرّت على عليّ عليه السّلام وآل علي في إخفاء مناقبهم ، أضف إلى ذلك : أنّ معاوية قد نقل السلطة بعده إلى ولده يزيد وصارت وراثية في بني أمية الذين ساروا على نهج معاوية وعداء آل البيت ومن بعدهم صارت السلطة في بني العباس الذين لاقى منهم أهل البيت عليهم السّلام أضعاف ما لاقوا من بني أمية حتى ينقل عن بعضهم التحسّر على عهد بني أمية نتيجة الظلم والعداء الذي وجّه إلى آل البيت عليهم السّلام (الحكام الحقيقيين للإسلام) لذا نجد في كتب

(*) لعل الصواب وحتى علّموه بناتهم .

(١) ابن أبي الحديد في نهج البلاغة / من كلام له عليه السّلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع رقم ٢٠٨ ج ٣ ص ١٥ - ١٦ ، وأحمد أمين في فجر الإسلام ص ٢٧٥ .

الإسلام شيعة أو سنة أحاديث في آل علي عليهم السّلام فهي ليست من الحديث الموضوع بل يظهر أنها قوية لأن الوضع كانت له أسبابه ومبرراته في الجانب الآخر ، أمّا هذا الجانب فإن وجد فيه أحاديث في مناقبهم فما هي إلّا اليد الغيبية التي حفظت لنا هذا الخط الأصيل الذي تكالب عليه الأعداء لمحوه ولم ولن يتمكنوا بحول الله وقوته .

وأخيراً لا نقول في علي عليه السّلام إلّا ما قاله محمد بن إدريس إمام الشافعية حيث قال قولته المشهورة : « عجت لرجل كتم أعداؤه فضائله حسداً ، وكتمها محبوه خوفاً ، وخرج ما بين ذين ما طبق الخافقين » وإلّا كما قال ضرار بن ضمرة الكناني وهو من معاصري علي عليه السّلام حين أرغمه معاوية على أن يقول في علي ما يرى فقال : « كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشِب ، وكان فينا كأحدنا ، يديننا إذا أتينا ، ويجيينا إذا سألناه ، ونحن والله مع تقيبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبَةً له ، يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله »^(١) إلى آخره .

وأخيراً : نبتهل وندعو للأستاذ المؤلف خطوته المباركة - في كتابه هذا الذي يقدمه للقراء فكراً إسلامياً ينبع من مصادره الإسلامية القديمة ، لينتهل منه الشباب الواعي الذي أدرك مسؤوليته في هذا الكون ليسير على خطى الإسلام المحمدي الخالص ، ويرفعه شعاراً له في حياته وينتفع به

(١) صفة الصفوة ج ١ ص ١٢٢ ، تذكرة الخواص ٧٠ ، أعيان الشيعة ٣ ق ٢٥/١ .

بعد مماته ، وبذلك تزال الأستار التي وضعها الحكام وأتباعهم لتغطية الحقيقة ، وكيف تحجب الشمس بأيدي دنسة صغيرة فاترة؟! وكيف يسدّ الموج بعود خاوي ليس له جذر؟ .

قال الله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريةً بعضها من بعض ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ﴾^(٤) .

صدق الله العلي العظيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين .

حسن محمد تقي الجواهري

قم المقدسة في ١٦/ج ١/١٤١٢ هـ

(١) سورة آل عمران : آيتان ٣٣ - ٣٤ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٣٣ .

(٣) سورة إبراهيم : آيتان ٢٤ - ٢٥ .

(٤) سورة النور : آية ٣٥ .

المدخل

مما لا شك فيه أن نظرة الباحثين إلى علي عليه السلام قد تجاوزت الإطار الذاتي إلى الإطار المنهجي الفاعل في حركة المجتمع عبر التاريخ ، فنحن لا ننظر إليه كشخصية ذاتية بل كرمز وشعار لكل المعاني الخيرة في الحياة ، من هنا اكتسب ابن أبي طالب مجده ، واعتلى ناصبة الشمس ليدور معها ما دار الزمان ، رؤية الحق ، ومنهج الصدق ، وحركة الجهاد ، ونور الفكر ، وشعاع المعرفة .

عزيزي القاريء ؛ قرأت في الجزء الثاني سرداً تاريخياً لحياة الإمام علي عليه السلام منذ ولادته وحتى وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ، ذلك الفصل الجهادي الرائع - من حياته عليه السلام - المليء بمعاني العزة والكرامة والشمم والشموخ ، وتقرأ في الجزء الثالث صفحة مشرقة أخرى من حياته عليه السلام عنوانها الصبر وتحمل الألم والتفاني في ذات الله من أجل أن تكون كلمة الإسلام هي العليا ، من وفاة الرسول حتى شهادته عليه السلام في محراب الصلاة في الكوفة ، مقدمين لذلك سرداً ببعض فضائله التي لا تعد ولا تحصى .

ونأمل بذلك أن نكون قد قدمنا للمكتبة الإسلامية بعض ما يجب

تقديمه في حق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام .

وأنى لنا ذلك

والحمد لله رب العالمين .

حسين الشاكري

علم علي وحكمته

قال الله سُبحانه وتعالى في محكم كتابه المجيد : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) ، وقال صَلَّى الله عليه وآله وسلم : « يا علي لا يعرف الله إلّا أنا وأنت ، ولا يَعْرِفُنِي إلّا الله وأنت ، ولا يعرفك إلّا الله وأنا » .

وقال : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » .

وقال : « أنا مدينة الحكمة وعلي بابها » .

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام : « لو كُشِفَ لِي الغطاء ما ازددت يقيناً » ، فشدة يقينه دالة على قوة دينه ، ورجاحة موازينه .

ومما لا شك فيه ولا ريب أن للعلم صولةً وجولةً ، وفضيلةً وكمالاً ، وَيَعْتَرِفُ البشر كافةً بشرفه وسموه ، بل وَيُفَضِّلُ العالم على الجاهل بالفطرة كتفضيل النور على الظلام ، وقد حثَّ الإسلام منذ انبثاقه على التعلم وإعطاء العلم الأولوية في كل مجالاته ، فقد قال الرسول الأعظم صَلَّى الله عليه وآله وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »

(١) سورة الزمر: آية ٩ .

والقرآن الكريم يشير إلى مزية العلم وقيمته ، وُسْمُو قَدْرَهُ وكرامته
في كثير من الآيات ، ويشني على كل من أوتي من العلم نصيباً : ﴿ وَمَنْ
يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

والعلم أيضاً من أهم الأسس التي يستند عليها لتسّم المراكز
الراقية ، والمناصب السامية ، والقيادة (كالحكم ، والقضاء) ، كما أنّ
العلم بالأحكام الشرعية والتفقه بها ، وتعلم آداب القضاء والفتوى ، يعتبر
من الضروريات التي حثّ عليها الإسلام ، كما أسلفت بأن طلب العلم
فريضة على كل مسلم ، ودرجات الإيمان بالله ومعرفته تابعة لمراتب
العلم .

فَعَلِمَ أمير المؤمنين عليه السّلام من عِلْمِ رسول الله صَلَّى
عليه وآله وسلّم ، حيث قال عليه السّلام : « عَلَّمَنِي رسول الله من العلم
ألف باب يفتح له من كل باب ألف باب » .

وَعَلِمَ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم من علم الله تعالى ،
اكتسبه عن طريق جبرئيل وعن طريق الإلهام والنكت في القلب ، وليس
عن طريق التعلم والتحصيل .

ونجد في القرآن الكريم طائفة من الآيات التي تصرّح بتمجيد
العلم والحث عليه ، كما تبين بأن علوم الأنبياء اكتسبت من الله تعالى
عن طريق الإفاضة ، والإلقاء في القلب .

ومما لا شك فيه ولا ريب أنّ مثل هذه العلوم لا تشوبها شكوك ولا
انحراف ، بل هو الحق المطلق ، الصادر عن الحق جلّت قدرته .

وإليك بعض تلك الآيات المجيدة ، قال سبحانه وتعالى :

(١) سورة البقرة : آية ٢٦٩ .

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾^(١) .
﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا
عِلْمًا ﴾^(٢) .

﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾^(٣) .
﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾^(٤) .
﴿ وَلَوْطَا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾^(٥) .
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾^(٦) .
﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾^(٧) .
﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾^(٨) .
﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ
إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾^(٩) .

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾^(١٠) .

-
- (١) سورة طه : آية ١١٤ .
(٢) سورة الكهف : آية ٦٥ .
(٣) سورة البقرة : آية ٢٤٧ .
(٤) سورة الأنبياء : آية ٧٩ .
(٥) سورة الأنبياء : آية ٧٤ .
(٦) سورة النمل : آية ١٥ .
(٧) سورة القصص : آية ١٤ .
(٨) سورة الأعراف : آية ١٤٤ .
(٩) سورة المائدة : آية ١١٠ .
(١٠) سورة البقرة : آية ٣١ .

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴾ (١) .

﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ (٢) .

﴿ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ (٣) .

﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَم ﴾ (٤) .

﴿ وَقَتَلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ (٥) .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ (٦) .

فإذا عرفت هذا يا عزيزي القاريء ، فكيف يمكننا أن نقدر أو نستطيع أن نعلم مقدار علم أمير المؤمنين عليه السلام ، الذي هو من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورسول الله الذي أخذ علمه من الله تعالى عن طريق الوحي .

بالإضافة إلى أن الله سبحانه وتعالى نعت أمير المؤمنين عليه السلام ، بقوله عز من قائل : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (٧) كما ذكرنا ذلك مفصلاً في الجزء الأول من كتابنا هذا - علي في الكتاب

(١) سورة مريم : آية ٤٣ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٧٩ .

(٣) سورة يوسف : آية ٣٧ .

(٤) سورة النساء : آية ١١٣ .

(٥) سورة البقرة : آية ٢٥١ .

(٦) سورة النساء : آية ١٠٥ .

(٧) سورة الرعد : آية ٤٣ .

والسنة ص ١٦٣ - في تفسير الآية رقم ٤٣ من سورة الرعد - فراجع - .

وبهذه المناسبة أقول : إنَّ أَصْفَ بْنَ بَرْخِيَا الذي كان عنده عِلْمٌ من الكتاب وهو حرف واحد من اثنين وسبعين من الإسم الأعظم ، استطاع بذلك العلم البسيط أن يجلب عرش الملكة بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس - موقع عرش النبي سليمان - قبل أن يرتدَّ طرفه ، كما ذكره القرآن الكريم بقوله : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (١) .

فكيف بأمير المؤمنين عليه السَّلام ، الذي ﴿ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ ﴾ (٢) ، لا ﴿ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ بنص القرآن المجيد وحديث رسوله الكريم والذي قال عليه السَّلام مراراً وبعدة مناسبات : « ها هنا لعلماً جماً » وأشار إلى صدره ، وقال : « سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتُموني عن طرق السموات فإني أعلم بها من طرق الأرض » .

وفي رواية أخرى : « لو سألتُموني عن آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفيم نزلت ، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها ، وخاصها من عامها ، ومحكمها من متشابهها ، ومكيها من مدنيها ، والله ما من فئة تُضِلُّ أو تهدي إلا أنا أعرف قائدها وسائقها ، وناعقها إلى يوم القيامة » .

عن عباية بن ربعي قال : « سمعت علياً عليه السَّلام يقول : « سلوني قبل أن تفقدوني ، ألا تسألون من عنده عِلْمُ المنايا والبلايا والأنساب ؟ » .

(١) سورة النمل : آية ٤٠ .

(٢) سورة الرعد : آية ٤٣ .

وعن الأصبع بن نباتة قال : لما بويح أمير المؤمنين عليه السّلام ، بالخلافة خرج إلى المسجد معتمماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ، لابساً بُرديه ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وأنذر ، ثم جلس متمكناً وشبك بين أصابعه ووضعها أسفل سُرته ، ثم قال : « يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني فإنّ عندي علم الأولين والآخرين ، أما والله لو ثني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم ، وبين أهل الزبور بزبورهم ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم - حتى ينهى كل كتاب من هذه الكتب ويقول - :

يا رب إن علياً قضى بقضائك ، والله إنني لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدّعٍ ، ولولا آية في كتاب الله تعالى لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة » .

عن الأصبع بن نباتة قال : لما قدم علي عليه السّلام الكوفة ، صلى بهم أربعين صباحاً فقرأ بهم سورة : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ^(١) فقال المنافقون : والله ما يُحسِن أن يقرأ ابن أبي طالب القرآن ، ولو كان أحسن أن يقرأ لقرأ بنا غير هذه السورة ، قال : فبلغه ذلك ، فقال : « ويلهم ! إنني لأعرف ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وفصاله ووصاله ، وحروفه ومعانيه ، والله ما حرف نزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلّم ، إلّا وأنا أعرف فيمن أنزل وفي أي يوم نزل وفي أي موضع نزل ، ويلهم أما يقرؤون : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ ^(٢) والله عندي ، ورثتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ، ورثتها رسول الله من إبراهيم وموسى ،

(١) سورة الأعلى : آية ١ - ١٧ .

(٢) سورة الأعلى : آية ١٧ .

ويلهم ! والله إني أنا الذي أنزل الله في : ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَإِعْيَةٌ ﴾ ^(١) فإننا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيخبرنا بالوحي ، فأعيه ويفوتهم ، فإذا خرجنا قالوا : ماذا قال آنفاً ؟ .

قال ابن عباس : عليّ عليمٌ عِلْماً علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورسول الله علّمه الله ، فعِلْمُ النبي من عِلْمِ الله تعالى ، وعِلْمُ علي من عِلْمِ النبي ، وعلمي من علم علي ، وما علمي وعلم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم في عِلْمِ عليّ إلا كقطرة في سبعة أبحر .

وعن ابن عباس أيضاً : أن عمر بن الخطاب قال له يوماً : يا أبا الحسن إنك لتعجل في الحكم والفصل للشيء إذا سُئِلْتَ عنه ! قال : فأبرز عليّ كفه وقال له : كم هذا ؟ فقال عمر : خمسة ، فقال : عجلت أبا حفص ؟ قال : لم يخف عليّ ، فقال علي : وأنا أسرع فيما لا يخفى عليّ .

هذا غيض من فيض علم أمير المؤمنين ، وباب مدينة علم سيد المرسلين صلى الله عليهما وآلهما أجمعين .

أقول : وهل استطاع عليه السّلام أن يُبلّغ عُشر معشار ما حواه ووعاه من العلم ، وهل السياسة الزمنية تركته وشأنه لتبليغ ما يمكن تبليغه وبث ما يمكن بثه ، كلا وألف كلا ، وفي هذا المقام ما أدري هل آسف على الإمام الذي ضاع قدره بين الجهال والمنحرفين وأصحاب المطامع والحاquدين في ذلك العهد ولم يفسح له المجال ، ليث بين المسلمين شيئاً من علومه الإلهية ومعارفه الربانية ؟ أم آسف على المسلمين الذين

(١) سورة الحاقة : آية ١٢ .

عثر بهم الحظَّ وحُرِّمُوا الارتشاف من ذلك المنهل العذب الذي تطفح
ضفتاه من كل فضيلة ومكرمة ، وقد كانوا ولا يزالون بأمس الحاجة إلى
علمه سلام الله عليه ، فقد قهرته الظروف الصعبة ، واضطرتته السياسة
الزمنية إلى الجلوس في داره خمس وعشرين سنة مسلوب الإرادة
والإمكانات من القيام بواجبه الذي طُبع عليه ، لا يستطيع تنوير العقول
بعلومه ، أو تزويد النفوس بمواهبه ؟ .

وكما جرت سُنَّة السياسة والحكم والتسلط ، بمناءة الأنبياء
 والمرسلين وأصحاب الفضيلة من العلماء والمصلحين في خنق كل
صوت يرتفع بالإصلاح ، وبكل وسائل البطش والإرهاب والتنكيل منذ
العصر الأول ولا يزال إلى يومنا هذا ، فقد يزداد قوة وضعفاً بحسب
الظروف ، ومحاربة كل فضيلة ليقبى الحكم والتسلط بأيدي المجرمين
الملطخة بالدماء والعار ، وما عهدو (الدكتاتوريات) السالفة من فراعنة
عصورهم في قتل الأنبياء والمرسلين عنك ببعيد ، خذ مثلاً عصر نوح
عليه السلام وما لاقاه من طغاة زمانه ، وعصر هود ، وصالح ، ولوط ،
إلى عصر الخليل إبراهيم ، وعصر موسى ، وعيسى عليهم وعلى نبينا
أفضل الصلاة والسلام ، وما لاقوه من قتل وتشريد وإبادة حتى بلغ أشده
في عصر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وما تحمَّله من
طواغيت زمانه من جبابرة قريش ومن سائر ذُؤبان العرب ومردة أهل
الكتاب من الإرهاب والتعذيب والإهانة ، حتى صرَّح صلى الله عليه وآله
وسلم عدة مرات بأبي هو وأمي بقوله : « ما أُوذِيَ نبيٌ بمثل ما أُوذيت » .

واستمر الحكم الطاغوتي وسنة الحياة على هذا المنوال إلى ما بعد
لحقه صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى ، على الرغم مما بلغ به وأنذر طيلة
ثلاث وعشرين عام ، وأخيراً بلغ بأمر من الله سبحانه وتعالى بتعيين
الخليفة من بعده وأشهدهم على ذلك وأقروا به .

حيث قال سبحانه في محكم كتابه المجيد : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ^(١) في وقت واحد وبآية واحدة أمر جلُّ شأنه رسوله الكريم أن يبلغ المسلمين بتعيين الخليفة من بعده علي بن أبي طالب ، وأنذره إن لم يبلغ ما أمر به فكأنما ما بلغ رسالته كلها ، انظر إلى هذه الشدة وهذا التأكيد .

وبنفس الوقت ضمن له العصمة والنجاة من الناس ، ومن هم الناس ؟ هم أصحابه الذين عاشوا فكره ورسالته ولكن لم تطهر نفوس بعضهم الخبيثة فكان فيهم المنافقين ، والطامعين بالخلافة والحاسدين والمناوئين لأمير المؤمنين عليه السلام ، وبعدما بلغ رسوله الكريم ما أمره به في تعيين الخليفة بقوله بعد خطبة طويلة : « فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه ، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » وذلك في ظهيرة يوم ١٨ ذو الحجة من حجة الوداع في منطقة بين مكة والمدينة على مفترق الطرق تسمى (غدير خم) وبعد تبليغه الرسالة والندارة أنزل الله سبحانه هذه الآية : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ^(٢) الله أكبر على إكمال الدين ورضى الرب ، حيث رضى الرب بتبليغ رسالته وقبول المسلمين به ، كما رضي الله سبحانه على المسلمين بقبول الإسلام ديناً ، بشرط أن لا يحدثوا بعد نبينهم حدثاً يخرجهم من الإسلام ، ولو استمروا على ما أقاموا عليه ، لأكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم ، ولأنزل الله عليهم البركات من السماء ولسادوا العالم وهمنوا على الكرة الأرضية بكاملها ، ولكنهم ويا للأسف انقلبوا على أعقابهم ،

(١) سورة المائدة : آية ٦٧ .

(٢) سورة المائدة : آية ٣ .

كما أخبر سبحانه وتعالى في كتابه المجيد بقوله : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(١) .

مع كل الأسى والأسف حصل الانقلاب بمجرد أن شاع خبر التحاق الرسول الأعظم بالرفيق الأعلى ، حيث احتدم الصراع باجتماع بعضهم في سقيفة بني ساعدة ، كلٌ يريد الخلافة لنفسه وحزبه ، حتى وصل بهم الأمر إلى حدّ العنف والتهديد والإرهاب ، وكادت الفتنة أن تقع وتندلع وتزهق أرواح ونفوس ، والرسول لا يزال مسجى جثة هامدة ، والجرح لما يندمل والنبي لما يقبر .

وأُمير المؤمنين والهاشميون من بني عبد المطلب في ذهول من شدة الصدمة وهولها وجلل المصاب ، مشغولين بتغسيل النبي وتجهيزه .

فأحكمت البيعة واختلست الخلافة ، فتسلط نفرٌ على دست الحكم ومنصة الخلافة بعد تحزبهم ، وكان الأمر قد دبّر بليلٍ وأحكم تنظيمه ، وتخلف عن الخلافة أصحاب الحق الشرعي ، كما قال عليه السّلام لما سئل عن ذلك : « فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين ، ونعم الحكم الله » ، فكأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمَتَّقِينَ ﴾ ^(٢) بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا بأعينهم وراقهم زبرجها ، وحب الدنيا والطمع في الزعامة أخذ منهم كل مأخذ حتى أعرضوا عما أمروا به وما أعطوا عليه العهود والمواثيق ، فإنا لله وإنا إليه

(١) سورة آل عمران : آية ١٤٤ .

(٢) سورة القصص : آية ٨٣ .

راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
ومن ذلك الحين إلى يومنا هذا احتدم الصراع بين قوى الخير
وقوى الشر والباطل ، وما لاقاه أهل البيت والأئمة الطاهرين والمصلحين
من تابعيهم وشيعتهم على مدى الأجيال من طواغيت زمانهم من ملوك
وحكام بني أمية وبني مروان وبني العباس ومن جاء بعدهم والذين
يحكمون باسم الإسلام كذباً وزوراً وبهتاناً والإسلام منهم براء ، ويقتلون
أولاد الأنبياء والأئمة الطاهرين والعلماء والمصلحين والثائرين على الظلم
من شيعتهم ، وما واقعة الطف باشتهاد السبط أبي عبد الله الحسين وأهل
بيته وأصحابه ، وسَمَ الإمام الحسن وغيرهم وغيرهم عنك ببعيد - كما
قال الإمام الصادق عليه السلام : « ما منا إلا مقتول أو مسموم » .

ونعم ما قال الشاعر :

ملكنّا فكان العفو منّا سجيّةً ولما ملكتم سأل بالدم أبطح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح
نقول : فإن كل ما حدث هو نتائج مريرة لتلك المؤامرة التي حيكت في
الظلام . .

مَعِذَةُ لَقَدْ أَهَاجَتِ الذِّكْرِيَّاتُ شَجُونِي وَشَطَحَ بِي الْقَلَمُ ، وَأَعُودُ مِنْ حَيْثُ
انْقَطَعَتْ .

وبعد خمس وعشرين سنة ثاب المسلمون إلى رشدهم بعد الثورة على
عثمان وقتله واثالوا عليه يلتمسون قبول الخلافة والإمارة - لكنه امتنع في بادئ
الأمر قائلاً دعوني لكم وزير خير من أن أكون أمير . ولما عادت إليه بعض حقوقه
المسلوبة ، وإذا بالمؤامرات ودسائس الطامعين والحاسدين تثار عليه من كل
حذب وصوب ، وفي مقدمتهم معاوية وبني أمية وبني مروان وغيرهم ، وأول من
ثار عليه هم أول من مَدَّ يده لمبايعته طلحة والزبير ، وساعدتهم على ذلك
وتصدرت الثورة عائشة بنت أبي بكر زوجة الرسول ، وساعدها

على ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم وبنو أمية وبنو مروان المتواجدين في مكة بعد هربهم من المدينة والتحاقهم بعائشة ، وأثاروا عليه الاضطرابات والحروب الداخلية وفي مقدمتها حرب الجمل من قبل الناكثين ، وحرب صفين من قبل القاسطين وحرب الخوارج (النهروان) من قبل المارقين كما أخبر بذلك من قبل وتنبأ بهذه الحروب والفتن والاضطرابات الداخلية التي أحاطت به وحدث من نشاطه العلمي والفكري وتبليبل أفكاره وتشتت قواه ، وسلبت الاستقرار والاطمئنان من ذلك المجتمع الذي كان بأمس الحاجة إلى التزوّد من علومه ومواهبه ، فانقلب النشاط العلمي والديني إلى طاقة حربية ، وانقلبت المعاهد العلمية والثقافية إلى معارك دموية ، وساحات قتال ومجازر رهية ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين من كلا الطرفين ، ناهيك عن المعوقين والمجروحين والأرامل واليتامى ، وغيرها من المآسي التي لا يمكن أن تعدّ وتحصى ، بالإضافة إلى تخلخل البنية الإسلامية وتفرق المسلمين وضعف البنية الاقتصادية، حتى صُرع سلام الله عليه في محرابه بمسجد الكوفة مضرجاً بدمه منادياً : « فزت ورب الكعبة » .

لمصلحة من كل هذا وذاك ؟ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .
 وإليك بعض أقواله سلام الله عليه في الحكمة والموعظة :
 قال عليه السّلام : « أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلاً : لا يرجون أحدٌ منكم إلّا ربه ، ولا يخافنّ إلّا ذنبه ، ولا يستحيين أحدٌ منكم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، ولا يستحيين أحدٌ إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه ، وعليكم بالصبر فإنّ الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ، ولا خير في جسدٍ لا رأس له ولا في إيمان لا خير معه » (نهج البلاغة ج ٤ كلماته القصيرة) .

وقال عليه السّلام : « من أُعطي أربعاً لم يحرم أربعاً : من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة ، ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول ، ومن أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة ، ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة ، وتصديق ذلك كتاب الله تعالى حيث قال عزّ وجلّ في الدعاء : ﴿ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ^(١) ، وقال في الاستغفار : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ ^(٢) ، وقال في الشكر : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ^(٣) ، وقال في التوبة : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ، فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ ^(٤) (شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٣٤).

وقال عليه السّلام : « من أصلح ما بينه وبين الله ، أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه ، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ » .

ومن خطبة له عليه السّلام : « واللّه لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً ^(٥) ، وأجر في الأغلال مصفّداً ، أحب إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، وغاصباً لشيء من الحطام ، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلي قفولها ، ويطول في الشرى حلولها ^(٦) - إلى أن قال عليه السّلام - : واللّه لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما

(١) سورة غافر : آية ٦٠ .

(٢) سورة النساء : آية ١١٠ .

(٣) سورة إبراهيم : آية ٧ .

(٤) سورة النساء : آية ١٧ .

(٥) الحسك : الشوك ، مسهداً : ساهراً .

(٦) قفولها : رجوعها ، الثرا : التراب .

فعلت ، وإنّ دنيّاكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضّمها^(١) ، ما لعلّي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى ، نعوذ بالله من سُبّات العقل وقبح الزلل وبه نستعين » (نهج البلاغة ، ج ٢ ص ٢١٧ ، ٢١٨).

ومن كلام له عليه السّلام في الوعظ : حينما سأله صاحبه هَمَام ، أن يصف له المتقين ، وكان من العباد الزهاد فقال عليه السّلام : « أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم ، آمناً من معصيتهم ، لأنّه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه ، ووضعهم من الدنيا مواضعهم ، فالمتقون فيها هم أهل الفضائل ، منطلقهم الصواب ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيمهم التواضع ، غصوا أبصارهم عما حرّم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم - إلى أن قال عليه السّلام - : عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن قد رآها ، فهم فيها مُنعمون ، وهم في النار كمن قد رآها فهم فيها مُعذبون ، قلوبهم محزونة ، وشروهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة ، وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة - إلى أن قال عليه السّلام - : فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين ، وحزماً في لين ، وإيماناً في يقين ، وجرساً في علم ، وعلماً في حلم ، وقصداً في غنى ، وخشوعاً في عبادة ، وتجملأ في فاقة ، وصبراً في شدة ، وطلباً في حلال ، ونشاطاً في هُدى ، وتخرجاً عن طمع - إلى أن قال عليه السّلام - : يعفو عَمَن ظلمه ، ويُعطي من حرمه ويصل من قطعه ، بعيداً فحشه ، لِيناً قولهُ ، غائباً منكّره ، حاضراً معروفه ، مقبلاً خيره ، مدبراً شره ، في الزلازل وقور ، وفي المكّاره صبور ، وفي الرخاء

(١) جلب قشر شعير : تقضمها بأسنانها .

(٢) السّبات : النوم .

(٣) كمن قد رآها ، هم على يقين من الجنة والنار ، كيقين من رآها بعينه .

شكور» . إلى أن صعق همّام صعقة كانت فيها نفسه ، فقال عليه السّلام : « أما والله لقد كنت أخافها عليه » (نهج البلاغة ، ج ٢ ص ١٦٠) .

وقال عليه السّلام ؛ « طوبى لمن ذلّ في نفسه ، وطاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وحسنت خليقته ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من لسانه ، وعزل عن الناس شره ، ووسعته السّنة ، ولم ينسب إلى البدعة » (نهج البلاغة، ج ٤) .

وقال عليه السّلام : « الناس ثلاث : فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعا ، أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق » (نهج البلاغة، ج ٤) . وصيته عليه السّلام لأبي ذر الغفاري عليه الرحمة :

حينما نقم عثمان على أبي ذر الغفاري ونفاه إلى الربرة ، قام أمير المؤمنين عليه السّلام وولداه الحسن والحسين عليهم السّلام بتوديعه ، قائلاً له : « يا أبا ذر إنك غَضِبْتَ الله فارجو من غَضِبْتَ له ، إنّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك ، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه ، واهرب منهم بما خفت عليه ، فما أحوجهم إلى ما منعتهُم وما أغناك عما منعوك ، وسيعلم من الرابع غداً ، والأكثر حُسدًا ، ولو أن السموات والأرضين كانتا على عبدٍ رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منها مخرجاً ، ولا يؤنسُك إلّا الحق ولا يوحسُّك إلّا الباطل ، فلو قبلت دنياهم لأحبّوك ، ولو قرضت منها لآمنوك » (نهج البلاغة ، ج ٢ ص ١٢) .

وقال عليه السّلام : « إن مع كل إنسان ملكين يحفظانه ، فإذا جاء القدر خَلَيَا بينه وبينه ، وإن الأجل جُنَّةٌ حصينة ، كما قال كفى بالأجل حارساً » (نهج البلاغة) .

وقال عليه السَّلام : « إِنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقٌّ فَمَنْ أَدَاهُ زَادَهُ مِنْهَا ،
وَمَنْ قَصَرَ عَنْهُ خَاطَرَ بَزَوَالِ نِعْمَتِهِ ، إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتَلَكَ عِبَادَةُ
التَّجَارِ ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتَلَكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ
شُكْرًا فَتَلَكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ » (نهج البلاغة) .

قال عليه السَّلام : « الْعَفْوُ عَنِ الْمَقْرِّ ، لَا عَنِ الْمَصْرِ » .

من وصيته لولده الحسن عليه السَّلام ، أنه قال : « يَا بَنِي مِنْ أَبْصَرَ
عَيْبَ نَفْسِهِ شُغِلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قَتَلَ بِهِ ، وَمَنْ
حَفَرَ لِأَخِيهِ بَثْرًا وَقَعَ فِيهِ ، وَمَنْ هَتَكَ حِجَابَ أَخِيهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ ،
وَمَنْ نَسِيَ خَطِيئَتَهُ اسْتَغْظَمَ خَطِيئَةَ غَيْرِهِ ، وَمَنْ أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ ، وَمَنْ
اسْتَغْنَى بِفَعْلِهِ زَلَّ ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ ، وَمَنْ سَفِهَ عَلَى النَّاسِ
شُتِمَ ، وَمَنْ خَالَطَ الْعُلَمَاءَ وَقَرَ ، وَمَنْ خَالَطَ الْأَنْذَالَ حُقِّرَ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ
شَيْءٍ عَرَفَ بِهِ » (نزهة الناظر وتنبية الخاطر) .

وقال عليه السَّلام : « مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رِبْحٌ ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا
خُسْرٌ ، وَمَنْ خَافَ أَمِينَ ، وَمَنْ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ ، وَمَنْ فَهَمَ عِلِمٌ ، وَصَدِيقُ
الْجَاهِلِ فِي تَعَبٍ » (نزهة الناظر وتنبية الخاطر) .

وقال عليه السَّلام : « يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ
عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ، فَإِنْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ أَجْلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ
يَرْزُقُكَ » (نزهة الناظر) .

وقال عليه السَّلام : « عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ الَّذِي اسْتَعْجَلَ الْفَقْرَ
وَيَحَاسِبُ فِي الْآخِرَةِ حَسَابَ الْأَغْنِيَاءِ ، وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ
بِالْأَمْسِ نَظْفَةً وَهُوَ غَدًا جِيفَةً ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَ فِي اللَّهِ وَهُوَ يَرَى خَلْقَ
اللَّهِ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى مِنْ يَمُوتُ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ
النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الْأُولَى ، وَعَجِبْتُ لِعَامِرِ دَارِ الْفَنَاءِ وَتَارِكِ دَارِ

البقاء» (نزهة الناظر وتنبيه الخاطر) .

وقال عليه السّلام : « الدنيا دار مفر إلى دار مفر ، والناس فيها رجلان : رجل باع نفسه فأوبقها ، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها » (نزهة الناظر وتنبيه الخاطر) .

وقال عليه السّلام : « من لم ينفق ماله على الأخيار اختياراً ، ينفق ماله على الأشرار اضطراراً ، يا ابن آدم كن وصي نفسك في مالك ، واعمل فيه ما تؤثر أن يعمل فيه بعدك » .

وقال عليه السّلام : « الجود حارس الأعراض ، والحلم فدام السفيه ، والعفو زكاة الظفر ، والسلو عوضك ممن غدر ، والاستشارة عين الهداية » .

وقال عليه السّلام : « اتقوا معاصي الله في الخلوات ، فإن الشاهد هو الحاكم » (نهج البلاغة ، ص ٧٧) .

وقال عليه السّلام : « السؤال يضعف لسان المتكلم ، ويكسر لب الشجاع البطل ، ويوقف الحرّ العزيز موقف العبد الذليل ، ويذهب بهاء الوجه ، ويمحق الرزق » (غرر الحكم ، ص ٩٨) .

وقال عليه السّلام : « خذوا من العلم أحسنه ، فإنّ النحل يأكل من كل زهرة أزينه ، فيتولد منه جوهران نفيسان ، أحدهما فيه شفاء للناس ، والآخر يستضاء به ، كل وعاء يضيّق بما جعل فيه إلّا وعاء العلم فإنّه يتسع » (شرح الغرر ٣/ ١٥٢٦ - من كتاب أقوال الأئمة) .

وقال عليه السّلام : « مات خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة » (البحار ج ٧٨ / ٧٦ / ونهج البلاغة ، ج ٤ ص ٣٦) .

وقال المرحوم صالح الجعفري :

وأرى المال كالرجال فبعض مات حياً وآخر عاش ميتاً

وقال عليه السّلام : « يا جابر قوام هذه الدنيا أربعة : عالم يستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ، وغني جواد بمعروف ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه غيره » (بحار الأنوار ج ١/ ١٧٨).

وقال عليه السّلام : « طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ، ولم يشغل قلبه بما تراه عيناه ، ولم ينس ذكر الله بما سمع أذناه ، ولم يحزن صدره بما أعطى غيره » (الوسائل ١/ ٤٣/ ٣).

وقال عليه السّلام : « إن لأهل الدين علامات يُعرفون بها : صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، ووفاء العهد ، وصلة الرحم ، فطوبى لهم وحسن مآب » (تحف العقول ٢٣٤/ ٧١).

وقال عليه السّلام : « أيها الناس اتقوا الله الذي إن قلتم سمع ، وإن أضمرتم عَلِم ، وبادروا الموت الذي إن هربتم منه أدرككم ، وإن أقمتكم أخذكم ، وإن نسيتموه ذكركم » .

وقال عليه السّلام : « عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار » (نهج البلاغة، ج ٤ ص ١٩).

روي عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السّلام أنه قال : « كان في الأرض أمانان من عذاب الله ، وقد رُفِعَ أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به ، أما الأمان الذي رفع فهو رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ، وأما الأمان الباقي فالاستغفار قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ^(١) وهذا

(١) سورة الأنفال : آية ٣٣ .

من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط .

وقال عليه السّلام : « اعجبُوا لهذا الإنسان ، ينظر بشحم ، ويتكلم بلحم ، ويسمع بعظم ، ويتنفس بخرم » .

وقال عليه السّلام : « إذا أقبلت الدنيا على أحدٍ أعارته محاسن غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه » .

وقال عليه السّلام : « إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه » (نهج البلاغة ، ج ٤ ص ٤) .

وقال عليه السّلام : « من كفارات الذنوب العظام : إغاثة الملهوف ، والتنفس عن المكروب » (نهج البلاغة ، ج ٤ ص ٧) .

وقال عليه السّلام : « إذا كنت في إدبار والموت في إقبال ، فما أسرع الملتقى » (ج ٤ ص ١١) .

وقال عليه السّلام : « لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحق وراء لسانه » (ج ٤ ص ١١) .

وقال عليه السّلام : « الحكمة ضالّة المؤمن ، فخذ الحكمة ، ولو من أهل التّفاق » (ص ١٨) .

وقال عليه السّلام : « عِظْ الخالق عندك ، يُصَغِّرْ المخلوق في عينك » (نهج البلاغة ، ج ٤ ص ٣٠) .

وقال عليه السّلام : « الناس أعداء ما جهلوا ، من استبدَّ برأيه هلك ، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها » .

وقال عليه السّلام : « خيار خصال النساء ، شرار خصال الرجال :

الزهو ، والجبن ، والبخل ، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها ، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلمها ، وإذا كانت جبانة فرقت - أي هربت - من كل شيء يعرض لها » (نهج البلاغة ، ج ٤ ص ٥٢) .

وقال عليه السّلام : « صاحب السلطان كراكب الأسد ، يُغبط بموقعه وهو أعلم بموضعه » (ص ٦٣) .

وقال عليه السّلام : « رب مستقبل يوماً ليس بمستديره ، ومغبوط في أول ليله قامت بواكيه في آخره » .

وقال عليه السّلام : « الكلام في وثاقتك ما لم تتكلم به ، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه ، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك ، فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة » .

وقال عليه السّلام : « مسكين ابن آدم ، مكتوب الأجل ، مكنون العِلل ، محفوظ العمل ، تؤلمه البقة ، وتقتله الشرقة ، وتنته العرقة » .

وقال عليه السّلام : « إن أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالاً في غير طاعة الله فورثه رجل فأنفقه في طاعة الله سبحانه ، فدخل به الجنة ودخل الأول النار » .

وقال عليه السّلام : « الزهد كله بين كلمتين من القرآن المجيد قال الله سبحانه : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ ومن لم يأس على الماضي ، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه » .

وقال عليه السّلام : « ما لابن آدم والفخر ، أوله نطفة ، وآخره جيفة لا يرزق نفسه ، ولا يدفع حتفه » .

قيل لأمر المؤمنين عليه السّلام : صف لنا العاقل .

قال : « الذي يضع الشيء في موضعه » .

وقيل : صف لنا الجاهل - الأحمق - .

قال : « قد فعلت » .

جاء رجلان من المناوئين لأمر المؤمنين عليه السّلام ، وسألاه سؤالاً محرّجاً في وقت محرّج ، وهو رافع يديه لتكبيرة الإحرام لصلاة الفريضة ، قالا : يا أبا الحسن ما الفرق بين الحيوانات التي تبيض ، والتي تولد ؟ .

فأجابهم على الفور ، وهو في تلك الحالة : « البارزة الأذان تولد وتلد ، والمخفية منها تبيض » فكبر ودخل في صلاته .

قال عليه السّلام : « الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله تعالى ، ولم يؤسهم من روح الله ، ولم يؤمنهم من مكر الله » .

وقال عليه السّلام : « مثل الدنيا كمثل حية لين مسها ، والسّم الناقع في جوفها ، يهوي إليها الغر الجاهل ، ويحذرها ذو اللبّ العاقل » .

وقال عليه السّلام : « توقوا البرد في أوله ، وتلقوه في آخره ، فإنه يفعل في الأبدان كفعله في الأشجار ، أوله يحرق وآخره يورق » .

وقال عليه السّلام : « بكثرة الصمت تكون الهيبة ، وبالنصفة يكثر المواصلون ، وبالإفضال تعظم الأقدار ، وبالتواضع تتم النعمة ، وباحتمال المؤمن يجب السؤدد ، وبالسيرة العادلة يقهر المناوئ ، وبالحلم عن السفية تكثر الأنصار عليه » .

وقال عليه السّلام : « من أصبح على الدنيا حزينا فقد أصبح لقضاء الله سائطاً ، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فقد أصبح يشكو ربه ، ومن أتى غنياً فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه » .

هذا غيض من فيض حكمه ومواعظه في كلماته القصيرة ، وإلى هذا الحد أكتفي روماً للاختصار ، ومن يرد المزيد فليراجع نهج البلاغة والكتب التي تعنى بالحكمة والأخلاق .

فصاحة علي وبلاغته

أما فصاحة علي عليه السّلام وبلاغته فقد سنّ لقريش ، والعرب كافة أسس الفصاحة ، وكل من جاء بعده فهو عيالٌ عليه ومنه أخذ وبه اقتدى ، ومن تلامذته أبو الأسود الدؤلي الذي علّمه أسس المنطق ومبادئ النحو والصرف والعربية ، وهي من أبرز صفاته الحميدة ومشهور بها كشهرة بشجاعته وإقدامه وصفته المميزة عند الجميع ، وظاهرة للعيان كظهور الشمس في رابعة النهار .

ألا ترى إلى كلماته القصيرة في الحكمة والموعظة ، وخطبته الجليلة المؤثرة في كل المناسبات والمجالات ، وتجسيد كل موضوع يتطرق إليه ببيانه مثل : خطبة توحيد الله جلّ شأنه ، وخطبته المعروفة بالشقشقية ، وخطبه المشهورة كالهداية ، والملاحم ، واللؤلؤة ، والغراء ، والقاصعة ، والافتخار ، والأشباح ، والدرّة اليتيمة ، والأقاليم ، والوسيلة ، والطلوتية ، والقصبة ، والسليمانية ، والناطقة ، والدماغية ، والفاضحة وغيرها . ومن خطبه المشهورة العارية عن الألف ، وخطبته الخالية من النقاط ، وهذا دليل قاطع على أن النطق طي لسانه ، والقلم طوع بنانه ، يُدَوِّرُهُ حيثما شاء وكيف ما شاء ، بالإضافة إلى نهج

البلاغة ، المذكور فيه بعض ما أشرنا وقصار الحكم الذي جمع بعضه العلامة الشريف الرضي ، رحمه الله ، وكتاب خطب أمير المؤمنين : عن إسماعيل بن مهران السكوني ، عن زيد بن وهب أيضاً ، قال الشريف الرضي : كان أمير المؤمنين عليه السَّلام مُشَرِّعَ الفصاحة ومُورِّدَها ، ومنشأ البلاغة ومُولِّدَها ، ومنه ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها .

الجاحظ في كتاب الغرة : كتب علي عليه السَّلام إلى معاوية : [منها] : « غَرَّكَ عَزَّكَ ، فصار قصار ، ذلك دُلك ، فاحش فاحش ، فعلك فعلك ، تهذا بهدا » .

وقال عليه السَّلام : « من آمَنُ آمِنُ » .

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : وأما الفصاحة فهو عليه السَّلام إمام الفصحاء ، وسيد البلغاء ، وعن كلامه قيل ، هو : (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق) ومنه تعلَّم الناس الخطابة والكتابة .

قال عبد الحميد بن يحيى^(١) : حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ، ففاضت ثم فاضت .

وقال ابن أبي الحديد في مقدمة على شرح النهج : ما أقول في رجل أقرَّ له أعداؤه وخصومه بالفضل ، ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله ؟ فقد عَلِمْتَ أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها ، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره ، والتحريف عليه ، ووضع المعاييب والمثالب له ، ولعنوه على جميع المنابر [دبر كل فريضة] وتوَعَّدوا مَادِحِيه ، بل حبسوه

(١) الظاهر كان ملكاً لليمن .

وقتلوه ، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً ، حتى حضروا^(١) أن يسمي أحدُ باسمه ، فما زاده ذلك إلا رفعةً وسُموً ، وكان كالمسك كلما سَتر انتشر عُرفه ، وكلما كُتِم تَضَوَّع نشره ، وكالشمس لا تستر بالراح ، وكضوء النهار إن حجب عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة .

وما أقول في رجل تُعزى إليه كل فضيلة ؟ وتنتمي إليه كل فرقة ، وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها وسابق مضمارها ، ومجلِّي حَلَبَتِها .

وكُلُّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ ، وله اقتفى ، وعلى مثاله احتذى . . وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية ، والفضائل النفسية والدينية وجدته ابن جَلَّأها ، وطلاع ثناياها .

وقال نباتة : حَفِظْتُ من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا سعةً وكثرةً ، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب عليه السَّلام .

لما قال مُحَفَّن بن أبي مُحَفَّن - لمعاوية - : جئتُك من عند أعْي الناس ، قال له : ويحك ؟ كيف يكون أعْي الناس ؟ ! فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره .

وهذا يكفي دلالةً على أنه لا يُجارى في الفصاحة ، ولا يبارى في البلاغة ، وحسبك أنه لم يدوّن لأحدٍ من فصحاء الصحابة العُشر ولا نصف العُشر مما دُوّن له ، وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب (البيان والتبيين) وفي غيره من الكتب .

وللإمام أمير المؤمنين عليه السَّلام ، آراء ونظريات في التوحيد

(١) منعوا .

حول الإلهيات ، كالصفات الثبوتية والسلبية وما يتعلق بذلك ، وله كلام وبحث دقيق حول العلوم الكونية والطبيعية ، كالفلك ، والنجوم ، والسحاب ، والرعد ، والبرق ، وتكوّن الأمطار ، وما شابه من المواضيع العلمية المتعلقة بالعالم العلوي . كما له في الفلسفة ، وعلم التنجيم ، وعلم الجفر ، والقيافة والهيئة وغيرها مما يطول شرحه ، والذي يعتبر المصدر المعول عليه بعد الفلاسفة الذين سبقوه ، مثل أفلاطون ، وأوروسطو ، وأبيقراط ، وغيرهم ؛ وقد تعمق وتبحر في مكنونات أسرار تلك العلوم بحيث أنسى ما قبله وأتعب ما بعده ، أو بالأحرى كل من جاء بعده عنه أخذ وبه اقتفى .

وله أيضاً تحليل دقيق حول فسلجة الإنسان من نقطة إلى جنين إلى رضيع وإلى وليد ، وإلى شاب وكهل وشيخ ، وما يدور في هذا الفلك من علم النفس ، والفلسفة البشرية ، وغير ذلك .

كل ذلك يظهر للمتبحر بين طيات كلماته وخطبه المنتشرة هنا وهناك ، خاصة المذكور في كتاب نهج البلاغة بأجزائه الأربعة ، ومما يُعزى إليه قوله : « تحسب أنك جُرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر » .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِالشَّقْشَقِيَّةِ (١)

أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى . يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ (٢) وَلَا يَرْفَى إِلَيَّ الطَّيْرُ ،

(١) لقوله فيها إنها شقشقة هدرت ثم قرت كما يأتي .

(٢) تمثيل لسمو قدره عليه السلام وقربه من مهبط الوحي وأن ما يصل إلى غيره من فيض الفضل فإنما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه من شاء الله وعلى ذلك قوله ولا يرفى الخ غير أن الثانية أبلغ من الأولى في الدلالة على الرفعة .

فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا^(١) . وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا . وَطَفِيفْتُ أَرْتَائِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ
بَيْدِ جَذَاءٍ^(٢) أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طُخْيَةِ عَمِيَاءٍ^(٣) يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ . وَيَشِيبُ فِيهَا
الصَّغِيرُ . وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ^(٤) . فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى
هَاتَا أَحْجَى^(٥) فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى . وَفِي الْحَلْقِ شَجَا أَرَى تُرَائِي^(٦)
نَهْبًا حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَذَلَّى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ^(٧) (ثُمَّ تَمَثَّلَ
بِقَوْلِ الْأَعْشى) :

شَتَانٌ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمٌ حَيَّانٌ أَخِي جَابِرٍ^(٨)

(١) فسدت الخ كناية عن غرض نظره عنها . وسدل الثوب أرخاه . وطوى عنها كشحاً مال
عنها . وهو مثل لأن من جاع فقد طوى كشحه ومن شبع فقد ملأه فهو قد جاع عن
الخلاقة أي لم يلتقمها .

(٢) وطففت الخ بيان لعله الإغضاء . والجذاء بالجيم والذال المعجمة والذال المهملة ،
وبالحاء المهملة مع الذال المعجمة بمعنى المقطوعة ويقولون رحم جذاء أي لم
توصل وسن جذاء أي منهتمة ، والمراد هنا ليس ما يؤيدها كأنه قال تفكرت في الأمر
فوجدت الصبر أولى فسدت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً .

(٣) طخية بطاء فخاء بعدها ياء ويثلاث أولها أي ظلمة . ونسبة العمى إليها مجاز عقلي .
وإنما يعنى القائمون فيها إذ لا يهندون إلى الحق وهو تأكيد لظلام الحال واسودادها .

(٤) يكدح يسعى سعي المجهود .

(٥) أحجى ألزم من حجي به كرضي أولع به ولزمه ومنه وهو حجي بكذا أي جدير وما
أحجاء ، وأحج به أي أخلق به . وأصله من الحجا بمعنى العقل فهو أحجى أي أقرب
إلى العقل . وهاتا بمعنى هذه أي رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى
بالعقل من الصولة بلا نصير .

(٦) الشجا ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه . والتراث الميراث .

(٧) أدلى بها ألقى بها إليه كناية إلى عمر بن الخطاب .

(٨) الكور بالضم الرجل أو هو مع أداته . والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في الأبيات
قبل في قوله :

وقد أسلى الهم إذ يعترى بجسرة دوسرة عاقر

والجسر : العظيم من الإبل . والدوسرة : الناقة الضخمة .

وحيان كان سيداً في بني حنيفة مطاعاً فيهم وكان ذا حظوة عند ملوك فارس ، وله نعمة =

فَيَا عَجَبًا بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ^(١) إِذْ عَقَدَهَا لِأَخَرٍ بَعْدَ وَقَاتِهِ
لَشَدِّ مَا تَشْطُرَا ضَرْعَيْهَا^(٢) فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلَامُهَا^(٣)
وَيَخْشُنُ مَسَهَا . وَيَكْثُرُ الْعِشَارُ فِيهَا . وَالْأَعْتِدَارُ مِنْهَا ، فَصَاحِبُهَا كَرَائِبِ
الصَّعْبَةِ^(٤) إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ . وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ

= واسعة ورغاية وافرة ، وكان الأعشى ينادمه . والأعشى هذا هو الأعشى الكبير أعشى
قيس وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل . وأول القصيدة :

علقم ما أنت إلى عامر السناقض الأوتار والواتر
وجابر أخو حيان أصغر منه ، ومعنى البيت أن فرقاً بعيداً بين يومه في سفره وهو على
كور ناقته وبين يوم حيان في رفايته ، فإن الأول كثير العناية شديد الشقاء والثاني وافر
النعم وفي الراحة وتلو هذا البيت أبيات منها :

في مجدل شيد بنيانه يزل عنه ظفر الطائر
ما يجعل الجد الظنون الذي جنب صوب اللجب الماطر
مثل الفراتي إذا ما طما يقذف بالبوصي والماهر
(المجدل : كمبر القصر ؛ والجد : بضم أوله البئر القليلة الماء ؛ والظنون : البئر لا
يدري أفيها ماء أم لا ؛ واللجب : المراد منه السحاب لاضطرابه وتحركه ؛ والفراتي :
الفرات ؛ وزيادة الياء للمبالغة . والبوصي : ضرب من السفن مغرب بوزي والماهر :
السابع المجيد) ووجه تمثيل الإمام بالبيت ظاهر بآدنى تأمل .

(١) روي أن أبا بكر قال بعد البيعة : أقيلوني فلست بخيركم .

(٢) لشد ما تشطرا ضرعيها جملة شبه قسمة اعترضت بين المتعاطفين ، فالقاء في فصيرها
عطف على عقدها . وتشطرا مسند إلى ضمير التثنية وضرعيها تثنية ضرع وهو
للحيوانات مثل الثدي للمرأة . قالوا : إن للناق في ضرعها شطرين كل خلفين شطر
ويقال : شطر بناقته تشطيراً صار خلفين وترك خلفين . والشطر أيضاً أن تحلب شطراً
وترك شطراً ، فتشطرا أي أخذ كل منهما شطراً ، سمى شطري الضرع ضرعين مجازاً
وهو هنا من أبلغ أنواعه حيث إن من ولي الخلافة لا ينال الأمر إلا تاماً ولا يجوز أن
يترك منه لغيره سهماً ، فاطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد اسم التشطر والاققسام
كان أحدهما ترك منه شيئاً للآخر ، وأطلق على كل شطر اسم الضرع نظراً لحقيقة
ما نال كل .

(٣) الكلام بالضم الأرض الغليظة . وفي نسخة كلمها وإنما هو بمعنى الجرح ، كأنه يقول
خشونتها تجرح جرحاً غليظاً .

(٤) الصعبة من الإبل ما ليست بذلول . وأشنق البعير وشنقه كفه بزمائه حتى الصق ذفراه =

اللَّهُ بِخَبْطِ وَشِمَاسٍ^(١) وَتَلَوْنِ وَاعْتِرَاضٍ . فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ
وَشِدَّةِ الْمِخْنَةِ . حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ . جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي
أَحَدُهُمْ فَيَالِلَهُ وَلِلشُّورَى^(٢) مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى

= (العظم الثاني، خلف الأذن) بقادمة الرجل أو رفع رأسه وهو راكبه واللام هنا زائدة
للتحلية ولتشاكل أسلس . وأسلس أرخى . وتفحم رمى بنفسه في القحمة أي
الهلكة . وسياي معنى هذه العبارة في الكتاب . وراكب الصعبة إما أن يشنقها فيخرم
أنفها وإما أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكته .

(١) مني الناس ابتلوا وأصيبوا . والشماس بالكسر إباء ظهر الفرس عن الركوب والنفار .
والخبط السير على غير جادة . والتلون التبدل والاعتراض السير على غير خط
مستقيم ، كأنه يسير عرضاً في حال سيره طولاً . يقال بعير عرضي يعترض في سيره
لأنه لم يتم رياسته ، وفي فلان عرضية أي عجرفة وصعوبة .

(٢) إجمال القصة أن عمر بن الخطاب لما دنا أجله وقرب مسيره إلى ربه رأى أن يكل
الأمر إلى ستة قال إن النبي ﷺ مات وهو راض عنهم ، وإليهم بعد التشاور أن يعينوا
واحداً منهم يقوم بأمر المسلمين ، والستة رجال الشورى هم علي بن أبي طالب ،
وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن
عوف ، وسعد بن أبي وقاص .

وكان سعد من بني عم عبد الرحمن كلاهما من بني زهرة وكان في نفسه شيء من
علي عليه السلام من قبل أخواله لأن أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس
ولعلي في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور . وعبد الرحمن كان صهرًا لعثمان لأن
زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختاً لعثمان من أمه ، وكان طلحة ميالاً
لعثمان لصلات بينهما على ما ذكره بعض رواة الأثر وقد يكفي في ميله إلى عثمان
انحرافه عن علي لأنه تيمي وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواجد لمكان الخلافة
في أبي بكر .

وبعد موت عمر بن الخطاب اجتمعوا وتشاوروا فاختلفوا وانضم طلحة في الرأي إلى
عثمان والزبير إلى علي وسعد إلى عبد الرحمن وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة
الشورى فوق ثلاثة أيام وأن لا يأتي الرابع إلا ولهم أمير ، وقال إذا كان خلاف فكونوا
مع الفريق الذي فيه عبد الرحمن فجرى الأمر كما صوره الإمام عليه السلام في خطبته
أعلاه . ثم رفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد - حيث كانت المشورة - وقال :
اللهم اسمع واشهد اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان ، وصفق
بيده في يد عثمان وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين وبإيعه .

=

صِرْتُ أَقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النُّظَائِرِ^(١) لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفُؤُا^(٢) وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا . فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضَغْنِهِ^(٣) وَمَالَ الْآخِرُ لِصَهْرِهِ^(٤) مَعَ هُنِ وَهِنِ^(٥) إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حَضْنِيهِ^(٦) بَيْنَ نَيْلِيهِ وَمُعْتَلِفِيهِ . وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَةَ الْإِبِلِ نَيْتَةَ الرَّيْبِ^(٧) إِلَى أَنْ أَنْتَكْتَ قَتْلَهُ . وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ^(٨) وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ^(٩) فَمَا رَاعَنِي إِلَّا

= قالوا : وخرج الإمام علي واجداً ، فقال المقداد بن الأسود لعبد الرحمن : والله لقد تركت علياً وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون ، فقال : يا مقداد لقد تفصيت الجهد للمسلمين . فقال المقداد : والله إني لأعجب من قریش أنهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أن رجلاً أقضى بالحق ولا أعلم به منه ، فقال عبد الرحمن : يا مقداد إني أخشى عليك الفتنة فاتق الله .

ثم لما حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ووجد عليه كبار الصحابة روى أنه قيل لعبد الرحمن هذا عمل يدريك ، فقال : ما كنت أظن هذا به ولكن لله علي أن لا أكلمه أبداً ، ثم مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان ، حتى قيل : إن عثمان دخل عليه في مرضه يعودوه فتحول إلى الحائط لا يكلمه . والله أعلم والحكم لله يفعل ما يشاء .

(١) المشابه بعضهم بعضاً دونه .

(٢) أسف الطائر دنا من الأرض يريد أنه لم يخالفهم في شيء .

(٣) صغى صغى وصفا صغوا مال ، والضغن الضغينة يشير إلى سعد .

(٤) يشير إلى عبد الرحمن .

(٥) يشير إلى أغراض آخر يكره ذكرها .

(٦) يشير إلى عثمان وكان ثالثاً بعد انضمام كل من طلحة والزبير وسعد إلى صاحبه كما تراه في خبر القضية . ونافجاً حضنيه رافعاً لهما ، والحضن ما بين الإبط والكشح . يقال للمتكبر جاء نافجاً حضنيه . ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاماً ، والنيل الروث ، والمعتلف من مادة علف موضع العلف وهو معروف أي لا هم له إلا ما ذكر .

(٧) الخضم على ما في القاموس الأكل أو بأقصى الأضرار أو ملء الفم بالمأكول أو خاص بالشيء الرطب . والقضم الأكل بأطراف الأسنان أخف من الخضم ، والنبئة بكسر النون كالنبات في معناه .

(٨) انتكث قتله انتقض . وأجهز عليه عمله تم قتله . تقول أجهزت على الجريح وذفت عليه .

(٩) البطنة بالكسر البطر والأشر والكظة (أي التخمة) والإسراف في الشبع . وكبت به من =

وَالنَّاسُ كَعُزْبِ الضَّبْعِ إِلَيَّ^(١) يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . حَتَّى لَقَدْ
وُطِئَ الْحَسَنَانِ . وَشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِضَةِ الْغَنَمِ^(٢) . فَلَمَّا
نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكُثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ^(٣) . كَأَنَّهُمْ لَمْ
يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا
يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(٤) . بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ
سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا . وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَّتِ الدُّنْيَا فِي أَغْنِيهِمْ^(٥) . وَرَاقَهُمْ زِينَتُهَا .
أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ . وَبَرَأَ النَّسَمَةَ^(٦) . لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ^(٧) . وَقِيَامُ
الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ . وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُوا عَلَى كِبَاطَةِ
ظَالِمٍ . وَلَا سَعْبٍ مَظْلُومٍ^(٨) . لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبَيْهَا^(٩) . وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا
بِكَأْسٍ أُولَئِهَا . وَلَأَلْقَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَقْفَةِ عَنزٍ^(١٠) .

= كبا الجواد إذا سقط لوجهه .

- (١) عرف الضبع ما كثر على عنقه من الشعر وهو تخين يضرب به المثل في الكثرة والازدحام ، وينتالون يتابعون مزدحمين . والحسان ولداه الحسن والحسين ، وشق عطفاه خدش جانبيه من الاصطكاك . وفي رواية شق عطافي والعطاف الرداء كان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة .
- (٢) ربيعة الغنم الطائفة الرابضة من الغنم يصف ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه .
- (٣) الناكثة أصحاب الجمل ، والمارقة أصحاب النهروان والقاسطون أي الجائرون أصحاب صفين .
- (٤) سورة القصص: آية ٨٣ .
- (٥) حليت الدنيا من حليت المرأة إذا تزينت بحليها ، والزبرج الزينة من وشي أو جوهر .
- (٦) النسمة محركة الروح ، وبرأها خلقها .
- (٧) من حضر لبيعته ولزوم البيعة لذمة الإمام بحضوره .
- (٨) والناصر الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة . والكظة ما يعتري الأكل من امتلاء البطن بالطعام والمراد استئثار الظالم بالحقوق ، والسغب شدة الجوع والمراد منه هضم حقوقه .
- (٩) الغارب الكاهل والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر .
- (١٠) عطفة العنز ما تنثره من أنفها كالعطفة ، عطفة تعطف من باب ضرب ، غير أن أكثر =

(قَالُوا) وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ^(١) عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ فَنَازَلَهُ كِتَابًا فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ . قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَطْرَدْتَ خُطْبَتَكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ . فَقَالَ : هِيَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شَيْفِقَةٌ^(٢) هَدَرْتُ ثُمَّ قَرْتُ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَوَاللَّهِ مَا أَسِفْتُ عَلَى كَلَامٍ قَطُّ كَأَسْفِي عَلَى هَذَا الْكَلَامِ أَنْ لَا يَكُونَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ (قَوْلُهُ) كَرَاجِبِ الصُّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا حَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحُّمَ (يُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا شَدَّ عَلَيْهَا فِي جَذْبِ الرِّمَامِ وَهِيَ تُتَارَعُهُ رَأْسَهَا حَرَمَ أَنْفِهَا وَإِنْ أُرْخِيَ لَهَا شَيْئًا مَعَ صَعُوبَتِهَا تَقَحَّمَتْ بِهِ فَلَمْ يَمْلِكْهَا . يُقَالُ أَشْنَقَ النَّاقَةَ إِذَا جَذَبَ رَأْسَهَا بِالرِّمَامِ فَرَفَعَهُ وَشَقَّقَهَا أَيْضًا .

إليك شذرات من زهده وفصاحته عليه السلام

(اِقْتَضَفْتُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيِّ وَهُوَ غَابِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ دُعِيَ إِلَى وَلِيمَةٍ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِهَا فَمَضَى إِلَيْهَا) .

أَمَّا بَعْدُ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ

= ما يستعمل ذلك في النعجة ، والأشهر في العنز النعطة بالنون ، يقال ما له عافط ولا نافط أي نعجة ولا عنز ، كما يقال ما له ثاغية ولا راغية ، والنعطة الحبة أيضاً لكن الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدم .

(١) السواد العراق وسمي سواداً لخضرته بالزرع والأشجار . والعرب تسمي الأخضر أسود قال الله تعالى : ﴿ مَدَاهِمَاتَانِ ﴾ يريد الخضرة كما هو ظاهر .

(٢) الشفقة بكسر فسكون فكسر شيء كالرثة يخرج البعير من فيه إذا هاج ، وصوت البعير بها عند إخراجها هدير ، ونسبة الهدير إليها نسبة إلى الآلة ، قوله في شأن زياد إنني أعلم من وضعه في رحم أمه يريد نفسه .

دَعَاكَ إِلَى مَادْبَةِ^(١) فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ^(٢) وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ غَائِلُهُمْ مَجْفُو^(٣) . وَغَنِيَهُمْ مَدْعُو . فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضِمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ^(٤) ، فَمَا أَشْتَبَهُ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظَةُ^(٥) ، وَمَا أَقْنَتَ بِطِيبِ وَجْهِهِ^(٦) فَتَلَّ مِنْهُ .

أَلَا وَإِنْ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ ، أَلَا وَإِنْ إِمَامُكُمْ قَدْ أَكْفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمَرِيهِ^(٧) ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ . أَلَا وَإِنْكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ ، وَعِفَةٍ وَسَدَادٍ^(٨) . فَوَاللَّهِ مَا كَسَرْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ يَسْرًا ، وَلَا ادْخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفَرًا^(٩) ، وَلَا أَعَدَدْتُ لِيَالِي ثَوْبِي طِمْرًا^(١٠) .

بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَذَكَ مِنْ كُلِّ مَا أَظْلَمَتُهُ السَّمَاءُ ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ وَسَخَّتْ عَنْهَا نَفُوسُ آخَرِينَ . وَنِعَمَ الْحَكَمُ اللَّهُ . وَمَا أَصْنَعُ

(١) المادبة - بفتح الدال وضمها - : الطعام يصنع لدعوة أو عرس .

(٢) تستطاب يطلب لك طيبها . والألوان : أصناف الطعام والجفان - بكسر الجيم - : جمع جفنة القصعة .

(٣) سائلهم : محتاجهم ، مجفو أي مطرود من الجفاء .

(٤) قضم - كسم - أكل بطرف أسنانه والمراد الأكل مطلقاً ، والمقضم كقمعد المأكل .

(٥) اطرحه حيث اشتبه عليك حله من حرمته .

(٦) بطيب وجوهه بالحل في طرق كسبه .

(٧) الطمر - بالكسر - : الثوب الخلق .

(٨) إن ورع الولاة وعفتهم يعين الخليفة على إصلاح شؤون الرعية .

(٩) التبر - بكسر فسكون - : فئات الذهب والفضة قبل أن يصاغ . والوفر المال .

(١٠) أي ما كان يهسىء لنفسه طمراً آخر بدلاً عن الثوب الذي يبلى ، بل كان ينتظر حتى يبلى ثم يعمل الطمر ، والثوب هنا عبارة عن الطمرين فلان مجموع الرداء والإزار يعد ثوباً واحداً فهما يكسو البدن لا بأحدهما .

بِفَدْلِكَ وَغَيْرِ فَدْلِكَ وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدْتُ^(١) تَنْقِطُ فِي ظُلْمَتِهِ
 آثَارُهَا ، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا ، وَحُفْرَةُ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَأَوْسَعَتْ يَدًا حَافِرُهَا
 لَأَضْفَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدْرُ^(٢) ، وَسَدُّ فَرْجِهَا التَّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ ، وَإِنَّمَا هِيَ
 نَفْسِي أَرَوْضُهَا بِالتَّقْوَى^(٣) لِتَأْتِيَّ آمَنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ ، وَتَثْبِتَ عَلَيَّ
 جَوَانِبَ الْمَرْئِي^(٤) . وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ^(٥) إِلَى مُصَفَى هَذَا
 الْعَسَلِ وَلُبَابِ هَذَا الْقَمَحِ وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَرِّ ، وَلَكِنْ هِيَ هَاتِ أَنْ يَغْلِبَنِي
 هَوَايَ وَيَقُودَنِي جَشْعِي^(٦) إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعَمَةِ . وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ
 الْيَمَامَةِ^(٧) مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّعْبِ ، أَوْ أُبَيْتَ

(١) فذك - بالتحريك - : قرية لرسول الله ﷺ كان صالح أهلها على النصف من نخيلها بعد
 فتح خيبر ، وإجماع الشيعة على أنه كان أعطاها فاطمة عليها السلام قبل وفاته إلا أن
 أبا بكر ردها لبيت المال قائلًا : إنها كانت مالا في يد النبي يحمل به الرجال وينفقه
 في سبيل الله وأنا إليه كما كان عليه . ولعلماء الشيعة الكثير من الأدلة المؤكدة التي
 تثبت أحقية الزهراء في فذك وطلان مزاعم خصومها ، لأنها كانت صاحبة اليد في
 حياة النبي ﷺ ، وبعد وفاته فراجع المصادر لتعلم . والقوم الآخرون الذين سحت
 نفوسهم عنها هم بنو هاشم . المظان : جمع مظنة وهو المكان الذي يظن فيه وجود
 الشيء . وموضع النفس الذي يظن وجودها فيه في غد جدت بالتحريك أي قبر .

(٢) أضغطها جعلها من الضيق بحيث تضغط وتعصر الحال فيها .

(٣) أروضها : أذلها .

(٤) موضع ما تخشى الزلة وهو الصراط .

(٥) كان عليه السلام إماماً عالي السلطان واسع الإمكان فلو أراد التمتع بأي اللذائذ شاء لم
 يمنعه مانع ، لا شرعي ولا عرفي ، وهو قوله عليه السلام : لو شئت لاهتديت إلى
 مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح إلى آخر خطبته في نهج البلاغة فراجع .

(٦) الجشع : شدة الحرص .

(٧) جملة ولعل الخ الحالية عمل فيها تخيير الأطعمة أي هيهات أن يتخير الأطعمة لنفسه
 والحال أنه قد يكون بالحجاز أو اليمامة من لا يجد القرص أي الرغبة ولا طمع له
 في وجوده لشدة الفقر ولا يعرف الشعب ، وهيهات أن يبيت مبطاناً أي متمتلاً البطن
 والحال أن حوله بطوناً غرضي أي جائعة وأكبداً حري مؤنث حران أي عطشان .

مِيطَانًا وَخَوْلِي بَطُونٌ غَزْنِي وَأَكْبَادُ حَرَى ؟ أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :
وَحَسْبُكَ ذَاةٌ أَنْ تَبْتَ يِيطْنَةَ^(١) وَحَوْلَكَ أَكْبَادُ تَجْنُ إِلَى الْقِدِّ

أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ
الدَّهْرِ ، أَوْ أَكُونُ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ^(٢) . فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي
أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هُمَهَا عُلْفَهَا ، أَوْ الْمُرْسَلَةِ شُغْلَهَا
تَقْمُمُهَا^(٣) ، تَكْتَرِشُ مِنْ أَغْلَافِهَا وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا . أَوْ أَتَرَكَ سُدَى أَوْ
أَهْمَلَ عَابِثًا ، أَوْ أَجْرُ حَبْلِ الضَّلَالَةِ ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاعَةِ^(٤)
إِلَى أَنْ قَالَ :

إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ^(٥) ، قَدْ أَنْسَلْتُ مِنْ
مَخَالِكَ ، وَأَفْلْتُ مِنْ حَبَائِلِكَ ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَذَاحِصِكَ . أَيْنَ
الْقُرُونُ الَّذِينَ غَزَرَتْهُمْ بِمَذَاعِبِكَ^(٦) أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنَتْهُمْ بِزُخَارِفِكَ .
هَآ هُمْ زَهَائِنُ الْقُبُورِ وَمَضَامِينُ اللَّحُودِ . آغْزِبِي عَنِّي^(٧) . فَوَاللَّهِ لَا أُذِلُّ
لَكَ فَتَسْتَذِلَّنِي ، وَلَا أَسْلُسُ لَكَ فَتَقُودِينِي . وَآيَمُ اللَّهِ يَمِينًا أَسْتَشِي فِيهَا

(١) البطنة - بكسر الباء - البطر والأشر والكظة . والقدر - بالكسر - : سير من جلد غير
مدبوغ أي أنها تطلب أكله ولا تجده .

(٢) الجشوبة : الخشونة .

(٣) التقاطها للقمامة أي الكناسة وتكترش أي تملأ كرشها .

(٤) اعتسف : ركب الطريق على غير قصد ، والمتاعه موضع الحيرة .

(٥) إليك عني : اذهبي عني . والغارب : الكاهل وما بين السنام والعنق . والجملة تمثيل
لتسريحها تذهب حيث شاءت . وانسل من مخالبيها : لم يعلق به شيء من شهواتها .
والجبال : جمع حبال شبكة الصياد . وأفلت منها : خلاص . والمداحض :
المساقط .

(٦) والمداعب : جمع مدعبة - من الدعابة - هي المزاح .

(٧) عزب يعزب أي بعد . ولا أسلس أي لا أنقاد .

بِمَشِيئَةِ اللَّهِ لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهْشُ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ ^(١) إِذَا قَدَّرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُومًا ، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَادُومًا ، وَلَأَدْعُنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينِهَا ^(٢) مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا . أَتَمْتَلِي السَّائِمَةَ مِنْ رَغِيهَا فَتَبْرَكَ ، وَتَشْبَعُ الرِّيْضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرِيضَ ^(٣) وَيَأْكُلُ عَلَيَّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ ^(٤) ؟ قَرَّتْ إِذَا غَيْنُهُ ^(٥) إِذَا أَقْتَدَى بَعْدَ السَّيْنِ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ ^(٦) وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ .

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرَضَهَا ، وَعَرَكَتْ بِجَنِبِهَا بُؤْسَهَا ^(٧) . وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُضْمَهَا ^(٨) حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا أَفْتَرَشَتْ أَرْضَهَا وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا فِي مَغْشَرِ أَشْهَرِ عُيُونِهِمْ خَوْفَ مَعَادِهِمْ ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبَهُمْ . وَهَمَّهَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ ^(٩) ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبَهُمْ ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

فَاتَّقِ اللَّهَ يَا آتِنَ حُنَيْفٍ وَلْتَكْفِكَ أَقْرَاصُكَ لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ .

(١) تهش أي تنبسط إلى الرغبة وتفرح به من شدة ما حرمها ، ومطعوماً حال من القرص كما أن مادوماً حال من الملح أي مادوماً به الطعام .

(٢) أي لاتركن مقلتي أي عيني وهي كعين ماء نضب أي غار معينها - بفتح فكسر - أي ماؤها الجاري ، أي أبكى حتى لا يبقى دمع .

(٣) الريضة : الغنم مع رعاتها إذا كانت في مرايضها . والريوض للغنم كالبروك للإبل .

(٤) يهجع أي يسكن كما سكنت الحيوانات بعد طعامها .

(٥) دعاء على نفسه ببرود العين أي جمودها من فقد الحياة تعبير باللازم .

(٦) الهاملة : المسترسلة . والهمل من الغنم : ترعى نهاراً بلا راع .

(٧) البؤس : الضر . وعركه بالجنب : الصبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه . ويقال فلان يعرك بجنبه الأذى إذا كان صابراً عليه .

(٨) والغمض - بالضم - : النوم . والكرى - بالفتح - : كذلك .

(٩) الهمهمة : الصوت يردد في الصدر وأراد منه الأعم . وتقشع الغمام : انجلى .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَذْكُرُ فِيهَا عَجِيبَ خَلْقَةِ الطُّلُوسِ

أَبْتَدَعَهُمْ خَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيَوَانَ وَمَوَاتٍ ، وَسَاكِينَ وَذِي حَرَكَاتٍ .
فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صُنْعِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا أَنْقَادَتْ لَهُ
الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَمُسَلِّمَةً لَهُ . وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَالُهُ عَلَى
وَحْدَانِيَّتِهِ ^(١) ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُورِ الْأَطْيَارِ ^(٢) الَّتِي أَسْكَنَهَا أَحَادِيدَ
الْأَرْضِ وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا ، وَرَوَاسِيَ أَعْلَامِهَا . مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ،
وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ ^(٣) وَمُرْفَرَفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي
مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُتَفَسِّحِ ، وَالْقَضَاءِ الْمُتَفَرِّجِ . كَوْنُهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي
عَجَائِبِ صُورِ ظَاهِرَةٍ ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُخْتَجِبَةٍ ^(٤) . وَمَنَعَ
بَعْضُهَا بِعِيَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي السَّمَاءِ خُفُوفًا ، وَجَعَلَهُ يَدْفُ ذَفِيفًا .
وَنَسَقَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِغِ ^(٥) بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ وَدَقِيقِ صُنْعَتِهِ .

(١) نَعَقَتْ مِنْ نَعَقٍ بِغَنَمَةٍ - كَمَنَعَ - : صَاحَ .

(٢) ذَرَأَ : خَلَقَ . وَالْأَحَادِيدَ - جَمْعُ أَخْدُودِ الشَّقِّ فِي الْأَرْضِ وَالْخُرُوقِ جَمْعُ خُرُقٍ - :
الْأَرْضَ الْوَاسِعَةَ تَنْخَرُقُ فِيهَا الرِّيحُ . وَالْفِجَاجُ - جَمْعُ فَجٍّ - : الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ وَقَدْ
يَسْتَعْمَلُ فِي مَتَنِ الْفَلَاحِ . وَالْأَعْلَامُ جَمْعُ عَلَمٍ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ الْجَبَلُ .

(٣) يَصْرِفُهَا اللَّهُ فِي أَطْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ تَتَنَقَّلُ فِيهَا بِزِمَامِ تَسْخِيرِهِ وَاسْتِخْدَامِهِ لَهَا فِيمَا خَلَقَهَا
لِأَجَلِهِ . وَمُرْفَرَفَةٍ مِنْ رَفْرِفِ الطَّائِرِ بَسْطِ جَنَاحِهِ . وَالْمَخَارِقُ - جَمْعُ مَخْرَقٍ - :
الْفَلَاةُ . وَشَبَّ الْجَوَّ بِالْفَلَاةِ لِلْسَّعَةِ فِيهَا .

(٤) الْحِقَاقُ - كِتَابٌ - : جَمْعُ حَقٍّ بِالضَّمِّ - مَجْتَمِعُ الْمَفْصَلِينَ وَاحْتِجَابِ الْمَفَاصِلِ :
اسْتَتَارَهَا بِاللَّحْمِ وَالْجِلْدِ . وَالْعِيَالَةُ : الضَّخَامَةُ . وَيَسْمُو : يَرْتَفِعُ . وَخُفُوفًا : سُرْعَةً
وَخَفَةً . وَدَفِيفُ الطَّائِرِ : مَرُورُهُ فَوْقَ الْأَرْضِ ، أَوْ أَنْ يَحْرُكَ جَنَاحَهُ وَرِجْلَاهُ فِي
الْأَرْضِ . وَيَدْفُ بِضَمِّ الدَّالِ ^(٥) .

(٥) فِي الْمَنْجَدِ بِكَسْرِ الدَّالِ .

(٥) نَسَقَهَا : رَتَبَهَا . وَالْأَصَابِغُ : جَمْعُ أَصْبَاغٍ - بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ - : جَمْعُ صَبْغٍ بِالْكَسْرِ وَهُوَ
الْلَوْنُ أَوْ مَا يَصْبِغُ بِهِ .

فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالِبٍ ^(١) لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنٍ مَا غَمِسَ فِيهِ . وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنٍ صَبِغٍ قَدْ طُوقَ بِخِلَافٍ مَا صُبِغَ بِهِ وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا الطَّائُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ ^(٢) ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصْبَهُ ، وَذَنْبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ . إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشْرَهُ مِنْ طِيٍّ ، وَسَمًا بِهِ مُطْلًا عَلَى رَأْسِهِ ^(٣) كَأَنَّهُ قَلَعَ دَارِي عَنَجَهُ نَوْتِيَهُ . يَخْتَالُ بِاللَّوَانِيهِ ، وَيَمِيسُ بِزَيْفَانِيهِ . يُفْضِي كَأَفْضَاءِ الدِّيَكَةِ ، وَيُؤَرُّ بِمَلَاقِحَةٍ أَرُّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ ^(٤) فِي الضَّرَابِ . أُحِيلُكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايِنَةٍ ^(٥) ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ إِسْنَادِهِ ، وَلَوْ كَانَ كَزَعَمٍ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ ^(٦) ، فَتَقِفُ فِي ضَفْتِي جُفُونِهِ وَأَنْ أَتَنَاهُ

(١) القلب مثال تفرغ فيه الجواهر لتأتي على قدره . والطائر ذو اللون الواحد كأنما أفرغ في قالب من اللون . وقوله : قد طوق أي جميع بدنه بلون واحد إلا لون عنقه فإنه يخالف سائر بدنه كأنه طوق صبغ لحيته .

(٢) التضيد : النظم والترتيب . وقوله : أشرج قصبه : أي داخل بين أحاده ونظمها على اختلافها في الطول والقصر وإذا مشى إلى أنثاه ليسافدها نشر ذلك الذنب بعد طيه .

(٣) سما به أي ارتفع به ، أي رفعه مطلقاً على رأسه ، أي مشرفاً عليه كأنه يظلمه . والقلم - بكسر فسكون - : شراع السفينة . وعنجه : جذبه فرفعه ، من عنجت البعير إذا جذبته بخطامه فرددته على رجليه . ويختال : يعجب . ويميس : يتبختر بزيفان ذنبه . وأصل الزيفان التبختر أيضاً ويريد به هنا حركة ذنب الطائوس يميناً وشمالاً .

(٤) يفضي : أي يسافد أنثاه كما تسافد الديكة جمع ديك . ويؤر - كيشد - أي يأتي أنثاه . بملاقحة أي مسافدة يفرز فيها مادة تناسلية من عضو التناسل يدفعها في رحم قابل . والمغتلمة : على صيغة اسم الفاعل . من اغتلم إذا غلب للشهوة . والضراب : لقاح الفحل لأنثاه .

(٥) أي إن لم يكفك الخبر فلإني أحولك عنه إلى المعاينة فاذهب وعابن تجد صدق ما أقول .

(٦) تسفحها أي ترسلها أوعية الدمع . وصفة الجفن : استعاره من ضفتي النهر بمعنى جانبيه . وتطعم ذلك - كتعلم - أي تذوقه كأنها تترشفه . ولقاح الفحل - كحباب - ماء التناسل يلقي به الأنثى . والمنبجس التابع من العين .

تَطْعَمُ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَبْيَضُ لَا مِنْ لِقَاحٍ . فَحُلِ سَوَى الدُّمْعِ الْمُتَبَجِّسِ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبٍ مِنْ مُطَاعِمَةِ الْغُرَابِ ^(١) . تَخَالُ قَصَبُهُ مَذَارِي مِنْ فِضَّةٍ وَمَا أُثْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبٍ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِيقَانِ وَفَلَذَ الزُّبْرَجِدِ ^(٢) فَإِنْ شَبَّهْتُهُ بِمَا أُثْبِتَ الْأَرْضُ قُلْتَ جَنِيٌّ جُنِيٍّ مِنْ زَهْرَةٍ كُلِّ رَيْبِعٍ ^(٣) . وَإِنْ ضَامَتُهُ بِالْمَلَايِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيٍّ الْحُلَلِ ^(٤) ، أَوْ مُوْنِيٍّ غَضَبِ الْيَمَنِ . وَإِنْ شَاكَلْتُهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ الْوَانِ قَدْ نَطَقَتْ بِاللَّجِينِ الْمُكَلَّلِ ^(٥) . يَمْشِي مَشْيَ الْمَرْحِ الْمُخْتَالِ ^(٦) وَتَتَصَفَّحُ ذَنَبُهُ وَجَنَاحِيهِ فَيَقْهَقُهُ ضَاحِكاً لِحِمَالِ سِرْبَالِهِ وَأَصَابِيغِ وَشَاجِهِ ^(٧) فَإِذَا رَمَى

(١) لما كان ذلك بأعجب أي لو صَحَّ ذلك الزعم في الطاووس لكان له نظير فيما زعموا في مطاعمة الغراب وتلقيحه لآثاء حيث قالوا إن مطاعمة الغراب بانتقال جزء من الماء المستقر في قانصة الذكر إلى الأنثى تتناوله من منقاره . والمماثلة بين الزعمين في عدم الصحة ، ومنشأ الزعم في الغراب إخفاؤه لسفاده حتى ضرب المثل بقولهم : أحفى من سفاذ الغراب .

(٢) القصب - جمع قصبه - : هي عمود الريش . والمداري - جمع مدري بكسر الميم - : قال ابن الأثير : المدري والمدرة مصنوع من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد ويستعمله من لا مشط له . والدارات : حالات القمر . والعقيان : الذهب الخالص أو ما ينمو منه في معدنه . وفلذ - كعنب - جمع فلذة بمعنى القطعة . وما أثبت معطوف على قصبه . والنشيه في بياض القصب والصفرة والخضرة في الريش .

(٣) جنى أي مجتنى جمع كل زهر لانه جمع كل لون .
(٤) الموشى : المنقوش المنمنم على صيغة اسم الفاعل . والعصب - بالفتح - : ضرب من البرود منقوش .

(٥) جعل اللجين - وهو الفضة - منطقة لها . والمكمل لها : المزين بالجواهر . فكما تمنطقت الفصوص باللجين كذلك زين اللجين بها .

(٦) المرح - ككتف - المعجب والمختال الزاهي بحسنه .

(٧) السربال : اللباس مطلقاً أو هو الدرع خاصة والوشاح نظامان من لؤلؤ وجوهر يخالف بينهما ويمعطف أحدهما على الآخر بعد عقد طرفه به حتى يكونا كدائرتين إحداهما =

يَبْصِرُهُ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعُولًا بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبَيِّنُ عَنْ اسْتِغَاثَتِهِ ، وَشَهْدُ
بِصَادِقٍ تَوَجُّعِهِ ، لَأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمَشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ ^(١) وَقَدْ
نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبٍ سَاقِهِ صَيْصِيَّةٌ خَفِيَّةٌ ^(٢) . وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُزْرَعَةٌ
خَضْرَاءُ مُوشَاةٌ ^(٣) . وَمَخْرَجُ عُقْبِهِ كَالْإِبْرِيْقِ . وَمَغْرَزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ
كَصَيْبِ الْوَيْسَمَةِ الْبِمَانِيَّةِ ^(٤) ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْءَاءَ ذَاتِ صِقَالٍ ^(٥) . وَكَأَنَّهُ
مُتَلَفَعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ ^(٦) . إِلَّا أَنَّهُ يُخِيلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيْقِهِ أَنَّ الْخُضْرَةَ
النَّاصِرَةَ مُتَنَزِّجَةً بِهِ . وَمَعَ فَتْقٍ سَمِعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ
الْأَفْحَوَانِ ^(٧) أَيْضُ يَقُو . فَهُوَ بَيَاضُهُ فِي سَوَادٍ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ ^(٨) . وَقَلُّ
صَبْغٍ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ ^(٩) ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيْقِهِ وَبَصِيصِ

-
- = داخل الأخرى كل جزء من الواحدة يقابل جزءاً من قريبتها ثم تلبسه المرأة على هيئة
حمالة السيف ، وأديم عريض مرصع بالجواهر يلبس كذلك ما بين العاتق والكشح .
- (١) زقا يزقو : صاح ، وأعول فهو معول رفع صوته بالبكاء يكاد يبين أن يفصح عن
استغاثته من كراهة قوائمه أي ساقيه . حمش - جمع أمحش - أي دقيق . والدبك
الخلاسي - بكسر الخاء - هو المتولد بين دجاجتين هندية وفارسية .
- (٢) وقد نجمت أي نبتت من ظنبوب ساقه أي من حرف عظمه الأسفل صيصية وهي شوكة
تكون في رجل الديك . والظنبوب - بالضم - كعقوب عظم حرف الساق .
- (٣) القنزعة - بضم القاف والزاي بينهما سكون - : الخصلة من الشعر تترك على رأس
الصبي . وموشاة : منقوشة .
- (٤) مغرزاها : الموضع الذي غرز فيه العنق منتهياً إلى مكان البطن لونه كلون الوسمه وهي
نبات يخضب به ، أو هي نبات النيل الذي منه صنع النيلج المعروف بالنيلة .
- (٥) الصقال : الجلاء .
- (٦) المعجر - كمنبر - : ثوب تعتج به المرأة فتضع طرفه على رأسها ثم تمر الطرف الآخر
من تحت ذقنها حتى ترده إلى الطرف الأول فيغطي رأسها وعنقها وعاتقها وبعض
صدرها وهو معنى التلفع هنا . والأسجم الأسود .
- (٧) الأفحوان : البابونج . واليقق - محركاً - : شديد البياض .
- (٨) يلمع .
- (٩) نصيب .

دِيَابِجِهِ وَرَوْنِقِهِ^(١) . فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ^(٢) لَمْ تَرْبُهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ^(٣) وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ . وَقَدْ يَتَحَسَّرُ مِنْ رِيَشِهِ^(٤) ، وَيَتَعَرَّى مِنْ لِبَاسِهِ ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى ، وَيَنْبُتُ تَبَاعًا ، فَيَنْحَتُ مِنْ قَصْبِهِ أَنْجَتَاتُ أُرَاقِ الْأَغْصَانِ^(٥) ، ثُمَّ يَتَلَاخَقُ نَائِمًا حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ . لَا يُخَالِفُ سَالِفَ الْوَانِيهِ ، وَلَا يَقَعُ لَوْذٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ . وَإِذَا تَصَفَّحَتْ شُعْرَةٌ مِنْ شَعْرَاتِ قَصْبِهِ أَرْتَكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً ، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبْرَجْدِيَّةً ، وَأَخْيَانًا صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً^(٦) . فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هَذَا عَمَائِقِ الْفِطَنِ^(٧) ، أَوْ تَبْلُغَهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ . وَأَقْلُ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامُ أَنْ تُذَرِّكَهُ ، وَالْأَلْسِنَةُ أَنْ تَصِفَهُ . فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ^(٨) عَنْ وَصْفِ خَلْقِ جَلَاهُ لِلْعَيُونِ فَأَذْرَكَهُ مَحْدُودًا مُكُونًا ، وَمُؤَلَّفًا مُلَوَّنًا . وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ . وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ^(٩) وَالْهَمْجَةَ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحَيَاتِنِ وَالْأَفْقَلَةِ . وَوَأَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَضْطَرِبَ شَبَجٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ ،

(١) علاه أي فاق اللون الذي أخذ نصيباً منه بكثرة جلالة . والبصيص : اللمعان . والرونيق : الحسن .

(٢) الأزاهير : جمع أزهار جمع زهر .

(٣) لم تربها ، فعل من التربية ، والقَيْظُ : الحر .

(٤) يتحسر هو من حسره أي كشفه ، أي وقد يتكشف من ريشه . وتترى أي شيئاً بعد شيء .

(٥) ينحت : يسقط وينقشر .

(٦) ذهبية .

(٧) عمائيق جمع عميقة .

(٨) بهر العقول : قهرها فردها . وجلاله - كجلاله - كشفه .

(٩) الذرة : واحدة الذر : صغار النمل . والهمجة - محركة - واحدة الهمج : ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم . وقوائمه : أرجلها . وأدمجها : أودعها فيها .

وَالْفَنَاءَ غَايَتُهُ^(١) .

(مِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ) فَلَوْ رَمَيْتَ بَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَمَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَرَفْتَ نَفْسَكَ^(٢) عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاطِرِهَا ، وَلَذَهَلْتَ بِالْفَكْرِ فِي أَصْطِفَاقِ أَشْجَارِ^(٣) غُيْبَتِ عُرُوقُهَا فِي كُتُبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ، وَبِ تَعْلِيلِ كِبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ فِي عَسَالِيحِهَا وَأَفْنَانِهَا^(٤) ، وَطُلُوعِ بَلَكِ الثَّمَارِ مُخْتَلِفَةٍ فِي غُلْفِ أَكْمَامِهَا^(٥) . تُخْنِي مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ^(٦) فَتَأْتِي عَلَى مُنْبَةِ مُجْتَنِيهَا ، وَيُطَافُ عَلَى نَزَالِهَا فِي أَفْيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّاةِ^(٧) ، وَالْحُمُورِ الْمُرُوقَةِ . قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتِمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْفَرَارِ^(٨) ، وَأَمِنُوا نَقْلَةَ الْأَسْفَارِ . فَلَوْ شَغَلَتْ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ بَلَكِ الْمَنَاطِرِ الْمُوْنَقَةِ^(٩) لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا ، وَلَتَحَمَلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا . جَعَلْنَا اللَّهُ وِثَاقَكُمْ مِنْ سَعَى يَاقْلِبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ .

(١) وَاي : وعد . والحمام : الموت .

(٢) عزفت الإبل - كفرح - : اشتكت بطونها من أكل العزف : وهو الثمام ، أي لكهت بدائع الدنيا كما تكرو الإبل الثمام أو لتألمت نفسك من النظر والتناول لما تراه من بدائع الدنيا كما تألم بطون الإبل من أكل الثمام .

(٣) اصطفاق الأشجار : تضارب أوراقها بالنسيم بحيث يسمع لها صوت . والكثبان - جمع كتيب - : وهو التل .

(٤) جمع فنن - بالتحريك - : وهو الغصن .

(٥) غلف بضمتين - جمع غلاف - : والأكمام جمع كم بكسر الكاف - وهو وعاء الطلع وغطاء النوار .

(٦) تخني من حناه حنواً عطفه .

(٧) المصفاة .

(٨) قوله : قوم الخ أي هم قوم أي نزال الجنة قوم شأنهم ما ذكره .

(٩) المونقة : المعجبة .

وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَذْكُرُ فِيهَا بَدِيعَ خَلْقَةِ الْخَفَافِشِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْحَسَرَتِ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ وَرَدَعَتْ
عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ . هُوَ اللَّهُ الْحَقُّ
الْمُبِينُ أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ
مُشَبَّهًا . وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلًا ، خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى
غَيْرِ تَمَثِيلٍ وَلَا مَشُورَةٍ مُشِيرٍ ، وَلَا مَعُونَةٍ مُعِينٍ . فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذَعَنَ
لِطَاعَتِهِ ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ ، وَأَنقَادَ وَلَمْ يَنَازِعْ . وَمِنْ لَطَائِفِ صُنْعِهِ
وَعَجَائِبِ خَلْقَتِهِ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِشِ الَّتِي
يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ . وَيَسْطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ .
وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا^(١) عَنْ أَنْ تَسْتَعِذَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُورًا تَهْتَدِي
بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا ، وَتَتَّصِلَ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا . وَرَدَعَهَا
بِتَلَاؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبْحَاتِ إِشْرَاقِهَا^(٢) وَأَكْنَهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ
الذَّهَابِ فِي بَلَجِ أَثْتِلَاقِهَا^(٣) ، فَهِيَ مُسْدِلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى
أَحْدَاقِهَا . وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي التَّمَاسِ أَرْزَاقِهَا . فَلَا يَرُدُّ
أَبْصَارَهَا إِسْدَافَ ظُلْمَتِهِ^(٤) . وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِعَسَقِ دُجَّتِهِ . فَإِذَا
أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا^(٥) ، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا

(١) العشا - مقصوراً -: سوء البصر وضعفه .

(٢) سبحات النور : درجاته وأطواره .

(٣) الالتحاق : اللمعان . والبلج - بالتحريك -: الضوء ووضوحه .

(٤) أسداف الليل : أظلم . والدجنة : الظلمة ، وغسق الدجنة : شدتها .

(٥) أواضاح - جمع وضع بالتحريك -: وهو هنا بياض الصبح .

عَلَى الضَّبَابِ فِي وَجَارِهَا^(١) أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانِ عَلَى مَايِهَا^(٢) وَتَبَلَّغَتْ بِمَا
 اكْتَسَبَتْ مِنْ فَيٍّ ظَلَمَ لَيَالِيهَا^(٣) . فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً
 وَمَعَاشاً . وَالنَّهَارَ سَكناً وَقَرَاراً . وَجَعَلَ لَهَا أُجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا
 عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيْرَانِ كَأَنَّهَا شَطَايَا الْأَذَانِ^(٤) ، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا
 قَصَبٍ^(٥) . إِلَّا أَنْكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَاماً^(٦) . لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا
 يَرِقًا فَيَنْشَقُّ^(٧) . وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَنْقَلَا . تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَا صِقَ بِهَا لِأَجَىءٍ إِلَيْهَا
 يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ . وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ : لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ .
 وَنَحْمِلُهُ لِلنَّهْوضِ جَنَاحُهُ . وَيَعْرِفُ مَذَاهِبَ غَيْثِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ .
 فَسُبْحَانَ الْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ^(٨) .

ومن خطبه الفريدة ، خطبتان له (عليه السلام)

إحداهما بلا الف والآخرى بلا نقطة

الأولى : في المناقب .

روى الكلبي ، عن أبي صالح وأبو جعفر بن بابويه قدس سره

(١) الضباب - ككتاب - : جمع صب الحيوان المعروف . والوجار - ككتاب - : الحجر .

(٢) جمع ماق ، وهو طرف العين مما يلي الأنف .

(٣) تبلفت : اكتفت أو اقتانت .

(٤) شطايا : جمع شظية - كعطية - : وهي الفلقة من الشيء ، أي كأنها مؤلفة من شقق
 الأذنان .

(٥) القصة : عمود الريشة أو أسفلها المتصل بالجنح ، وقد يكون مجرداً عن الزغب في
 بعض الحيوانات مما ليس بطائر كبعض أنواع القنفذ أو الفئران له قصب محدد
 الأطراف يرمي به صائده كما يرمي النابل ، ويعرف بالفأر الأمريكي .

(٦) أي رسوماً ظاهرة .

(٧) لما يرقا ، عبر بلما إشارة إلى أنهما مارقا في الماضي ولا هما رقيقان ، فهو نفى
 مستمر إلى وقت الكلام في أي زمن كان .

(٨) خلا تقدمه من سواء فحاذاه .

بإسناده عن الرضا عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام : أنه اجتمعت
 الصحابة فتذاكروا أن الألف أكثر دخولاً في الكلام فارتجل عليه السّلام
 الخطبة المونقة وهي : حمدتُ من عظمت منته وسبغت نعمته وسبقت
 رحمته غضبه ، وتمّت كلمته ، ونفذت مشيئته ، وبلغت قضيتّه ، حمدته
 حمداً مقررٌ بربوبيته ، متخضع لعبوديته ، متصل من خطيئته ، متفرد
 بتوحيده ، مؤملٌ منه مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فصلته وبنيه ، ونستعينه
 ونسترشده ونستهديه ، ونؤمن به ونتوكل عليه وشهدت له شُهوداً مخلصين
 موقن ، وفردته تفريداً مؤمن متيقن ، ووحدته توحيداً عبداً مذعن ، ليس له
 شريك في ملكه ولم يكن له ولي في صنعه ، جلّ عن مشير ووزير ، وعن
 عون ومعين ونصير ونظير علم فستر ، وبطن فخير ، وملك فقهر ، وعُصي
 فغفر ، وحكم فعدل ، لم يزل ولن يزول ، ليس كمثله شيءٌ وهو بعد كل
 شيءٍ ، ربٌّ معتزّ بعزته ، متمكّن بقوته ، متقدّسٌ بعلوه متكبرٌ بسُموه
 ليس يدرّكه بصر ، ولم يُحط به نظر ، قوي منيع ، بصير سميع ، رؤوف
 رحيم عجز عن وصفه من يصفه ، وضلّ عن نعمته من يعرفه ، قَرُب
 فَبُعْد ، وبُعْد فقرب ، يجيب دعوة من يدعوه ، ويرزقه ويحبوه ، ذولطفٍ
 خفي ، ويطشٍ قوي ، ورحمة موسعة ، وعقوبة موجعة ، رحمته جنة
 عريضة مونقة ، وعقوبته جحيم ممدودة موبقة ، وشهدتُ ببعث محمد
 رسوله وعبده وصفيه ونبيه ونجيه وحبيبه وخليله ، بعثه في خير عصر ،
 وحين فترة وكفر ، رحمةً لعبيده ، ومنةً لمزيدة ، ختم به نبوته ، وشيّد به
 حجته ، فوعظ ، ونصح وبلغ وكدح ، رؤوف بكل مؤمن ، رحيم ،
 رضي ولي زكي ، عليه رحمة وتسليم وبركة وتكريم ، من رب غفور
 رحيم ، قريب مجيب ، وصيّتكم معشر من حضرني بوصية ربكم ،
 وذكّرتكم بسنة نبيكم ، فعليكم برهبة تسكن قلوبكم ، وخشية تذري
 دموعكم ، وتقية تنجيكم قبل يوم يبلّيكُم ويذهلكُم ، يوم يفوز فيه من

ثقل وزن حسنته ، وخف وزن سيئته ولتكن مسألتكم وتملّكم مسألة ذُلّ
وخضوع ، وشكر وخشوع ، بتوبة ونزوع ، وندم ورجوع ، وليغتنم كل
مغتنم منكم صحته قبل سقمه ، وشيئته قبل هرمه ، وسعته قبل فقره ،
وفرغته قبل شغله ، وحضره قبل سفره ، قبل تكبرٍ وتهرّمٍ وتسقّم ، يملّه
طبيبه ويعرض عنه حبيبه ، ويقطع عمره ويتغير عقله ، ثم قيل هو
موعوك ، وجسمه منهوك ، ثم جدّ في نزع شديد ، وحضره كل قريب
وبعيد ، فشخص بصره وطمح نظره ، ورشح جبينه وعطف عرينه ،
وسكن حنينه ، وحزنته نفسه ، ويكته عرسه ، وحفر رمسه ، ويثّم منه
ولده ، وتفرّق منه عدده ، وقسّم جمعه ، وذهب بصره وسمعه ، ومُدّد
وجردّ وعُريّ وغُسل ، ونُشف وسُجّي ، وبُسط له وهيء ، ونُشر عليه
كفنه ، وشُدّ منه ذقنه ، وقمّص وعُمّم ، ووُدّع وسُلّم ، وحمل فوق
سرير ، وصُلّي عليه بتكبير ، ونُقل من دور مزخرفة ، وقصور مشيدة ،
وحُجِرٍ منجدة ، وجُعِل في ضريح ملحود وضيق مرصود ، بملبن
منضود ، مسقّف بجلمود ، وهيل عليه حفره ، وخُثي عليه قدره وتحقق
حضره ، ونسي خبره ، ورجع عنه وليه ، وصفيه ونديمه ونسيبه ، وتبدل
به قرينه وحبيبه ، فهو حشو قبر ، ورهين قفر ، يسعى بجسمه دود قبره
ويسيل صديده من منخره ، يسحق برمته لحمه ، وينشف دمه ويرم
عظمه ، حتى يوم حشره ، فنشر من قبره حين ينفخ في صور ، ويدعى
بحشر ونشور ، فثم بعثت قبور ، وحصلت سريرة صدور ، وحيء بكل
ني وصديق وشهيد ، وتوحد للفصل قدير ، بعبده خبير بصير ، فكم من
زفرة تضنيه ، وحسرة تنضيه ، في موقف مهول ، ومشهد جليل ، بين
يدي ملك عظيم ، وبكل صغير وكبير عليم ، فحينئذ يلجمه عَرَقه ،
ويحصره قلقة ، عبرته غير مرحومة ، وصرخته غير مسموعة وحجته غير
مقبولة ، زاول جريدته ، ونشر صحيفته ، نظر في سوء عمله ، وشهدت

عليه عينه بنظرة ، ویده ببطشه ، ورجله بخطوه ، وفرجه بلمسه ، وجلده بمسه ، فسلسل جیده ، وغلّت يده ، وسبق فسُحِب وحده ، فورد جهنم بکرب وشدة فظل يعدّب في جحيم ، وُسقى شربة من حميم ، تشوي وجهه وتسليخ جلده ، وتضربه زبنيته بمقمع من حديد ، ويعود جلده بعد نضجه كجلد جديد ، يستغيث فتعرض عنه خزنة جهنم ، ويستصرخ فيلبث حقبة يندم ، نعوذ برب قدير ، من شر كل مصير ، ونسأله عفو من رضي عنه ، ومغفرة مَن قبله ، فهو وليّ مسألتي ، ومنجح طلبتي ، فمن رُحِز عن تعذيب ربّه جُعِل في جنته بعزته وخُلِد في قصور مشيدة ، ومَلَك بحور عين وحفدة ، وطيف عليه بكؤوس وسكن حظيرة قدس ، وتقلّب في نعيم ، وسُقي من تسنيم ، وشرب من عين سلسيل ، ومُزج له بزنجيل ، مختم بمسك وعبير ، مستديم للملك ، مستشعر للسُرور ، يشرب من خمور في روض مغدق ليس يصدع من شربه ، وليس يتزف ، هذه منزلة من خشي ربه ، وحذّر نفسه معصيته ، وتلك عقوبة من جحد مشيئته ، وسوّلت له نفسه معصيته ، فهو قول فصل ، وحكم عدل ، وخير قصص قص ، ووعظ نص ، تنزيل من حكيم حميد ، نزل به روح قدس مبین ، على قلب نبي مهتد رشيد ، صلّت عليه رسل سفرة مكرمون بررة ، عُذتُ بربّ عليم رحيم كريم من شر كل عدو لعين رجيم ، فليتضرع متضرعكم ، وليتهل مبتهلكم ، ويستغفر كل مربوب منكم لي ولكم ، وحسبي ربي وحده .

ثم ارتجل الإمام عليه السّلام خطبةً أخرى خالية من النقط وهي على نسختين :

الأولى : الحمد لله الملك المحمود ، المالك الودود ، مُصَوّر كل مولود ، ومآل كل مطرود ، ساطح المهاد وموطّد الأطواد ، ومرسل

الأمطار ومسهل الأوطار ، علم الأسرار ومدرکها ، ومدمر الأملاك ومهلكها ، ومكور الدهور ومكررها ، ومورد الأمور ومصدرها ، عم سماحه وكمل ركامه ، وهمل ، وطاوع السؤال والأمل ، وأوسع الرمل وأرمل ، أحمدته حمداً ممدوداً ، وأوحده كما وحد الأواه ، وهو الله لا إله للأمم سواه ولا صادع لما عدله وسواه أرسل محمداً علماً للإسلام وإماماً للحكام مسدداً للرعاع ومعطلاً أحكاماً ودّ وسوّاع ، أعلم وعلم ، وحكم وأحكم ، وأصل الأصول ، ومهد وأكد الموعود ، وأوعد أوصل الله له الإكرام ، وأودع روحه السلام ، ورحم آله وأهله الكرام ، ما لمع رائل وملع دال ، وطلع هلال ، وسمع إهلال ، اعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال واسلكوا مسالك الحلال ، واطرحوا الحرام ، ودعوه ، واسمعوا أمر الله وعوه ، وصلوا الأرحام وراعوها وعاصوا الأهواء واردعوها ، وصاهروا أهل الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو والطمع ، ومصاهركم أظهر الأحرار مولداً وأسراهم سؤدداً ، وأحلاهم مورداً ، وما هو أمكم وحلّ حرّمكم مملکاً عروسکم المکرمة وما مهر لها كما مهر رسول الله أم سلمة ، وهو أكرم صهر أودع الأولاد وملك ما أراد وما سها مملکة ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم ، أسأل الله حکم أحقاد وصاله ، ودوام إسعاده ، وألهم کلاً إصلاح حاله والإعداد لمآله ومعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله أحمد .

الثانية : في المناقب .

روى الكلبي عن أبي صالح وأبو جعفر بن بابويه بإسناده عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه : إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ارتجل خطبة أخرى من غير نقط ، والتي أولها :

الحمد لله أهل الحمد وماواه ، وأوكد الحمد وأحلاه ، وأسرع

الحمد وأسراه ، وأظهر الحمد وأسماءه ، وأكرم الحمد وأولاه إلى
آخر الخطبة .

فقه علي وقضاءه

في مطلع هذا البحث نذكر كلام ابن أبي الحديد ، قال : وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي ، لأن شرف العلم بشرف المعلوم ، ومعلومه أشرف الموجودات ، فكان هو أشرف العلوم ، ومن كلامه عليه السلام : اقتبس ، وعنه نقل ، وإليه انتهى ومنه ابتدئ .

فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل ، وأرباب النظر ، ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته وأصحابه ، لأن كبيرهم وأصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وأبو هاشم تلميذ أبيه ، وأبوه ابن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وتلميذه .

أما الأشعرية فلأنهم يرجعون إلى أبي الحسن بن أبي بشير الأشعري ، وهو تلميذ أبي علي الجبائي ، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة ، فالأشعرية ينتهون بالآخرة إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم ، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام .

والإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر .

ومن العلوم المهمة (علم الفقه) وهو عليه السلام أصله وأساسه وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ، ومستفيد من فقهه وعلمه .

وأما أصحاب أبي حنيفة ، كأبي يوسف ، ومحمد ، وغيرهم
فأخذوا عن أبي حنيفة [وأبو حنيفة تلمذ على الإمام أبي عبد الله الصادق
عليه السلام وقال : لولا الستان لهلك النعمان] .

وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن ، فيرجع فقهه إلى أبي
حنيفة ، وأبو حنيفة قرأ على الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ،
وجعفر قرأ على أبيه ، وينتهي إلى علي بن أبي طالب عليه السلام .

وأما مالك فقرأ على ربيعة الرأي ، وقرأ ربيعة على عكرمة ، وقرأ
عكرمة على عبد الله بن العباس ، وقرأ عبد الله بن العباس على علي بن
أبي طالب عليه السلام .

وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان ذلك
لك ، فهؤلاء الفقهاء الأربعة ، أخذوا علمهم من علي بن أبي طالب
عليه السلام بالواسطة .

أما فقه الشيعة (الإمامية) فرجوعه إليه ظاهر ، وأيضاً فإن الصحابة
الأوائل أمثال عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن العباس ، فكلهما أخذ عن
علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأما ابن عباس فظاهر ، [وكان تلميذه
الأول] . وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل
التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة ، وقوله غير مرة : لولا علي
لهلك عمر ، وقوله : لا بقيت لمُعْصِلَةٌ ليس لها أبو الحسن ، وقوله : لا
يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر وهذا خير شاهد على ذلك ، فقد
عُرف بهذا الوجه انتهاء الفقه إليه .

وقد روت العامة والخاصة قوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم :
« أقضاكم علي » والقضاء هو الفقه بعينه ، فهو إذن أفقهم .

وقد روى الكل أن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم ، قال لعلي

عليه السّلام ، لما بعثه إلى اليمن قاضياً : « اللّهم اهد قلبه ، وثبّت لسانه ، قال علي عليه السّلام : فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين » .

وهو الذي أفتى في الحامل الزانية ، حيث قال لعمر بن الخطاب : (ما معناه) إذا كان لك عليها سلطان ، فما لك على الجنين سلطان .

وهو الذي أفتى ببراءة المرأة التي وضعت لستة أشهر ، في حين أفتى عثمان برجمها بتهمة الزنا ، حيث استدلّ على الآية الكريمة حيث قال تبارك وتعالى : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثين شهراً ﴾^(١) وفي موضع آخر قال : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾^(٢) أربع وعشرين شهراً رضاعة وستة أشهر حمل = ثلاثين شهراً ، وهناك قضاء وفتاوى عجيبة وكثيرة ذكرنا بعضها في الفصول السابقة^(٣) .

ومن العلوم التي حاز بها قصب السبق : علم تفسير القرآن ، وعنه أخذ ، ومنه فرّع ، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحّة ذلك ، لأن أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس ، وقد علم الكل ملازمته لعلي عليه السّلام وانقطاعه إليه ، وأنه تلميذه وخريج مدرسته ، وقد قيل له : أين علمك من علم ابن عمك عليّ ؟ فقال : كنسبة قطرة من المطر إلى بحر المحيط .

ومن العلوم التي امتاز بها : علم النحو والعربية ، وقد علّم الناس كافة أنّه هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه

(١) سورة الأحقاف : آية ١٥ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٣٣ .

(٣) فليراجع كتاب القضاء لأمير المؤمنين عليه السّلام للعلامة المحقق محمد تقي التستري ، طبع النجف .

وأصوله ، وجملتها : قال : « الكلام كله ثلاثة أشياء : إسم ، وفعل ، وحرف » ومن جملتها تقسيم الاسم إلى معرفة ونكرة ، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع ، والنصب ، والجر ، والجزم ؛ وهذا يكاد يلحق بالمعجزات ، لأنّ القوّة البشرية لا تفي بهذا الحصر ، ولا تنهض بهذا الاستنباط .

قال ابن سينا : لم يكن شجاعاً فيلسوفاً قط إلّا علي بن أبي طالب عليه السّلام .

وقال الشريف الرضي : من سمع كلامه عليه السّلام ، لا يشك أنه كلام من قبح في كسر بيت أو انقطع في سفح جبل ، لا يسمع إلّا جسّه ، ولا إلّا نفسه ، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب ، مصلاً سيفه ، فيسقط الرقاب ويجدل الأبطال ، ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجاً ، وهو مع ذلك ، زاهد الزهاد ، وبدل الأبدال ، وهذه من فضائله العجيبة التي جمعت بها بين الأضداد .

فلأمر المؤمنين عليه السّلام قضايا وأحكام وأجوبة مسائل عجيبة ، منها ما وقع في حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم ، ومنها في عهد الخلفاء الثلاثة ، ومنها في خلافته هو عليه السّلام ، وقد نقل ذلك فطاحل العلماء وأرباب السير والتاريخ في كتبهم :

١ - منها كتاب ضخّم ذكره العلامة الشيخ بهاء الدين العاملي في أربعينه وقال : إنه اطلع عليه بخراسان .

٢ - كتاب محمد بن قيس البجلي من أصحاب الصادقين عليهما السّلام ، رواه النجاشي والشيخ الطوسي بسنديهما .

٣ - كتاب المعلى بن محمد البصري ذكره النجاشي .

٤ - كتاب الترمذي صاحب الصحيح .

٥ - كتاب عجائب أحكامه ، رواية محمد بن علي بن إبراهيم بن

هشام عن جده كتب بين عام ٤١٠ - ٤٢٠ هـ .

٦ - ما اشتمل عليه كتاب الإرشاد للشيخ المفيد من قضاياها وأحكامه في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزمن الخلفاء الثلاثة وزمن خلافته عليه السلام .

٧ - ما اشتمل عليه كتاب المناقب لابن شهر آشوب .

٨ - عجائب أحكامه الذي جمعه العلامة السيد محسن الأمين في كتاب علي بن محمد بن إبراهيم .

وهناك كتب كثيرة ألّفها بعض العلماء المعاصرين بهذا البحث ، مثل كتاب القضاء لأmir المؤمنين عليه السلام للعلامة الشيخ محمد التستري .

وسنستعرض جانباً من علمه وفقهه في هذا الباب إن شاء الله .

اختلف الرواة في بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم علي عليه السلام إلى اليمن ، وخلاصة القول : إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث علياً عليه السلام ، في بادئ الأمر إلى قبيلة همدان باليمن سنة ثمانية من الهجرة بعد فتح مكة فأسلمت همدان كلها في يوم واحد ، فكتب بذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فخرّ ساجداً لله شكراً ثم جلس وقال : « السلام على همدان » ، والمرة الثانية بعثه إلى بني مذحج في اليمن لتبليغهم وإرشادهم والقضاء بينهم ، وذلك في شهر رمضان من السنة العاشرة ، ورجوعه عليه السلام التحق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة في حجة الوداع ، حينما كتب له بذلك من المدينة لما عزم على الحج ، كما نجد ذلك مفصلاً بفصل حجة الوداع .

طالما رفعت إليه مشاكل عجز عنها القضاء ، وحرار فيها الفكر ، ووقف دونها العقل ، فيرجع إليه بها فهو المفزع والملجأ ، وعنده فصل

الخطاب ، والحكم الفصل . ولا غرو أن يكون كذلك وقد قال فيه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله : « أقضاكم علي » ، وذكر ابن سعد وبقية الجمهور عن علي عليه السلام قال : « بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن ، فقلت : يا رسول الله بعثني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء .

فضرب صدري بيده ثم قال : اللهم اهد قلبه ، وثبت لسانه ؛ فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين »^(١) .

وبين أيدينا كتب كثيرة ألقت في قضائه عليه السلام أخذنا منها ومن غيرها محل الحاجة :

١ - قال شريح : كنت أقضي لعمر بن الخطاب ، فأتاني يوماً رجل فقال لي : يا أبا أمية إن رجلاً أودعني امرأتين ، إحداهما حرة مهيبة ، والأخرى سرية ، فجعلتهما في دار ، وأصبحت اليوم وقد ولدتا غلاماً وجارية ، وكلتاها تدعي الغلام وتتني من الجارية ، فاقض بينهما بقضائك ، فلم يحضرنني شيء فيهما ، فأتيت عمر فقصصت عليه القصة فقال : فما قضيت بينهما ؟ قلت : لو كان عندي قضائهما ما أتيتك .

فجمع عمر جميع من حضر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وأمرني فقصصت عليهم ما حدثته به ، وشاورهم وكلهم ردوا الرأي إلي وإليه .

فقال عمر : ولكني أعرف حيث مفزعها وأين منتزعها .
قالوا : كأنك أردت ابن أبي طالب ؟
قال : نعم ، وأين المذهب عنه .

(١) الطبقات الكبرى ١٠٠/٢ .

قالوا : فابعث إليه يأتيك .

فقال : لا ، له شمخة من هاشم ، وأثرة من علم ، يؤتى لها ولا يأتي ، وفي بيته يؤتى الحكم ، فقوموا بنا إليه .

فأتينا أمير المؤمنين عليه السّلام فوجدناه في حائط له يركل فيه على مسحاته ويقرأ : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ ويبكي ، فأمهلوه حتى سكن ، ثم استأذنوا عليه ، فخرج إليهم وعليه قميص قد نصّف أردانه ، فتوجه علي إلى عمر ، وقال : « ما الذي جاءك ؟ » .
فقال : عرض ، وأمرني فقصصت عليه القصة .

قال : « فبم حكمت فيها ؟ » .

قلت : لم يحضرني حكم فيها .

فأخذ عليه السّلام بيده من الأرض شيئاً ثم قال : « الحكم فيها أهون من هذا » .

ثم أحضر المرأتين وأحضر قدحاً ، ثم دفعه إلى إحداهما فقال : « احلبي فيه » ، فحلبت فيه ثم وزن القدح ، ودفعه إلى الأخرى فقال : « احلبي فيه » ، فحلبت فيه ، ثم وزنه ، فقال لصاحبة اللبن الخفيف : « خذي ابنتك » ، ولصاحبة اللبن الثقيل : « خذي ابنك » ، ثم التفت إلى عمر فقال : « أما علمت أنّ الله تعالى حط المرأة عن الرجل فجعل عقلها وميراثها دون عقله وميراثه ، وكذلك لبنها دون لبنه » .

فقال عمر : لقد أرداك الحق يا أبا الحسن ولكن قومك أبوا .

فقال عليه السّلام : « هوّن عليك أبا حفص ، إن يوم الفصل كان ميقاتاً »^(١) .

(١) قضاء أمير المؤمنين عليه السّلام للتستري ١٢١ .

٢ - سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السَّلام عن رجل ضرب رجلاً على هامته فادعى المضروب أنه لا يبصر شيئاً ، ولا يشم الرائحة ، وأنه قد ذهب لسانه .

فقال أمير المؤمنين عليه السَّلام : « إن صدق فله ثلاث ديّات » .

فقيل : يا أمير المؤمنين فكيف يعلم أنه صادق ؟ .

فقال : « أمّا ما ادعاه أنه لا يشم رائحة ، فإنه يدنى منه الحراق ، فإن كان كما يقول ولّا نحى رأسه ودمعت عينه ، فأما ما ادعاه في عينيه ، فإنه يقابل بعينه الشمس ، فإن كان كاذباً لم يتمالك حتى يغمض عينيه ، وإن كان صادقاً بقيتا مفتوحتين ؛ وأمّا ما ادعاه في لسانه ، فإنه يضرب على لسانه بإبرة ، فإن خرج الدم أحمر فقد كذب ، وإن خرج الدم أسود فقد صدق » (١) .

٣ - روي عن الصادق عليه السَّلام : أنّ رجلاً أقبل على عهد علي عليه السَّلام من الجبل حاجاً ومعه غلام له ، فأذنب فضربه مولاه ، فقال : ما أنت مولاي ، بل أنا مولاك ، فما زال ذا يتوعد ذا ، وذا يتوعد ذا ويقول : كما أنت حتى نأتى الكوفة يا عدو الله فأذهب بك إلى أمير المؤمنين عليه السَّلام ، فلما أتيا الكوفة أتيا أمير المؤمنين ، فقال الذي ضرب الغلام : هذا غلام لي وإنه أذنب فضربته ، فوثب عليّ .

وقال الآخر : هو والله غلام لي ، وإنّ أبي أرسلني معه ليعلمني وإنه وثب عليّ يدعيني ليذهب بمالي .

قال : فأخذ هذا يحلف وهذا يحلف ، وهذا يكذب هذا ، وهذا يكذب هذا .

(١) وسائل الشيعة ١٩ - ٢٧٩ .

فقال عليه السّلام : « انطلقا فتصافيا ليلتكما هذه ولا تجيئاني إلّا بحق » .

قال : فلما أصبح أمير المؤمنين عليه السّلام قال لقنبر : « انقب في الحائط ثقبين » ؛ وكان عليه السّلام إذا أصبح عقّب حتى تصير الشمس على رمح ، فجاء الرجلان ، واجتمع الناس فقالوا : لقد وردت عليه قضية ما ورد عليه مثلها ، لا يخرج منها .

فقال لهما : « ما تقولان ؟ » فحلف هذا أنّ هذا عبده ، وحلف هذا أنّ هذا عبده .

فقال لهما : « قوما فيّني لست أراكما تصدقان » ، ثم قال لأحدهما : « ادخل رأسك في هذا الثقب » ، ثم قال للآخر : « ادخل رأسك في هذا الثقب » .

ثم قال : « يا قنبر عليّ بسيف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عجل اضرب به رقبة العبد منهما » ، قال : فأخرج الغلام رأسه مبادراً ، ومكث الآخر في الثقب .

فقال علي عليه السّلام للغلام : « ألسن تزعم أنّك لست بعبد ؟ » ، فقال : بلى ، ولكن ضربني ، وتعدّى عليّ . فتوثّق له أمير المؤمنين ودفعه إليه^(١) .

٤ - أتى عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار

(١) وسائل الشيعة ٢٠٩/١٨ . قضاء أمير المؤمنين عليه السّلام للتسري ص ٧ . ومن الجدير بالذكر أنّ بعض الحكام أخذ هذا الحكم عن أمير المؤمنين عليه السّلام ، فقد ترفع إليه في قتل ، والتهمة موجهة إلى جماعة ولم يتمكن من تشخيصه من بينهم مع كثرة المرافعات وفي آخر جلسة قال : برنكم المحكمة ، فخرجوا ، فصاح القاتل يقف ، فوقف أحدهم ، وأخيراً اعترف .

وكانت تهواه ، فلما لم يساعدها احتالت عليه ، فأخذت بيضة فألقت صفرتها وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيهما ، ثم جاءت إلى عمر صارخة فقالت : إنّ هذا الرجل غلبني على نفسي ، وفضحني في أهلي ، وهذا أثر فعاله .

فسأل عمر النساء فقلن له : إنّ يبدنها وثوبها أثر المني ، فهم بعقوبة الشاب ، فجعل يستغيث ويقول : تثبت في أمري فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها ، فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت .

فقال عمر : يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما ؟ فنظر علي إلى ما على الثوب ، ثم دعا بماء حار شديد الغليان ، فصب على الثوب فجمد ذلك البياض ، ثم أخذه وشمه وذاقه فعرف طعمه ، وزجر المرأة فاعترفت^(١) .

٥ - روي أن امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل ادعته كل واحدة منهما ولداً لها بغير بينة ، ولم ينازعهما فيه غيرهما ، فالتبس الحكم في ذلك على عمر ، وفزع فيه إلى أمير المؤمنين ، فاستدعى المرأتين ووعظهما وخوفهما فأقامتا على التنازع والاختلاف . فقال عليه السّلام عند تماديهما في التنازع : « اثنوني بمشار » .

فقالت المرأتان : ما تصنع ؟ .

قال : « أقده نصفين ، لكل واحدة منكما نصفه » ، فسكتت إحداهما ، وقالت الأخرى : الله الله يا أبا الحسن ، إن كان لا بد من ذلك فقد سمحت به لها .

فقال عليه السّلام : « الله أكبر ، هذا ابنك دونها ، لو كان ابنها لرقّت عليه وأشفقت » ، فاعترفت المرأة بأن الحق مع صاحبته ، والولد

(٢) الغدير ١٢٦/٦ عن الطرق الحكيمة لابن القيم .

لها دونها ، فسرى عن عمر ، ودعا لأمير المؤمنين بما فرج عنه من القضاء^(١) .

٦ - أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهم بـرجمها عثمان ، فقال أمير المؤمنين : « إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك ، إن الله تعالى يقول : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ ثم قال : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ فحولين مدة الرضاع ، وستة أشهر مدة الحمل » .

فقال عثمان : ردوها^(٢) .

٧ - رفع إلى عمر : أن عبداً قتل مولاه ، فأمر بقتله ، فدعاه علي عليه السلام فقال له : « قتلت مولاك » ؟ .

قال : نعم .

قال : « ولم تقتله » ؟ .

قال : غلبني على نفسي ، وأتاني في ذاتي .

فقال علي عليه السلام لأولياء المقتول : « أدفنتم وليكم ؟ » .

قالوا : نعم .

قال : « ومتى دفنتموه » ؟ .

قالوا : الساعة .

فقال علي عليه السلام لعمر : « احبس هذا الغلام ولا تحدث فيه حدثاً حتى تمر عليك ثلاثة أيام » . ثم قال لأولياء المقتول : « إذا مضت ثلاثة أيام أحضرونا » .

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ٩٦ .

(٢) المناقب ٥٠١/١ .

فلما مضت ثلاثة أيام حضروا ، فأخذ علي عليه السّلام بيد عمر وخرجوا حتى وقفوا على قبر الرجل ، فقال علي عليه السّلام لأوليائه : « هذا قبر صاحبكم ؟ » .

قالوا : نعم .

قال : « احفروا » حتى انتهوا إلى اللحد فقال : « أخرجوا ميتكم » ، فنظروا إلى أكفانه في اللحد فلم يجدوه ، فأخبروه بذلك . فقال عليه السّلام : « الله أكبر ، والله ما كذبت ولا كُذبت ، سمعت رسول الله يقول : من يعمل من أمتي عمل قوم لوط ثم يموت على ذلك ، فهو يؤجل إلى أن يوضع في لحدّه ، فإذا وضع فيه لم يمكث أكثر من ثلاث حتى تقذفه الأرض إلى جملة قوم لوط المهلكين ، فيحشر معهم » (١) .

٨ - قال عاصم بن حمزة : إنّ غلاماً وامرأة أتيا عمر فقال الغلام : هذه والله أمي ، حملتني في بطنها تسعاً ، وأرضعتني حولين كاملين فانتفت مني وطردتني ، وزعمت أنها لا تعرفني ؛ فاتوا بها مع أربعة أخوة لها ، وأربعين قسامة يشهدون لها أنّ هذا الغلام مدع ظلوم يريد أن يفضحها في عشيرتها ، وأنّها بخاتم ربها ولم يتزوج بها أحد .

فأمر عمر بإقامة الحد عليه ، فرأى علياً عليه السّلام ، فقال : يا أمير المؤمنين احكم بيني وبين أمي .

فجلس عليه السّلام موضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال عليه السّلام : « لك ولي ؟ » .

(١) لآلئ الأخبار للتوسركاني ٥٨٩ .

قالت : نعم ، هؤلاء الأربعة إخوتي .

فقال عليه السّلام : « حكمي عليكم جائز وعلى أختكم ؟ » .
قالوا : نعم .

فقال عليه السّلام : « أُشهدُ الله وأشهدُ من حضر ، أني زوجت
هذه المرأة من هذا الغلام بأربعمائة درهم ، والنقد من مالي ، يا قنبر
عليّ بالدرهم » ، فاتاه بها فقال : « خذها فصبتها في حجر امرأتك ،
وخذ بيدها إلى المنزل » .

فصاحت المرأة : الأمان يا ابن عم رسول الله ، هذا والله ولدي ،
زوجني إخوتي هجيناً فولدت منه هذا ، فلما بلغ وترعرع أنفوا ، وأمروني
أن أنتفي منه وخفت منهم .

فأخذت بيد الغلام فانطلقت به ، فنادى عمر : لولا علي لهلك
عمر^(١) .

(١) المناقب ١/٤٩٤ .

فضائل علي ومناقبه

علي اشتق من العَلِيّ الأعلى ، وتجلّت فيه أسماء الله الحسنى ، فهو الصورة الملكوتية لعالم الملك والملكوت ، والنسخة الأبدية لعالم العِزّ والجبروت ، خصّه الله بفضائل ومناقب لا تُعدّ ولا تحصى ، فولايته إكمال الدين ، ووصايته إتمام النعمة ، شهد الله في كتابه الكريم بمقاماته الشامخة ، ونطق النبي بمراتبه السامية .

عجباً لرجل كنم أعداؤه فضائله حسداً وبغضاً ، وكنمها محبّوه خوفاً وتقيةً وخرج ما بين الكتمانين ما طبق الخافقين .

قالوا: عليّ علا قلت: لا فإنّ العُلى بعليّ علا
والباحث عن شخصية علي عليه السّلام مهما جدّ واجتهد فإنّه لا يبلغ إلّا حدّ ما تيسر له .

أذكر في هذا الفصل شذرات ما نطق به الصادق الأمين محمد الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم ، بعض نعته في أحاديثه الشريفة ، في بعض الوقائع والمناسبات يبين بعض فضائله ومناقبه ، ومواقفه البطولية التي وقفها علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السّلام إلى جنب أخيه وابن عمه صلّى الله عليه وآله وسلّم في ساعات الشدّة

والمحنة ، منذ نعومة أظفاره إلى آخر لحظة من حياته الدنيوية وصعود
روحه الطاهرة إلى ربها عند ملك مقتدر في الرفيق الأعلى .

واستمر بعده يجاهد ويقا تل على تأويل كتاب الله كما قاتل
عليه السّلام على تنزيله ، وقد جاهد الناكثين في البصرة ، والقاسطين في
صفين ، والمارقين الخوارج في النهروان ، إلى أن استشهد في محرابه
بمجد الكوفة مضرّجاً بدمائه الزكية منادياً فزت ورب الكعبة .

أقدم لك عزيزي القارئ هذا الغيض من فيض فضائله ومناقبه ،
وكراماته ، وعلمه ، وشجاعته ، وبلاغته ، وفصاحته ، وتنوّاته ،
وسماحته ، وسخاوته ، ومكارم أخلاقه ، وإشاره ، وزهده وعبادته
وتهجّده ، وغيرها من الصفات الحميدة التي يعجز عن الإتيان بها غيره ،
 ويفتخر كل عظيم بالافتداء به والانتماء إليه .

وهذا نهج البلاغة دليل ساطع ، وبرهان لامع ، وشاهد ظاهر ،
على جانب من جوانب عظمته البلاغية والعرفانية .

وأنتى في الحقيقة ما ذكرت في هذا الجزء عن بطولاته وشجاعته ،
وجهاده في الحروب والغزوات التي خاضها عليه السّلام في حياة الرسول
الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم ، بين يديه حاملاً لواءه متقدماً أمام
زحفه ، مضحياً بحياته منذ حادثة سنه إلى آخر حياته المباركة ، إلّا النزر
اليسير ، لأنّ حياته ووجوده كان مرتبطاً به ارتباط الظل بصاحبه ، واتباعه
اتباع الفصيل إثر أمه .

وقد ذكرت بعضاً منها في الجزء الثاني من هذا الكتاب ولا أريد
تكرار ذلك وإعادته ولو أنّ في الإعادة إفادة ، لأن سيرته عليه السّلام هي
نفس سيرة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ، لذلك أكتفي بوصف موجز
من خصائصه ، وما قيل فيه .

كما أذكر جانباً من المحن والمصائب التي عاناها والآلام التي تحمّلها ، بعد التحاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى .

روي في الكشف لما نزلت آية : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ^(١) قيل : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : « هم علي وفاطمة وابناهما » .

وعن علي عليه السلام قال : شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله حسد الناس لي فقال : « أما ترضى أن تكون رابع أربعة ؟ أول من يدخلون الجنة ، أنا وأنت والحسن والحسين ، وأزواجنا عن إيماننا ، وشمائنا وذرياتنا خلف أزواجنا » ^(٢) .

وعن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب ، من تولاه فقد تولاني ، ومن تولاني فقد تولى الله عز وجل » .

وعن عبد الله بن عباس ، وكان سعيد بن جبير يقوده بعد فقد بصره فمر على صفة زمزم ، فإذا قوم من أهل الشام يشتمون علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال لسعيد بن جبير : ردني إليهم ، فوقف عليهم وقال : أيكم الساب لله عز وجل ؟ فقالوا : سبحان الله ما فينا أحد سب الله ، فقال : أيكم الساب لرسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قالوا : ما فينا أحد سب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : أيكم الساب علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ قالوا : أما هذا فقد كان ، قال ابن عباس : فأشهد

(١) سورة الشورى : آية ٢٣ .

(٢) كشف الغمة ج ١ ص ١٠٦ .

على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله سمعته أذناي ووعاه قلبي ، يقول
لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يَا عَلِيَّ مِنْ سَبِّكَ فَقَدْ سَبَّنِي ، وَمَنْ
سَبَّنِي فَقَدْ سَبَّ اللَّهَ ، وَمَنْ سَبَّ اللَّهَ فَقَدْ أَكْبَهُ عَلَى مَنْخَرِهِ فِي النَّارِ » ، ثُمَّ
وَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ لِسَعِيدٍ : يَا بَنِي مَاذَا رَأَيْتُمْهُمْ صَنَعُوا ؟ قَالَ : قُلْتُ لَهُ :
يَا أَبُهِ :

نَظَرُوا إِلَيْكَ بِأَعْيُنٍ مُحْمَرَةٍ نَظَرَ التِّيُوسُ ^(١) إِلَى شِفَارِ الْجَاوِزِ ^(٢)
فَقَالَ : زِدْنِي فِدَاكَ أَبُوكَ ، فَقُلْتُ :

خَزَرَ الْعَيُونُ نَوَاصِرُ أَبْصَارِهِمْ نَظَرَ الذَّلِيلُ إِلَى الْعَزِيزِ الْقَاهِرِ
فَقَالَ : زِدْنِي فِدَاكَ أَبُوكَ ، فَقُلْتُ : لَيْسَ عِنْدِي مَزِيدٌ ، فَقَالَ : وَلَكِنْ
عِنْدِي :

أَحْيَاؤُهُمْ عَارٌ عَلَى أَمْوَاتِهِمْ وَالْمَيِّتُونَ مُسَبَّةٌ لِلْفَايِرِ
مِنْ مَنَاقِبِ الْخَوَارِزْمِيِّ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « لَوْ أَنَّ الرِّيَاضَ أَقْلَامٌ ، وَالْبَحْرَ مِدَادٌ ، وَالْجَنَّ حُسَابٌ ،
وَالْإِنْسَ كِتَابٌ ، مَا أَحْصَوْا فَضَائِلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

رَوِيَ فِي كِتَابِ إِحْقَاقِ الْحَقِّ ج ٤ ص ٢٥٩ إِلَى ٢٧٢ أَنَّهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ : « يَا عَلِيَّ ! أَنْتَ صَاحِبُ حَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ [أَنْتَ صَاحِبُ الْحَوْضِ] ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، الرَّوُوفُ
بِالنَّاسِ ، الْأَوَاهُ ، الْحَلِيمُ ، أَفْضَلُ النَّاسِ مَنَزَلَةً ، وَأَقْرَبُ النَّاسِ قَرَابَةً ، وَأَعْظَمُ
النَّاسِ غِنًى » .

رَوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

(١) التِّيُوسُ جَمْعُ تَيْسٍ ، وَهُوَ الذِّكْرُ مِنَ الطَّيْرِ وَالْمَعَزِ .

(٢) الشِّفَارُ جَمْعُ شَفْرَةٍ ، السَّكِينُ الْحَادَةُ عِنْدَ الْجَزَارِ - الْقَصَابِ .

صَلَّى الله عليه وآله يقول : « إِنَّ فِي عَلِيٍّ خِصَالاً لَوْ كَانَتْ وَاحِدَةً فِي رَجُلٍ اكْتَفَى بِهَا فَضْلاً وَشَرْفاً ، مِنْهَا قَوْلُهُ : وَلِيٌّ عَلِيٌّ وَلِيَّ اللَّهِ ، وَعَدْوٌ عَلِيٌّ عَدُوُّ اللَّهِ ، وَمِنْهَا عَلِيٌّ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَمِنْهَا ، حُبُّ عَلِيٍّ إِيْمَانٌ ، وَيُبْغِضُهُ كُفْرٌ ، وَمِنْهَا ، حِزْبُ عَلِيٍّ حِزْبُ اللَّهِ ، وَحِزْبُ أَعْدَائِهِ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، وَمِنْهَا ، عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ لَا يَفْتَرِقَانِ ، وَمِنْهَا ، عَلِيٌّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ » .

فِي كِتَابِ الْفَرْدُوسِ ، عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : « حُبُّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَسَنَةٌ لَا يَضُرُّ مَعَهَا سَيِّئَةٌ ، وَيُبْغِضُهُ سَيِّئَةٌ لَا يَنْفَعُ مَعَهَا حَسَنَةٌ » .

وَأَخْرَجَ الدَّارِقُطْنِيُّ : إِنَّ عَلِيًّا قَالَ لِلْسِّتَةِ الَّذِينَ جَعَلَهُمْ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ الشُّورَى بَيْنَهُمْ كَلَاماً طَوِيلاً مِنْ جَمَلَتِهِ ، أَنْشَدَكُمْ اللَّهُ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، يَا عَلِيُّ أَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَقُولُ لِلنَّارِ : هَذَا لِي وَهَذَا لَكَ ^(١) .

وَبِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ ، قَالَ الشَّافِعِيُّ :

عَلِيٌّ حُبُّهُ جَنَّةٌ قَسِيمُ النَّارِ وَالْجَنَّةِ
وَصِي الْمُسْطَفَى حَقّاً إِمَامُ الْإِنْسِ وَالْجَنَّةِ

لَمَزِيدٍ مِنَ التَّفَاصِيلِ رَاجِعَ مُوسُوعَةَ إِحْقَاقِ الْحَقِّ ج ٤ ص ١٦٠ وَص ٢٥٩
وَص ٢٦٤ ، وَص ٢٨٧ ، وَص ٣٧٩ - وَفِي ج ١٥ ص ١٨٥ وَ ١٨٦ .

وَبِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ نَذَكُرُ مَقْتَطَعَاتٍ مِنْ قَصِيدَةِ الْعَلَامَةِ الْجَلِيلِ مِيرْزَا إِسْمَاعِيلَ الشِّيرَازِيِّ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ١٣٠٥ هـ ، الْخَمَاسِيَّةَ وَهُوَ أَحَدُ شُعْرَاءِ الْغَدِيرِ ذَكَرَهُ شَيْخُنَا الْجَلِيلُ الْعَلَامَةُ الْأَمِينِيُّ قَدْ سَرَّهُ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ ، ص ٢٩ ، وَهِيَ تَحْتَوِي عَلَى ثَمَانِيَةِ عَشَرَ مَقْطَعاً كُلُّ مَقْطَعٍ خَمْسَةُ أَشْطَرٍ وَمُطْلَعُهَا :

(١) كِتَابُ إِحْقَاقِ الْحَقِّ ج ٢٠ ص ٣٩٥ .

رغد العيش فزده رغداً بسلاف منه تشفي سقمي
 حبذا آناء أنس أقبلت أدركت نفسي بهما ما أملت
 وضعت أم العلى ما حُملت طاب أصلاً وتعالى محتداً
 إلى أن قال :

مالكاً ثقل ولاء الأمم

أنست نفسي من الكعبة نور مثل ما أنس موسى نار طور
 يوم غشى الملأ الأعلى سرور قرع السمعُ نداءً كندا
 شاطيء الوادي طوى من حرم

ولدت شمس الضحى بدر التمام فانجلت عنادياجير الظلام
 ناد: يا بشر اكي هذا غلام وجهه فلقة بدر يهتدى
 بسنا أنواره في الظلم

هذه فاطمة بنت أسد أقبلت تحمل لاهوت الأبد
 فاسجدوا ذلاً له فيمن سجد فله الأملاك خرت سجداً
 إذ تجلى نوره في آدم

إلى أن قال :

إن يكن يُجعل لله البنون وتعالى الله عما يصفون
 فوليد البيت أحرى أن يكون لولي البيت حقاً ولداً
 لا عزيزاً ولا ابن مريم

هو بعد المصطفى خير الورى من ذرى العرش إلى تحت الثرى
 قد كست عليائه أم القرى غرة تُحمي جماها أبدأ
 حيث لا يدنوه من لم يحرم

هو بدرٌ وذرايه بدور عَقمت عن مثله أم الدهور
 كعبة الوقاد في كل الشهرور فاز من نحوفناها وفداً
 بمطافٍ منه أو مستلم

هذه سبعة مقاطع من ثمانية عشر مقطعاً ذكرنا محل الحاجة منها .
وفي شرح النهج للواقدي ، إن مبارزة علي بن أبي طالب
عليه السّلام لعمر بن عبدود ، يوم الخندق أعظم من أن يقال عنها
عظيمة ، وأجل من أن يقال عنها جليّة ، وما هي إلّا كما قال شيخنا
أبو الهذيل ، وقد سأله سائل : أيّما أعظم منزلة عند الله تعالى علي ، أم
أبو بكر ؟ فقال : يا ابن أخي ، والله لمبارزة علي عليه السّلام عمراً يوم
الخندق تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعتهم كلها ، وترى عليها ،
فضلاً عن أبي بكر وحده^(١) .

وفي المجلد الثاني من فضائل الخمسة من الصحاح الستة ، عن
المجلد الثاني من مستدرك الصحيحين ، عن سفيان الثوري بسنده عن
النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال : « لمبارزة علي بن أبي طالب لعمر
ابن عبدود يوم الخندق أفضل أعمال أمي إلى يوم القيامة » .

رواه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ١٣ ص ١٩ ، وذكر هذا
الحديث بنصه الحرفي في تفسيره الكبير ، في الجزء الأخير خلال حديثه
عن ليلة القدر وفضلها .

روي عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال : قال رسول الله
صلّى الله عليه وآله : « يا علي ، أنت أمير المؤمنين ، وإمام المتقين .
يا علي ، أنت سيد الوصيين ، ووارث علم الأولين ، وخير
الصديقين وأفضل السابقين .

يا علي ، أنت زوج سيدة نساء العالمين ، وخليفة خير المرسلين .
يا علي ، أنت مولى المؤمنين .

(١) سيرة المصطفى ص ٥٠٣ .

يا علي ، أنت الحجة بعدي على الخلق أجمعين ، استوجب الجنة من تولاك ، واستحق النار من عاداك .

يا علي ، والذي بعثني بالنبوة ، واصطفاني على جميع البرية ، لو أن عبداً عبد الله ألف عام ، ما قَبِلَ الله ذلك منه إلا بولايتك وبولاية الأئمة من ولدك ، وإن ولايتك « لا يقبلها الله تعالى » إلا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من ولدك ، بذلك أخبرني جبرئيل عليه السَّلام ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

استناداً إلى هذه الأحاديث الشريفة الصحيحة في شأن أمير المؤمنين عليه السَّلام ، نَظَّم العلامة الجليل الخواجة نصير الدين الطوسي قدس سره هذه الأبيات من الشعر ، منها :

لو أن عبداً أتى بالصالحات غداً ووَدَّ كل مرسل وولي
وصام ما صام صواماً بلا مَلَلٍ وقام ما قام قواماً بلا كسل
وعاش في الناس آلفاً مؤلفاً خلوا من الذنب معصوماً من الزلل
وطار في الجولا يأوي إلى كنفٍ وغاص في البحر لا يخشى من البلل
ما كان ذلك يوم الحشر ينفعه إلا بحب أمير المؤمنين علي

أما زهده فكان يضرب به المثل ؛ وكان ممّا اشتهر به عليه السَّلام ، من ورعه ، وزهده ، وعبادته التي قد أطبق عليه الخافقان ، من علماء الأمصار ومحققيههم ، جيلاً بعد جيل ، وذكره في سيرهم وتواريخهم ، وإليك نموذجاً منها :

١ - هو الذي طَلَّق الدنيا ثلاثاً طلاق مباين لا رجعة له فيها .

(١) كناية عن الذهب .

(٢) كناية عن الفضة - والمقصود منهما النقدين الدينار والدرهم .

٢ - وهو الذي عندما كان يفرق بيت المال على المستحقين ويقول :
يا صفراء غري غري ، يا بيضاء غري غري ، ثم يتمثل بهذا البيت :
هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جانب يده إلى فيه
وقد يأمر بكنس بيت المال ويُصَلِّي فيه ركعتين رجاء أن يشهد له يوم
القيامة ، انظر إلى عمله هذا في المال .

أما في ملبسه فقد خرج عليه السَّلام يوماً وعليه إزار مرقوع فعُوتِبَ عليه ،
فقال : يخشع القلب بلبسه ويقتدي بي المؤمن إذا رآه علي .
واشترى عليه السَّلام يوماً ثوبين غليظين فخير قنبراً فيهما ، فأخذ واحداً
فلبس هو الآخر ، ورأى في كفه طولاً عن أصابعه فقطعه .

قال هارون بن عترة قال : حدثني أبي قائلاً : دخلت على علي بن أبي
طالب عليه السَّلام بالخورنق^(١) وعليه سمل^(٢) قطيفة ، فقلت : يا أمير المؤمنين
إن الله تعالى قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال ما يعم ، وأنت
تصنع بنفسك ما تصنع ؟ فقال : والله ما أرزأكم^(٣) من أموالكم شيئاً وإن
هذه لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي من المدينة ما عندي غيرها .
هذا ما كان من لباسه .

أما طعامه ، فإليك هذا النموذج الرائع ، كان عليه السَّلام قد ولى على
عكبرة رجلاً من ثقيف قال : قال لي علي عليه السَّلام : إذا صليت الظهر غداً فعد
إلي ، فعدت إليه في الوقت المُعَيَّن ، فلم أجد عنده حاجباً يحبسني دونه ،
فوجدته جالساً وعنده قدح وكوز ماء ، فدعا بوعاء مشدود مختوم ، فقلت في
نفسي : قد أمتني حتى يخرج إلي جوهرأ فكسر الختم وحلّه ، فإذا فيه سويق

(١) موضع بالقرب من الكوفة .

(٢) السمل الخلق من الثياب .

(٣) أي ما أخذ أو أنقص .

فأخرج منه قبضة في القدح وصب عليه ماء فشرب وسقاني ، فلم أصبر فقلت له : يا أمير المؤمنين أتصنع هذا في العراق وطعامه كما ترى في كثرة ؟ فقال : أما والله ما أختم عليه بخلاً ، ولكنني أبتاع قَدْرَ ما يكفيني ، فأخاف أن ينقص فيوضع فيه غيره ، وأنا أكره أن أدخل بطني إلا طيباً فلذلك أحترز عليه كما ترى ، فإياك وتناول ما لا تعلم حله .

وعن سويد بن غفلة قال : دخلت على علي بن أبي طالب عليه السَّلام القصر^(١) فوجدته جالساً وبين يديه صحيفة فيها لبن (حازر)^(٢) أجدر يرحه من شدة حموضته وفي يده رغيف أجدر قشر الشعير في وجهه ، وهو يكسّر بيده أحياناً فإذا غلبه كسره بركبته وطرحه فيه ، فقال : « ادن وأصب من طعامنا هذا ، فقلت : إني صائم ، فقال : سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يقول : من منعه الصوم من طعام يشتهيهِ كان حقاً على الله أن يطعمه من طعام الجنة ، ويسقيه من شرابها ، قال : فقلت لجاريتته وهي قائمة بالقرب منه : ويحك يا فضة ألا تتقين الله في هذا الشيخ ألا تنخلون له طعاماً مما أرى فيه من النخالة ؟ فقالت : لقد تقدّم إلينا أن لا ننخل له طعاماً . قال عليه السَّلام : ما قلت لها ؟ فأخبرته ، فقال : بأبي وأمي من لم ينخل له طعاماً ولم يشبع من خبز البر ثلاثة أيام حتى قبضه الله عزَّ وجلَّ ، (أي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله) . هذا ما كان من طعامه عليه السَّلام .

أما شجاعته ونجدته :

أما شجاعته وبأسه ومراسه في محاربة الأقران ورباطة جأشه حيث تزلزل الأقدام وقلوب الشجعان واجفة خائفة وهو ثابت كالطود الشامخ

(١) هكذا مكتوب القصر في كشف الغمة ج ١ ص ١٦٣ . ولكنني أقول : ما دخل القصر بل سكن في بيت ابن أخته هبيرة المخزومي .

(٢) الحازر : اللبن الحامض .

لا تزلزله العواصف ولا تزيله القواصف ذكرت ذلك في فصل آخر .

حيث افتخر كل قرن شجاع بالانتماء إليه ، حتى أن معظم زعماء وملوك العالم الإسلامي ترسم صورته واسمه على سيوفهم ، وسل عن الحروب والغزوات التي خاضها أمام رسول الله صلى الله عليه وآله ، مدافعاً عن بيضة الإسلام ، كغزوة بدر ، وأحد ، والخندق ، وبني قريظة ، والحديبية ، وخيبر ، وفتح مكة ، وبني جذيمة ، وحنين ، وبني زبيدة ، وأخيراً غزاة السلسلة ، وغيرها المنتشرة ذكرها في كتب السير والتاريخ .

وهل بعد نداء جبرئيل بين السماء والأرض يوم أحد ، « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » مقالة قائل .؟؟ وأما حروبه ومجاهدته مع أصحاب الجمل بالبصرة الناكثين وأصحاب صفين الباغين ، والنهروان الخارجين المارقين ، تجدها في كتب السير والتواريخ الإسلامية منتشرة تكاد تصل إلى حد التواتر .

هذا ما كان من شجاعته في حروبه وغزواته راجع الفصل الخاص

به .

كراماته :

قال ابن طلحة الشافعي : « اعلم أكرمك الله بالهداية إليه ، إن الكرامة عبارة عن حالة تصدر لذي التكليف خارقة للعادة ، لا يؤمر بإظهارها وبهذا القيد يظهر الفرق بينها وبين المعجزة ، فإن المعجزة مأمور بإظهارها لكونها دليل صدق النبي في دعواه النبوة ، فالمعجزة مختصة بالنبي لازمة له ، إذ لا بد له منها فلا نبي إلا وله معجزة ، والكرامة مختصة بالولي إكراماً له ، إذا عرفت هذه المقدمة ، فقد كان علي بن أبي طالب عليه السلام ، من أولياء الله تعالى ، وكانت له

كرامات صدرت خارقة للعادة أكرمه الله بها ، كما كان له معاجز ، إذ من يدعي النبوة وكذلك الإمامة ، لا بد أن تظهر على يديه المعاجز التي يعجز البشر عن إثباتها تطابق دعواهما تدل على صدق قولهما وادعائهما النبوة أو الإمامة ، وعلي بن أبي طالب أمير المؤمنين قد ادعى الإمامة وقد ظهرت على يده الكريمة معاجز تطابق دعواه فهو الإمام حقاً .

وقد سطر العلماء الكرام جزاهم الله خيراً كرامات ومعاجز فهي من الكثرة بحيث يصعب حصرها ، ولكنني أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر .

إخباره عليه السلام ، بحال الخوارج المارقين ، وأن الله تعالى أطلعهم على أمرهم ، فأخبر به قبل وقوعه ، وخرق به العادة ، وذلك أنهم لما اجتمعوا وأجمعوا على قتاله ، وركب إليهم (بجيشه) لقيه فارس يركض فقال له : يا أمير المؤمنين إنهم سمعوا بمكانك فعبروا النهران منهزمين ، فقال له عليه السلام : أنت رأيتهم عبروا ؟ فقال : نعم ، فقال عليه السلام : والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله لا يعبرون ولا يبلغون قصر بنت كسرى حتى تقتل مقاتلتهم على يدي ، فلا يبقى منهم إلا أقل من عشرة ، ولا يقتل من أصحابي إلا أقل من عشرة ، وركب وقاتلهم كما تقدم ، وجرى الأمر على ما أخبر به عليه السلام ولم يعبروا النهر .

وهي مسطورة في كراماته نقلها صاحب تاريخ فتوح الشام .

ومن كراماته في المغيبات ، ما أورده ابن شهر آشوب في كتابه ، إن علياً عليه السلام لما قدم الكوفة ، وفد عليه الناس ، وكان فيهم فتى ، فصار من شيعته يقاتل بين يديه في موافقه ، فخطب امرأة من قوم فزَّوجوه ، فصلى أمير المؤمنين عليه السلام يوماً الصبح ، وقال لبعض من عنده ، اذهب إلى موضع كذا تجد مسجداً إلى جنبه بيت فيه صوت رجل

وامرأة يتشاجران ، فاحضرهما إليّ ، فمضى وعاد وهما معه ، فقال لهما : فيم طال (شجاركم) تشاجركما الليلة ؟ فقال الفتى : يا أمير المؤمنين إنّ هذه المرأة خطبتها وتزوجتها فلما خلوت بها وجدت في نفسي منها نفرة منعني أن أَلَمَّ بها ؛ ولو استطعت إخراجها ليلاً لأخرجتها قبل النهار ، فنقمت على ذلك وتشاجرنا إلى أن ورد أمرك ، فصرنا إليك ، فقال عليه السّلام لمن حضره : رب حديث لا يؤثر من يخاطب به أن يسمعه غيره ، فقام من كان حاضراً ولم يبق عنده غيرهما ، فقال لها علي عليه السّلام : أتعرفين هذا الفتى ؟ فقالت : لا ، فقال عليه السّلام : إذا أنا أخبرتك بحاله تعلمينها فلا تنكريها ؟ قالت : لا يا أمير المؤمنين ، قال عليه السّلام : ألسنت فلانة بنت فلان ؟ قالت : بلى ، قال عليه السّلام : ألم يكن لك ابن عم وكل منكما راغب في صاحبه ؟ قالت : بلى ، قال عليه السّلام : أليس أن أباك منعك عنه ومنعه عنك ولم يزوجه بك وأخرجه من جواره لذلك ؟ قالت : بلى ، قال : أليس (قد) خرجت (ذات) ليلة لقضاء الحاجة فاغتالك وأكرهك ووطئك فحملت وكنمت أمرك عن أبيك وأعلمت أمك ، فلما آن الوضع أخرجتك أمك ليلاً فوضعت ولدأ فلففته في خرقة وألقيته من خارج الجدار فجاء كلب يشمه فخشيت أن يأكله فرميت به حجر فوقعت في رأسه فجشّه (أي رأس الطفل) فعدت إليه أنت وأمك فشدت رأسه أمك بخرقة من جانب مرطها^(١) ثم تركتماه ومضيتما ولم تعلما حاله ؟ فسكتت فقال لها : تكلمي بحق ، فقالت : بلى والله يا أمير المؤمنين إنّ هذا الأمر ما علمه مني غير أمي ، فقال : قد أطلعني الله عليه ؛ فأصبح فأخذه بنو فلان فربّوا فيهم إلى أن كبر ، وقدم معهم الكوفة وخطبك وهو ابنك .

(١) المرط : كساء تأنزر به المرأة .

ثم قال للفتى : اكشف رأسك ! فكشفه فوجد أثر الشجة ، فقال عليه السّلام : هذا ابنك قد عصمه الله تعالى مما حرّمه عليه ، فخذني ولك وانشرفي فلا نكاح بينكما وله في هذه الواقعة عليه السّلام ، ما يقضي بولايته ويسجل بكرامته .

واخيراً إخباره بالمغيبات وانتظاره يوم شهادته عليه السّلام :

ومنها : إخباره عليه السّلام بقصة قتله ، وذلك أنه لما فرغ من قتال الخوارج عاد إلى الكوفة في شهر رمضان ، فأَمَّ المسجد فصلى ركعتين ، ثم صعد المنبر فخطب خطبة حسناء ، ثم التفت إلى ابنه الحسن فقال : يا أبا محمّد كم مضى من شهرنا هذا ؟ فقال : ثلاثة عشر يا أمير المؤمنين ، ثم سأل الحسين عليه السّلام فقال : يا أبا عبد الله كم بقي من شهرنا يعني رمضان هذا ؟ فقال : سبع عشرة يا أمير المؤمنين ، فضرب يده إلى لحيته وهي يومئذ بيضاء ، فقال : ليخضبنها بدمها إذ انبعث أشقاها ثم قال :

أريد حباء ويريد قتلي خليلي من عذيري من مراد^(١)

وعبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله يسمع ، فوقع في قلبه من ذلك شيء فجاء حتى وقف بين يدي عليّ عليه السّلام ، وقال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين هذه يميني وشعالي بين يديك فاقطعهما ، أو فاقتلني ، فقال علي عليه السّلام : وكيف أقتلك ولا ذنب لك ؟ ولو أعلم أنّك قاتلي لم أقتلك ؛ ولكن هل كانت لك حاضنة يهودية ؟ فقالت لك يوماً من الأيام : يا شقيق عاقر ناقة ثمود ؟ قال : قد كان ذلك يا أمير

(١) ويروى : عذيرك من خليلك من مراد . والحباء : العطية وعذير فعيل بمعنى فاعل أي هات من يعذك فيه . والشعر من الأمثال ويأتي الكلام فيه في موضعه إن شاء الله .

المؤمنين فسكت عليّ عليه السّلام فلما كانت ليلة ثلاث وعشرين من الشهر^(١) قام ليخرج من داره إلى المسجد لصلاة الصبح وقال : إنّ قلبي يشهد بأنّي مقتول في هذا الشهر ، ففتح الباب فتعلق الباب بمئزره فجعل ينشد :

اشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت لاقبك
ولا تجزع من الموت إذا حل بناديك

فخرج فقتل صلوات الله عليه .

قال ابن طلحة رحمه الله : وهذه من جملة الكرامات المضافة إليه ، ولم أصرف الهمة إلى تتبّع ما ينسب إليه من كراماته وما أكرمه الله به من خوارق عاداته ، لكثرة غيرها من مزاياه وتعدد مناقب مقاماته .

إذا ما الكرامات اعتلى قدر ربّها وحلّ بها أعلى ذرى عرفاته
فإنّ عليّاً ذا المناقب والنهى كرامات العليا أقلّ صفاته

هذا آخر كلام ابن طلحة رحمه الله تعالى .

نقل العلامة الأربلي في كتابه كشف الغمة ص ٣٤٠ طبع بيروت ما نصّه منها :

وذكر أخطب خطباء خوارزم موفق بن أحمد المكي في كتاب المناقب في الفصل التاسع في فضائل شتّى في جملة إسناده إلى أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه ما هذا اللفظ : الإمام الحافظ طراز المحدثين أحمد بن مردويه ، وهذا اللفظ

(١) وهذا يخالف ما هو المشهور بين الشيعة من أن هذه الواقعة كانت في ليلة التاسعة عشر وسيأتي الخلاف في ذلك في تاريخ شهادته عليه السّلام .

حديثه في كتاب المناقب مولانا علي عليه السّلام ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله [في بيته علياً ففدأ إليه عليُّ عليه السّلام وكان يحب أن لا يسبقه أحد ، فدخل فإذا النبي] في صحن الدار وإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي ، فدخل عليُّ عليه السّلام ، فقال : السلام عليك ، كيف أصبح رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ؟ فقال : بخير ، قال له دحية : إنني لأحبك ، وإن لك مدحة أرفها إليك أنت أمير المؤمنين ، وقائد الغر المحجلين ، أنت سيد ولد آدم ما خلا النبيين والمرسلين ، ولواء الحمد بيدك يوم القيامة ، تُرَف أنت وشيعتك مع محمد وحزبه إلى الجنان زفاً قد أفلح من تولّاك ، وخيّر من تخلّاك ، محبو محمد محبوبك ، ومبغضو محمد مبغضوك ، لن تنالهم شفاعة محمد صَلَّى الله عليه وآله ، ادن مني يا صفوة الله ، فأخذ رأس النبي صَلَّى الله عليه وآله فوضعه في حجره فانتبه صَلَّى الله عليه وآله فقال : ما هذه الهمهمة ؟ فأخبره الحديث ، قال : لم يكن دحية الكلبي كان جبرئيل عليه السّلام ، سماك باسم سماك الله به ، وهو الذي ألقى محبتك في صدور المؤمنين ، ورهبتك في صدور الكافرين .

قال رضي الدين رحمه الله : إن من ينقل هذا ، عن الله جل جلاله برسالة جبرئيل عليه السّلام وعن محمد صلوات الله عليه ، لمحجوج يوم القيامة ، ينقله إذا حضر بين يدي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم ، وسأله يوم القيامة عن مخالفته لما نقله واعتمد عليه . انتهى ما نقلته .

وهذه واقعة رد الشمس إكراماً من الله تعالى له :

ومما رواه أصحابنا من الآيات التي ظهرت على يديه الشاهدة بما تدل مناقبه ومزاياه عليه ، ردّ الشمس عليه مرّتين في عهد النبي صَلَّى الله عليه وآله مرّة وبعد وفاته مرّة .

روت أسماء بنت عميس وأم سلمة رضي الله عنهما وجابر بن

عبد الله الأنصاري ، وأبو سعيد الخدري في جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان ذات يوم في منزله وعليه عليه السَّلام بين يديه ، إذ جاءه جبرئيل عليه السَّلام يناجيه عن الله سبحانه ، فلما تغشاه الوحي توسَّد فخذ أمير المؤمنين عليه السَّلام ، ولم يرفع رأسه حتى غاب الشمس ، فصلى العصر جالساً إيماءً فلما أفاق قال لأمير المؤمنين عليه السَّلام : فانتك العصر ؟ قال : صليتها قاعداً إيماءً . فقال : ادع الله يردَّ عليك الشمس حتى تصلِّيها قائماً في وقتها ، فإن الله يجيبك لطاعتك لله ولرسوله ، فسأل الله في ردِّها فردَّت عليه حتى صارت في موضعها من السماء وقت العصر ، فصلاًها ثم غربت قالت أسماء وأم سلمة : أم والله سمعنا لها عند غروبها كصرير المنشار .

وبعد النبي صلى الله عليه وآله حين أراد أن يعبر الفرات ببابل ، واشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ، فصلَّى هو عليه السَّلام مع طائفة من أصحابه العصر ، وفاتت جمهورهم فتكلموا في ذلك ، فلما سمع سأل الله في ردِّها ليجتمع كافة أصحابه على الصلاة ، فأجابه الله تعالى وردَّها ، فكانت كحالها وقت العصر ؛ فلما سلم بالقوم غابت وسمع لها وجيب شديد هال الناس ، وأكثروا التسبيح والتهليل والاستغفار ، والحمد لله على نعمته التي ظهرت فيهم ، وسار خبر ذلك في الآفاق وفي ذلك يقول السيّد إسماعيل بن محمّد الحميري :

ردَّت عليه الشمس لما فاته	وقت الصلاة وقد دنت للمغرب
حتى تبَّلج نورها في وقتها	للعصر ثم هوت هويّ الكوكب
وعليه قد ردَّت ببابل مرة	أخرى وما ردَّت لخلقٍ معرب
إلا ليوشع أوله من بعده	ولردِّها تأويل أمر معجب ^(١)

(١) قال ابن حجر في الصواعق ص ١٢٦ ط . مصر ومن كراماته الباهرة أَنَّ الشمس ردَّت =

ومن ذلك أَنَّ علياً عليه السَّلام اتَّهم رجلاً يقال له الغيرار برفع أخباره إلى معاوية فأنكر ذلك وجحدته ، فقال أمير المؤمنين : لتحلف بالله أنك ما فعلت ؟ قال : نعم وبدر فحلف ، فقال عليّ عليه السَّلام : إن كنت كاذباً فأعني الله بصرك ، فما دارت عليه الجمعة حتى عمي وأخرج يقاد وقد أذهب الله بصره .

ومن ذلك أَنَّهُ عليه السَّلام نشد الناس من سمع النبيّ صَلَّى الله عليه وآله يقول : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » فشهد اثنا عشر رجلاً من الأنصار ، وأنس بن مالك في القوم لم يشهد فقال له أمير المؤمنين : يا أنس ما منعك أن تشهد وقد سمعت ما سمعوا ؟ قال : يا أمير المؤمنين كبرت ونسيت ، فقال أمير المؤمنين عليه السَّلام : اللَّهُمَّ إن كان كاذباً فاضربه ببياض أو بوضح لا تواريه العمامة قال طلحة بن عمير : فأشهد بالله لقد رأيتها بيضاء بين عينيه .

ومن ذلك أَنَّهُ نشد الناس فقال : أنشد الله رجلاً سمع النبيّ صَلَّى الله عليه وآله يقول : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » ، اللَّهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه » ، فقام اثنا عشر بدرياً ، ستة من الجانب الأيسر ، وستة من الجانب الأيمن ، فشهدوا بذلك فقال زيد بن أرقم : وكنت

= عليه لما كان رأس النبي ﷺ في حجره والوحي ينزل عليه وعلي لم يصلّ العصر - وذكر الحديث إلى أن قال - : قال سبط بن الجوزي : وفي الباب حكاية عجيبة حدثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق أَنَّهُم شاهدوا أبا منصور المظفر بن أردشير القباري الواقظ ذكر بعد العصر هذا الحديث وتَمَقَّه بالفاظه ، وذكر فضائل أهل البيت فغطت سحابة الشمس حتى ظنَّ الناس أَنها قد غابت فقام على المنبر وأومأ إلى الشمس وأنشدها :

لا تغري يا شمس حتى ينتهي	مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك إن أردت ثنائهم	أنسيت إذ كان الوقوف لأجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن	هذا الوقوف لخيله ولرجله
قالوا : فانجذب السحاب عن الشمس حتى طلعت .	

فيمن سمع ذلك فكتمته ، فذهب الله ببصري وكان يتندم على ما فاته من الشهادة ويستغفر الله .

في كتاب الأنوار النعمانية عن كتاب المناقب مسنداً إلى صمصعة بن صوحان : أنه دخل على أمير المؤمنين عليه السّلام لما ضرب فقال : يا أمير المؤمنين أنت أفضل أم آدم أبو البشر ؟ قال علي عليه السّلام : تزكية المرء نفسه قبيح . لكن قال الله تعالى لآدم : ﴿ يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ ^(١) ، وأنا أكثر الأشياء أباحها لي وتركتها وما قاربها .

ثم قال : أنت أفضل يا أمير المؤمنين أم نوح ؟ قال علي : إن نوحاً دعا على قومه ، وأنا ما دعوت على ظالمي حقي ، وإبن نوح كان كافراً ، وابنائي سيدا شباب أهل الجنة .

وقال : أنت أفضل أم موسى ؟ قال عليه السّلام : إن الله تبارك وتعالى أرسل موسى إلى فرعون فقال : ﴿ فأخاف أن يقتلون ﴾ حتى قال الله تعالى : ﴿ لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون ﴾ ^(٢) قال : ﴿ رب إني قتلت منهم نفساً وأخاف أن يقتلون ﴾ ^(٣) وأنا ما خفت حين أرسلني رسول الله بتبليغ سورة البراءة أن أقرأها على قريش في الموسم مع أنني كنت قتلت كثيراً من صناديدهم ، فذهبت بها وقرأتها عليهم وما خفتهم .

ثم قال : أنت أفضل أم عيسى ابن مريم ؟ قال علي : عيسى كانت أمه في بيت المقدس فلما جاء وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول :

(١) سورة البقرة: آية ٣٥ .

(٢) سورة النمل: آية ١٠ .

(٣) سورة القصص: آية ٣٣ .

أُخرجني ، هذا بيت العبادة لا بيت الولادة ، وأنا أُمِّي فاطمة بنت أسد لما قرب وضع حملها كانت في الحرم فانشقَّ حائط الكعبة وسمعت قائلاً يقول : أدخلي . فدخلت في وسط البيت ، وأنا وُلِدْتُ فيه ، وليس لأحد هذه الفضيلة ، لا قبلي ولا بعدي .

ومن كلام له عليه السَّلام :

والله لأنَّ أبيتَ على حَسك السعدان مُسْهِداً ، وأَجَرُ في الأغلال مُصَفِّداً ، أَحَبَّ إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيءٍ من الحطام . وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قُفُولها ، ويطول في الثرى حلولها . والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بُرْكم صاعاً ، ورأيت صبيانهُ شُعثَ الشعور غُبر الألوان من فقرهم كأنما سُودت وجوههم بالعظم ، وعادوني مؤكِّداً وكرَّراً عليَّ القول مردِّداً ، فأصغيت إليه سمعي ، فظن أني أبيعه ديني ، وأتبع قياده مفارقاً طريقي فأحيمتُ له حديدةً ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضجُّ ضجيج ذي دنفٍ من ألمها ، وكاد أن يحترق من ميسمها . فقلت له : ثكلتك الثواكل يا عقيل !! أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه ؟ وتجرني إلى نارٍ سجَّرها جبارها لغضبه ؟ أتئن من الأذى ؟ ولا أتئن من لظى ؟ .

وأعجب من ذلك طارق طرقتنا بملفوفةٍ في وعائها ، ومعجونة شنتها ، كأنما عُجنت بِريق حية أو قيئها ، فقلت : أصلُ أم زكاة أم صدقة ؟ فذلك مخرَّم علينا أهل البيت . فقال : لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية . فقلت : هبلك الهَبول ، أعن دين الله أتيتني لتخدعني ؟ أمخبطُ أنت ؟ أم ذو جنة أم تهجر ؟ والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت ، وإنَّ

دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادةٍ تقضمها ! ما لِعَلِّي ولنعيم
يفنى ولذةٍ لا تبقى ؟ نعوذ بالله من سُبَاتِ العقل وقبح الزلل وبه نستعين .

ومن خطبة له عليه السَّلام :

أما بعد ، أيها الناس . فأنا فقأت عين الفتنة ، ولم تكن ليَجراً
عليها أحدٌ غيري ، بعد أن ماجَ غيبيها ، واشتدَ كَلْبُها . فاسألوني قبل أن
تفقدوني ، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيءٍ فيما بينكم وبين
الساعة ، ولا عن فئة تهدي مائة وتضلُّ مائة إلا أنباتكم بناعقها وقائدها
وسائقها ، ومناخ ركابها ومحط رحالها ، ومن يُقتل من أهلها قتلاً ،
ويموت منهم موتاً . ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائهُ الأمور وحوازب
الخطوب لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين .

ومن خطبة له عليه السَّلام :

أيها الناس إني قد بَشْتُ لَكُمْ المواعظ التي وعظ الأنبياءُ بها
أُممهم . وأدَّيت إليكم ما أدت الأوصياءُ إلى مَنْ بعدهم . وأدبْتُكم
بِسُوطِي فلم تستقيموا . وَحَدَوْتُكُمْ بالزَّواجِر فلم تستوثقوا . لله أنتم !
أَتَتَوَقَّعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السبيل ؟ .
إلى آخر خطبه ومواعظه . . .

شعره

عن الشعبي قال : كان أبو بكر يقول الشعر ، وكان عمر يقول الشعر ، وكان عثمان يقول الشعر ، وكان علي أشعر الثلاثة^(١) .

وبين أيدينا دواوين كثيرة له عليه السّلام تحتوي على صنوف من الشعر الجيد ، والنظم الرائع ، والدر النضيد .

ولو تصفّحنا هذه الدواوين لوجدنا جلّ ما فيها في الآداب والأخلاق والكمال والعرفان ، فكم من نظم له عليه السّلام في مدح الصدق ، وذم الكذب ، وتحسين الحسن ، وتقبيح القبيح ، والأمر بالعدل والإحسان والنهي عن الظلم والعدوان ، والصفح عن المسيء ، والعفو عند المقدرة وهكذا بقية مكارم الأخلاق ، وفي هذه الصفحات نماذج قليلة من شعره عليه السّلام .

١ - يقول عليه السّلام في فضل العلم :

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم من أصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء

(١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٢٩٤/١ .

لا فضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
نقم بعلم ولا نبغي له بدلاً فالناس موتى وأهل العلم أحياء

٢ - وله عليه السّلام في الدنيا :

تحرّز من الدنيا فإنّ فناءها محل فناء لا محل بقاء
فصفوتها ممزوجة بكدورة وراحتها مقرونة بعناء

٣ - وله عليه السّلام في الحث على الجود :

إذا جادت الدنيا عليك فجدبها على الناس طراً إنها تتقلب
فلا الجود يفيئها إذا هي أقبلت ولا البخل يقيئها إذا هي تذهب

٤ - وله عليه السّلام في العقل :

وأفضل قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيء يقاربه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه
يزين الفتى في الناس صحة عقله وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
يشين الفتى في الناس قلة عقله وإن كرمت أعراقه ومناصبه
ومن كان غلاباً بعقل ونجدة فذو الجد من أمر المعيشة غالبه

٥ - وله عليه السّلام في الحث على الأدب :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسب
فليس يغني الحسيب نسبته بلا لسان له ولا أدب
إنّ الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي

٦ - وله عليه السّلام في بيعة من تقدمه :

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشiron غيب
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب

٧ - وله عليه السّلام في ذكر الموت :

الموت لا والدأ يبقى ولا ولدأ هذا السبيل إلى أن لا ترى أحدا
كان النبي ولم يخلد لأمته لو خلّد الله قومأ قبله خلدا
للموت فينا سهام غير خاطئة من فاته اليوم سهم لم يفته غدا
هذا نموذج من شعره عليه السّلام ، وقد نجد مصدر هذا الشعر
وغيره في الدواوين المنسوبة إليه ، وفي مطالب السؤول ، وتذكرة
الخواص ، والفصول المهمة وفرائد السمطين وغيره .

استجابة دعائه

وهذه الكرامة - استجابة الدعاء - وردت لأئمة أهل البيت عليهم السّلام ، فجّلّ من ترجم لهم نص على بعض الحوادث التي دعوا الله تعالى فيها ، واستجابة دعائهم عليهم السّلام . ولا غرو في ذلك فقد ضمن الله تعالى الاستجابة لعباده المؤمنين ، فقال : ﴿ ادعيني أستجب لكم ﴾ ^(١) فكيف بأئمة المؤمنين ، وسادة المسلمين .

وفي هذا الفصل بعض ما ورد من استجابة دعائه عليه السّلام :

١ - ولما استنشد عليه السّلام صحابة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم الذين شهدوا يوم الغدير ، وقام ثلاثون صحابياً شهدوا له بذلك ، ولم يقم أنس بن مالك ، فقال له عليه السّلام : ما لك لا تقوم مع صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله فتشهد بما سمعته يومئذ منه ؟ .

فقال : يا أمير المؤمنين ، كبرت سني ونسيت !! .

فقال علي : إن كنت كاذباً فضربك الله ببياض لا توارىها العمامة .

(١) سورة المؤمن : آية ٦٠ .

فما قام حتى ابيض وجهه برصاً ، فكان بعد ذلك يقول : أصابتني دعوة العبد الصالح^(١) .

٢ - وبلغه عليه السّلام هجوم بسر بن أرطاة - قائد معاوية - على اليمن ، وقتله الأبرياء ، فدعا عليه ، فقال : (اللهمَّ إِنَّ بسرّاً باع دينه ، وانتهك محارمك ، وكانت طاعة مخلوق فاجر آثر عنده مما عندك ، اللهمَّ فلا تمته حتى تسلبه عقله ، ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار ، اللهمَّ العن بسرّاً وعمرواً ومعاوية ، وليحل عليهم غضبك ، وتنزل بهم نقمتك ، وليصبهم بأسك وزجرك الذي لا ترده عن القوم المجرمين) .

فلم يلبث بسر بعد ذلك إلّا يسيراً حتى وسوس وذهب عقله ، فكان يهذي بالسيف ويقول : أعطوني سيفاً أقتل به ، لا يزال يردد ذلك ، حتى اتخذ له سيف من خشب ، وكانوا يدنون منه المرفقة فلا يزال يضربها حتى يغشى عليه فلبث كذلك إلى أن مات^(٢) .

٣ - من حديث له عليه السّلام مع الحسن البصري في الوضوء ، فقال له الحسن : لقد قتلت بالأمس رجالاً كانوا يسبغون الوضوء .

فقال عليه السّلام : وإنك لحزين عليهم؟! .

قال : نعم .

فقال عليه السّلام : فاطال الله حزنك .

قال أيوب السجستاني : فما رأينا الحسن قط إلّا حزيناً ، كأنه رجع

(١) المراجعات ٢٠٩ .

(٢) من الرحمان ٣٤٩ .

عن دفن حميم ، أو خرنبدج^(١) ضلّ حمارة ، فقلت له في ذلك ، فقال :
عمل في دعوة الرجل الصالح^(٢) .
وهذه واحدة من كراماته ، واستجابة دعوته عليه السّلام .

(١) خرنبدج : معرب خرنبة ، أي المكاري .
(٢) الكنى والألقاب ٧٥/٢ .

المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام

كل شيئين إذا جمعهما جامع يطلق على أحدهما : أنه أخو الآخر مثلاً : العربي تجمع العروبة بينه وبين العرب ، فيقال للعربي : يا أخا العرب .

والفارسي يشارك الفرس في العنصر فيقال له : يا أخا الفرس .

واليهودية تجمع بين اليهود فيقال لليهودي : يا أخا اليهود .

وأفراد القبيلة يجمعهم كونهم من تلك القبيلة فيقال لهم : يا أخا كندة أو يا أخا تميم . وهكذا بقية الأديان أو القبائل أو الأشياء التي تجمع بين الأفراد كالمماثلة والمشابهة .

والأخوان الشقيقان أو الأخوان من قبل الأب وحده أو الأم وحدها يقال لهما : أخوان ، لأن الأب أو الأم أو كلاهما يجمعان الإنسانين ، وعلى هذا الأساس يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ^(١) أي أن مبدأ الإيمان يجمعهما .

هذه نظرة خاطفة ولمحة موجزة عن الأخوة والإخاء في العرف

(١) سورة الحجرات : آية ١٤٩ .

والقرآن ، وقد تجتمع هذه العلل كأخوة النسب وأخوة الدين ، وأخوة المماثلة في إنسانين فتتقوى أو اصر الأخوة فيما بينهما .

روى البلاذري عن ابن عباس وغيره : لما نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ أَخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْأَشْكَالِ وَالْأَمْثَالِ ، فَأَخَى بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَبَيْنَ عَثْمَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ وَسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ، وَبَيْنَ طَلْحَةَ وَالزَّيْبِرِ ، وَبَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ وَسَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ ، وَبَيْنَ مُصْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ وَأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَبَيْنَ أَبِي ذَرٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ ، وَبَيْنَ سُلَيْمَانَ وَحَذِيفَةَ ، وَبَيْنَ حَمْزَةَ وَزَيْدَ بْنِ حَارِثَةَ ، وَبَيْنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَبِلَالٍ ، وَبَيْنَ جَعْفَرِ الطَّيَّارِ وَمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَبَيْنَ الْمَقْدَادِ وَعَمَّارٍ ، وَبَيْنَ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ ، وَبَيْنَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَمَيْمُونَةَ ، وَبَيْنَ أُمِّ سَلَمَةَ وَصَفِيَةَ ، حَتَّى أَخَى بَيْنَ أَصْحَابِهِ بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ ثُمَّ قَالَ : « أَنْتَ أَخِي ، وَأَنَا أَخُوكَ يَا عَلِيٌّ » .

وفي لفظ : قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخَيْتَ بَيْنَ أَصْحَابِكَ وَتَرَكْتَنِي » ، فَقَالَ : « أَنْتَ أَخِي ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تُدْعَى إِذَا دُعِيَ ، وَتُكْسَى إِذَا كُسِيَ ، وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِذَا دَخِلَتْ ؟ » .

قال : « بلى يا رسول الله » .

وفي رواية مناقب آل أبي طالب : فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا أَخَرْتُكَ ^(١) لِنَفْسِي ، أَنْتَ أَخِي وَأَنَا أَخُوكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

فبكى علي عند ذلك وقال :

أَقِيكَ بِنَفْسِي أَيُّهَا الْمُصْطَفَى الَّذِي هَدَانَا بِهِ الرَّحْمَنُ مِنْ عَمَةِ الْجَهْلِ

(١) إِذْخَرْتُكَ (خ ل) .

وأفديك حوبائي^(١) وما قدر مهجتي ؟
ومن ضمنني مذ كنت طفلاً ويافعاً
ومن جده جدي ومن عمه عمي
ومن حين آخى بين من كان حاضراً
لك الفضل إني ما حييت لشاكر
لمن أنتمي منه إلى الفرع والأصل
وأنعشني بالبر والعل والنهل
ومن أهله أُمي ومن بنته أهلي
دعائي وأخاني وبين من فضلي
لإتمام ما أوليت يا خاتم الرُسل

وقال :

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي معه ربيت وسبطاه هما ولدي

وقال :

محمد النبي أخِي وصنوي وحمزة سيد الشهداء عمي
ولا شك أن هذه الأخوة ليست نسبية ، إذ لم يكونا أخوين من
النسب تحقيقاً ، وإنما قال ذلك فيه إبانة لمنزله وفضله وإمامته على سائر
المسلمين ، لثلا يتقدمه أحد منهم ، ولا يتأمر عليه بعد ما آخى بينهم
أجمعين : الأشكال ، وجعله شكلاً لنفسه ، ولهذا كان علي عليه السَّلام
يفتخر بهذه المنقبة والفضيلة لما فيها من علو الرتبة وسمو المنزلة ، وشدة
الاختصاص بالنبي ، وكان علي عليه السَّلام يقول : « أنا عبد الله وأخو
رسول الله ، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم ، لا يقوله غيري إلا
كذاب » .

إن كثرة النصوص الواردة حول هذه الفضيلة وتواترها لا تُبقي مجالاً
للشك والريب ، وقد ذكرها طائفة كبيرة من علماء السنة وحفاظهم^(٢) ،
وتطرق إلى ذلك الشعراء في نظمهم وقريضهم لم نذكرها رعاية
للاختصار .

(١) الحوباء : روح القلب أو النفس .

(٢) كما ذكر العلامة القزويني - في كتابه « علي من المهد إلى اللحد » خمسين مصدراً ، =

تصدق علي بالخاتم

عزيزي القارئ : إليك ثلاث صور مما جاء من الروايات في قصة تصدق الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام بالخاتم إلى الفقير السائل ، والآيات النازلة بشأنه ، كما تجده مذكوراً ومفصلاً في الجزء الأول من كتابنا هذا (علي في الكتاب والسنة) في تفسير الآية ٥٥ من سورة المائدة من ص ٩٥ إلى ص ١٠٣ ، فراجع ، وإليك :

الصورة الأولى :

عن الإمام الباقر عليه السّلام في قوله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(١) الآية قال : « إن رهطاً من اليهود أسلموا ، منهم : عبد الله بن سلام وأسد وثعلبة وابن صوريا ، فأتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يا نبي الله إن موسى أوصى إلى يوشع بن نون فمن وصيك يا رسول الله ؟ ومن ولينا بعدك ؟ فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا

= من أهم مصادر أعلام القوم وحفاظهم في صحاحهم ومسانيدهم ، يقره الجميع بصحة متنه وسنده من ص ٣٠٦ إلى ص ٣١٢ فراجع .

(١) سورة المائدة : آية ٥٥ .

وَلِيَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿١﴾ .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « قوموا » ، فقاموا فأتوا المسجد فإذا سائل خارج ، فقال : « يا سائل أما أعطاك أحد شيئاً ؟ » قال : نعم هذا الخاتم ، قال : « من أعطاكه ؟ » قال : أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلي ، قال : « على أي حال أعطاك ؟ » قال : كان راكعاً .

فكبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكبر أهل المسجد ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « علي بن أبي طالب وليكم بعدي » ، قالوا : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبعلي بن أبي طالب ولياً ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَلِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (١) .

فتقدم حسان بن ثابت وأنشأ يقول :

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي	وكل بطيء في الهدى ومسارع
أيذهب مدحي والمجبر ضائع	وما المدح في جنب الإله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً	فدتك نفوس القوم يا خير راع
فأنزل فيك الله خير ولاية	وبينها في محكمات الشرائع
وقال أيضاً :	

علي أمير المؤمنين أخو الهدى وأفضل ذي نعل ومن كان حافيا

(١) سورة المائدة : آية ٥٥ .

(٢) سورة المائدة : آية ٥٦ .

وأول من أدى الزكاة بكفه وأول من صلى ومن صام طويلاً
فلما أتاه سائل مدّ كفه إليه ولم يبخل ولم يك جافياً
فدسّ إليه خاتماً وهو راكم وما زال أوهاً إلى الخير داعياً
فبشّر جبريل النبي محمداً بذلك وجاء الوحي في ذاك ضاحياً

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين :

فديت علياً إمام الورى سراج البرية مأوى التقى
وصي الرسول وزوج البتول إمام البرية شمس الضحى
تصدّق خاتمه راكعاً فأحسن بفعل إمام الورى
ففضّله الله ربّ العباد وأنزل في شأنه هل أتى

صورة أخرى لنزول الآية :

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : كنا جلوساً عند رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم إذ ورد علينا أعرابي أشعث الحال عليه أثواب
رثة والفقر ظاهر بين عينيه ، ومعه عياله ، فلما دخل المسجد سلّم على
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووقف بين يديه وأنشد يقول :

أتيتك والعذراء تبكي برنةٍ وقد ذهلت أم الصبي عن الطفل
وأختٌ وينتان وأمٌ كبيرة وقد كدت من فقري أخالط في عقلي
وقد مسني فقر وذلّ وفاقة وليس لنا شيء يمرّ ولا يحلي
ولسنا نرى إلا إليك فرارنا وأين مفر الخلق إلا إلى الرسل

فلما سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بكى بكاء شديداً ،
ثم قال لأصحابه : « معاشر المسلمين إن الله تعالى ، قد ساق إليكم
ثواباً ، وقاد إليكم أجراً ، والجزاء من الله غرف في الجنة ، تضاهي غرف
إبراهيم الخليل عليه السّلام ، فمن منكم يواسي هذا الفقير ؟ » .

فلم يجبه أحد ، وكان في ناحية المسجد علي بن أبي طالب يصلي ركعات تطوعاً كانت له دائماً ، فأومأ إلى الأعرابي بيده فدنا منه ، فدفع إليه الخاتم من يده وهو في صلاته فأخذه الأعرابي وانصرف .

ثم إن النبي أتاه جبرئيل ونادى : السلام عليك يا رسول الله ربك يقرؤك السلام ويقول لك : اقرأ : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١﴾ .

فعند ذلك قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائماً على قدميه وقال : « معاشر المسلمين أيكم اليوم عمل خيراً حتى جعله الله ولي كل من آمن ؟ » .

قالوا : يا رسول الله ما فينا من عمل خيراً سوى ابن عمك علي بن أبي طالب فإنه تصدق بخاتمه على الأعرابي وهو يصلي . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « وجبت الغفر لابن عمي علي بن أبي طالب » ، فقرأ عليهم الآية ... الخ .

صورة ثالثة :

في المناقب وكشف الغمة : بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذ أقبل رجل متعمم بعمامة » ، فجعل كلما قال ابن عباس : قال رسول الله يقول الرجل : قاله رسول الله . فقال له ابن عباس : سألتك بالله من أنت ؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه نفسي : أنا جندب بن جنادة البصري أبوذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهاتين وإلا صُمْنَا ،

(١) سورة المائدة: آيتان ٥٥ - ٥٦ .

ورأيت بهاتين وإلا عميتا يقول : « علي قائد البررة ، وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله » .

أما إني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً من الأيام صلاة الظهر ، فسأل سائل في المسجد ، فلم يعطه أحد ، فرفع السائل يده إلى السماء وقال : اللهم اشهد أنني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً .

وكان علي عليه السلام راکعاً ، فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم فيه ، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره ، وذلك بمرأى من النبي صلى الله عليه وآله وهو يصلي ، فلما فرغ النبي من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال : « اللهم إن أخي موسى سألک فقال : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ * وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ ^(١) فانزلت عليه قرآناً ناطقاً : ﴿ سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا ﴾ ^(٢) اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك ، اللهم اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به أزري » .

قال أبو ذر : فما أتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلامه حتى نزل جبرئيل من عند الله عز وجل فقال : « يا محمد اقرأ » ، فانزل الله عليه : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ^(٣) .

(١) سورة طه : آية ٢٥ - ٣٢ .

(٢) سورة القصص : آية ٣٥ .

(٣) سورة المائدة : آية ٥٥ .

وقد روى المفسرون في نزول هذه الآية . أنها نزلت في شأن علي عليه السّلام لَمَّا تصدق بخاتمه على السائل ، وإن اختلفت ألفاظ الحديث فالمفاد والمضمون واحد .

وهذه الآية تصرّح لعلي عليه السّلام بالولاية العامة على المسلمين ، تلك الولاية الثابتة لله ولرسوله .

وسنذكر في حديث الغدير ما يتيسر من معنى الولي والمولى إن شاء الله .

كما سبق أن ذكرنا ذلك مفصلاً في تفسير هذه الآية في الجزء الأول من كتابنا هذا (علي في كتاب والسنة) ص ٩٥ فراجع .

علي وآية المباهلة

ذكر البيهقي في الدلائل من طريق سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب إلى أهل نجران قبل أن تنزل عليه سورة النمل (طس) ^(١) سليمان : « بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، من محمد رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران .

إن أسلمتم فلإني أحمد إليكم الله إله إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، أما بعد ؛

فلإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم فقد أودنتم بحرب ، والسلام . »

فلما قرأ الأسقف الكتاب فظع به وذعر ذعراً شديداً ، فبعث إلى رجل حكيم من أساقفة أهل نجران يقال له : شرحبيل بن وادعة ، فدفع

(١) إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم .

إليه كتاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ، فقراه ، فقال له الأسقف : ما رأيك ؟ .

فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة ، فما يؤمن أن يكون ذلك الرجل ، ليس لي في النبوة رأي ، لو كان أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه وجهدت لك .

فبعث الأسقف إلى واحد من بعد واحد من أساقفة أهل نجران ، فكلهم قال مثل قول شرحبيل ، وبعد التشاور اجتمع رأيهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وادعة ، وعبد الله بن شرحبيل ، وجبار بن فيض فيأتونهم بخبر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله .

فانطلق الوفد حتى أتوا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ، فسألهم وسألوه ، فلم تنزل به وبهم المسألة حتى قالوا له : ما تقول في عيسى ابن مريم ؟ .

قال : « ما عندي فيه شيء يومي هذا ، فأقيموا حتى أخبركم بما يقال لي في صبح الغداة » .

فأنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - فَتَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾^(١) .

فأبوا أن يقرّوا بذلك ولم يؤمنوا ، فطلب منهم المباهلة - أي الملائكة - .

فلما أصبح رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ، أقبل مشتملاً على

(١) سورة آل عمران : آيات ٥٩ - ٦١ .

الحسن والحسين عليهم السّلام في خميلة له ومعه علي وفاطمة عليهم السّلام تمشي عند ظهره ، فجثى كما يجثو الأنبياء للمباهلة - أي للملاعنة - فلما رآه شرحبيل قال لصاحبيه : إني أرى أمراً ، لو كان هذا الرجل نبياً مرسلًا فتلّاعنه ولا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلّا هلك .

فقالا له : ما رأيك ؟ .

فقال : رأي أن أحكمّه فلّاني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً .

فقالا له : أنت وذلك .

فتقدم شرحبيل من رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال : يا أبا القاسم قد رأيت خيراً من ملاعتك .

قال : « وما هو ؟ » .

قال : أحكمك اليوم إلى الليل ، وليلتك إلى الصباح ، فمهما حكمت فينا فهو جائز ، فرجع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يلاعنهم وصالحهم على الجزية .

صورة أخرى للمباهلة :

عن علي عليه السّلام قال : « لما قدم وفد نجران على النبي صلّى الله عليه وآله قدم فيهم ثلاثة من النصارى من كبارهم ، وهم : العاقب ، ومحسن ، والأسقف (وفي رواية : العاقب ، والسيد ، وفيهم الطيب ، وعبد المسيح) مع أصحابهم .

فجاءوا إلى اليهود وهم في البيت ، فصاحوا بهم : يا أخوة القردة والخنازير ، هذا الرجل بين ظهرانيكم قد غلبكم ، انزلوا إلينا . فنزل

إليهم منصور اليهودي ، وكعب بن الأشرف اليهودي ، فقالوا لهم :
احضروا غداً نمتحنه .

فقال عليه السّلام : وكان النبي صلّى الله عليه وآله إذا صلى
الصّبح سأل : « ها هنا من أحد ؟ » فإن وجد أحداً أجابه وإن لم يجد
أحداً قرأ على أصحابه ما أنزل عليه في تلك الليلة ، فلما صلّى الصّبح
جلسوا بين يديه فقال له الأسقف : يا أبا القاسم فذاك موسى من أبوه ؟ .

فقال النبي صلّى الله عليه وآله : « عمران » .

فقال الأسقف : فيوسف من أبوه ؟ .

فقال النبي صلّى الله عليه وآله : « يعقوب » .

فقال الأسقف : فذاك أبي وأمي ، فأنت من أبوك ؟ .

فقال النبي صلّى الله عليه وآله : « عبد الله بن عبد المطلب » .

فقال الأسقف : فعيسى من أبوه ؟ .

فسكت النبي صلّى الله عليه وآله ، فنزل جبرئيل ، فقال : « هو
روح الله وكلمته » .

فقال الأسقف : يكون روح بلا جسد ؟ .

فسكت النبي صلّى الله عليه وآله ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه :
﴿ إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُنْ
فَيَكُونُ ﴾ (١) .

فوثب الأسقف وثبة إعظامٍ لعيسى أن يقال له من تراب ، ثم قال :

(١) سورة آل عمران : آية ٥٩ .

ما نجد هذا يا محمد في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ولا نجد هذا إلاّ عندك ، ولما لم يؤمنوا .

أوحى الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وآله الآية : ﴿ فَعُلُّوا تَعَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ، وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ، وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^(١) فقرأها عليهم ودعاهم إلى المباهلة وهي الملاعة .

فقالوا : أنصفتنا يا أبا القاسم ، فمتى موعدك ؟ .

قال : بالغداة إن شاء الله .

قالوا : حتى نرجع وننظر في أمرنا ونأتيك غداً .

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام : فلما صلى صلى الله عليه وآله الصبح أخذ بيدي وجعلني بين يديه ، وأخذ فاطمة عليها السلام فجعلها خلف ظهره ، وأخذ الحسن والحسين عن يمينه وعن شماله ثم برك لهم باركاً ، فلما رآوه قد فعل ذلك ندموا وتشاوروا فيما بينهم وقالوا : والله إنه لنبي ، فإن باهلتنا ليستجيب الله له علينا فيهلكنا ولا ينجينا ، ثم قالوا : يا أبا القاسم أفلنا ، قال : « نعم ، قد أقلتكم ، أما والذي بعثني بالحق لو باهلتكم ما ترك الله على ظهر الأرض نصرانياً إلاّ أهلكه »

قال الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب الفصول : قال المأمون العباسي يوماً للإمام الرضا عليه السلام : أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام يدل عليها القرآن ؟ قال : فقال الإمام الرضا عليه السلام : « فضيلة في المباهلة ، قال جلّ جلاله : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ، وَنِسَاءَنَا

(١) سورة آل عمران : آية ٦١ .

ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ثم نبهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴿١﴾ فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الحسن والحسين عليهما السلام فكانا ابنيه ، ودعا فاطمة عليها السلام فكانت في هذا الموضع نساءه ، ودعا أمير المؤمنين [علي بن أبي طالب عليه السلام] فكان نفسه بحكم الله عز وجل ، وقد ثبت أنه ليس أحد من خلق الله تعالى أجل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأفضل ، فواجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله بحكم الله عز وجل .

قال الطبرسي : أجمع المفسرون على أن المراد بأبنائنا الحسن والحسين عليهما السلام .

قال أبو بكر الرازي : هذا يدل على أن الحسن والحسين ، أبناء رسول الله ، وأن ولد الابنة ابن في الحقيقة .

وقال ابن أبي علان - وهو أحد أئمة المعتزلة - : هذا يدل على أن الحسن والحسين عليهما السلام ، كانا مكلفين في تلك الحال ، لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين ، وأن صغر السن عن حد بلوغ الحلم لا ينافي كمال العقل .

قال شيخنا المجلسي رحمه الله : ويدل على كون المراد بأنفسنا ، أمير المؤمنين عليه السلام ، ما رواه ابن حجر في صواعقه رواية الدارقطني : إن علياً عليه السلام يوم الشورى احتج على أهلها فقال لهم : « أنشدكم الله هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الرحم مني ؟ ومن جعله نفسه ، وأبناءه أبناءه ، ونساءه نساءه غيري ؟ » .

(١) سورة آل عمران : آية ٦١ .

قالوا : اللهم لا .

وقال المجلسي أيضاً : فإذا ثبت ذلك فيرجع هذا أيضاً إلى كونهم أقرب الخلق وأحبهم إلى الله ، فيكونون أفضل من غيرهم ، فيقبح عقلاً تقديم غيرهم عليهم ، وأيضاً لما ثبت أن المقصود بنفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية ، ليس المراد النفسية الحقيقية ، لامتناع اتحاد الاثنين ، وأقرب المجازات إلى الحقيقة اشتراكهما في الصفات والكمالات وخرجت النبوة بالدليل ، فبقي غيرها كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » .

ومن جملتها وجوب الطاعة والرئاسة العامة ، والفضل على من سواه وسائر الفضائل .

قال الإمام الرازي في كتابه الأربعين : وأما الشيعة فقد احتجوا على أن علياً أفضل الصحابة بوجوه : الحجة الأولى : التمسك بقوله تعالى : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا ﴾ وثبت بالأخبار الصحيحة أن المراد من قوله : ﴿ وَأَنْفُسَنَا ﴾ هو عليّ ، ومن المعلوم أنه يمتنع أن يكون نفس علي هي نفس محمد بعينه فلا بد أن يكون المراد هو المساواة بين النفسين ، وهذا يقتضي أن كل ما حصل لمحمد من الفضائل والمناقب فقد حصل مثله لعليّ ، تُرك العمل بهذا في فضيلة النبوة فوجب أن تحصل المساواة بينهما وراء هذه الصفة ، ثم لا شك أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان أفضل الخلق في سائر الفضائل ، فلما كان علي مساوياً له في تلك الفضائل وجب أن يكون أفضل الخلق ، لأن المساوي للأفضل يجب أن يكون أفضل . للمزيد راجع تفصيل الواقعة في الصفحة ٦٩ في الجزء الأول من كتابنا هذا ، « علي في الكتاب والسنة » .

رحم الله الشيخ الأزري حيث قال في هذه المناسبة ، ونعم ما نظم :

يا ابن عم النبي أنت يد	الله التي عم كل شيء نذاها
أنت قرآنه القديم وأوصا	فك آياته التي أوحاها
خصك الله في مآثر شتى	هي مثل الأعداد لا تتناهى
ليت عيناً بغير روضك ترعى	قذيت واستمر فيها قذاها
أنت بعد النبي خير البرايا	والسماء خير ما بها قمراها
لك ذات كذاته حيث لولا	أنها مثلها لما آخاها

وقد ذكرنا ذلك مفصلاً في تفسير آيات ٥٩ - ٦١ من سورة آل عمران في الجزء الأول من كتابنا « علي في الكتاب والسنة » ص ٦٩ إلى ص ٧٣ فراجع .

الصورة الثالثة :

وذكر العلامة الأربلي في كتابه كشف الغمة ج ١ ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ في سبب نزول آية المباهلة ، إليك نصّها :

فصل : ولما انتشر أمر الإسلام بعد الفتح وما تلاه من الغزوات ، وفدت الوفود على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان ممن وفد عليه أبو حارثة أسقف نجران في ثلاثين رجلاً من النصارى منهم : العاقب والسيد وعبد المسيح ، فقدموا المدينة فصارت إليهم اليهود فتساءلوا بينهم فقالت النصارى لهم : لستم على شيء ، وقالت اليهود لهم : لستم على شيء ، وفي ذلك أنزل الله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ﴾^(١) إلى آخرها .

(١) سورة البقرة : آية ١١٣ .

فلَمَّا صَلَّى النبيّ العصر جاءوا إليه يقدمهم الأسقف ، فقال :
يا محمّد ما تقول في السيّد المسيح ؟ .

فقال صَلَّى الله عليه وآله : « عبد الله اصطفاه وانتجبه » .

فقال الأسقف : أتعرف له أباً ولده ؟ .

فقال صَلَّى الله عليه وآله : « لم يكن عن نكاح فيكون له والد » .

فقال : كيف تقول أنه عبد مخلوق وأنت لا ترى عبداً بغير
أب ؟ .

فأنزل الله تعالى الآيات من سورة آل عمران إلى قوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ
عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ فَلَا تُكْفِرَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ
الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ
ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١١﴾ .

فتلاها على النصاري ودعاهم إلى المباحلة وقال : « إن الله أخبرني
أنّ العذاب ينزل على المبطل عقيب المباحلة ، ويبين الله الحق من
الباطل » .

فاجتمع الأسقف وأصحابه وتشاوروا واتفق رأيهم على استنظاره
إلى صبيحة غد ، فلَمَّا رجعوا إلى رجالهم قال الأسقف : انظروا محمّداً
فإن غدا بأهله وولده فاحذروا مباحلته ، وإن غدا بأصحابه فبأهلوه فإنّه
على غير شيء .

فلما كان الغد جاء النبيّ صَلَّى الله عليه وآله أخذاً بيد علي

(١) سورة آل عمران : آيات ٥٩ - ٦١ .

عليه السّلام والحسن والحسين عليهما السّلام يمشيان بين يديه ، وفاطمة عليها السّلام تمشي خلفه ، فسأل الأسقف عنهم ، فقالوا : هذا عليّ ابن عمه وهو صهره وأبو ولده وأحبّ الخلق إليه ، وهذان الطفلان ابنا بنته من عليّ وهما أحب الخلق إليه ، وهذه الجارية فاطمة ابنته وهي أعز الناس عنده وأقربهم إلى قلبه .

فنظر الأسقف إلى العاقب والسيد وعبد المسيح وقال لهم : انظروا قد جاء بخاصته من ولده وأهله ليباهل بهم واثقاً بحقه ، والله ما جاء بهم وهو يتخوف الحجة عليه فاحذروا مباهلته ، والله لولا مكانة قيصر لأسلمت له ولكن صالحوه على ما يتفق بينكم ، وارجعوا إلى بلادكم وارتأوا لأنفسكم^(١) .

فقالوا : رأينا لرأيك تبع .

فقال الأسقف : يا أبا القاسم إنّنا لا نباهلك ولكننا نصالحك ، فصالحنا على ما نهض به ، فصالحهم على ألفي حلة قيمة كل حلة أربعون درهماً جياداً ، فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك ، وكتب لهم به كتاباً .

ففي هذه القضية بيان لفضل عليّ عليه السّلام ، وظهور معجز النبي صلّى الله عليه وآله ، فإن النصارى علموا أنّهم متى باهلوه حلّ بهم العذاب ، فقبلوا الصلح ، ودخلوا تحت الهدنة ، وإنّ الله تعالى أبان أنّ علياً هو نفس رسول الله ، كاشفاً بذلك عن بلوغه نهاية الفضل ، ومساواته للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في الكمال والعصمة من الأثام ، وإنّ الله جعله وزوجته وولديه مع تقارب سنّهما حجة لنبيّه

(١) ارتأى الأمر : نظر فيه وتدبره .

صلى الله عليه وآله ، وبرهاناً على دينه ، ونصّ على الحكم بأنّ الحسن والحسين أبناؤه ، وأنّ فاطمة عليها السّلام نساؤه ، والمتوجّه إليهم الذّكر والخطاب في الدّعاء إلى المباهلة ، والاحتجاج ، وهذا فضل لم يشاركهم فيه أحد من الأمة ولا أقاربهم .

ونقلت من كتاب الكشف للزّمخشري في تفسير هذه الآية ما صورته : يقال : بُهَلَهُ الله على الكاذب منا ومنكم ، والبُهْلَةُ - بالضمّ والفتح - : اللّعة ، وبُهْلَهُ الله لعنه وأبعده من رحمته ، من قولك أبهله ، إذا أهمله وناقة باهل لا صرار عليها .

قلت : الصرار خيط يشدّ على خلفها لئلا يرضعها ولدها .

عليّ وآية التطهير

القرآن هو كتاب الله عزّ وجلّ ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو كلام الله الذي لا يتبع الهوى ولا يميل إلى أي جهة بدافع العاطفة ، بل هو الصراط المستقيم والحق القويم .

كما أنّ هناك أحاديث نبوية شريفة اتفق على صحتها علماء الشيعة والسنة ، منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يقرن العترة بالقرآن ، والقرآن بالعترة ، ويعلن عنهما أنهما لن يفترقا ولن يختلفا في المبدأ أو في أي شيء حتى يردا عليه الحوض إذاً فالقرآن يوافق العترة ، والعترة تمشي تحت ظل القرآن ، فلا اختلاف ولا تنافي بينهما ، بل هما متلازمان متفقان .

والقرآن يجلب الانتباه إلى شخصية علي بن أبي طالب عليه السلام ، في مكارم أخلاقه ومحاسن سلوكه وخصائصه ، وكثيراً ما يتوّه عن مواقفه الجليلة ، ومواطنه المشهودة ، وتضحياته العظيمة ، في سبيل الهدف الذي أنزل من أجله القرآن .

أليس القرآن : ﴿ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ (١) .
 أليس القرآن ﴿ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (٢) .
 أليس القرآن ﴿ فِيهِ مَوْعِظَةٌ وَشِفَاءٌ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
 لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .
 أليس القرآن هو الحق ويدعو إلى الحق ؟ .

فهذا عليُّ عليه السَّلام عديل القرآن ويسير مع القرآن جنباً إلى
 جنب ، يدعو ويهدي ويبين الحق وينير الدرب ، ويحذر من الباطل .
 وفي القرآن آيات باهرات واضحات نزلت في شأن أهل البيت
 عليهم السَّلام ، وعليُّ عليه السَّلام أحدهم بل سيدهم ، كما ذكره
 سبحانه وتعالى في آية المباهلة ، وفي سورة هل أتى ، وآية التطهير ،
 وغيرها مما يطول الشرح بذكر تلك الآيات المجيدة ويعسر حصرها ، وقد
 ذكرنا بعضاً منها في الجزء الأول من كتابنا هذا (علي في الكتاب
 والسنة) مفصلاً فراجع ص ٦٩ وص ٩٥ وص ٤١١ .

وليك وصف موجز عن سبب نزول آية التطهير ، وآية المباهلة ،
 وسورة هل أتى .

لقد أجمع المفسرون والمحدثون على اختلاف مذاهبهم
 ونحلهم ، إلّا الشاذ النادر منهم ، واتفقت كلمتهم على : أن آية التطهير
 نزلت في : عليٍّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين عليهم السَّلام ، وإن
 كان هناك بعض الاختلاف في ألفاظ الحديث ، فالمراد واحد .

(١) سورة البقرة : آية ١٨٥ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٩ .

(٣) سورة الإسراء : آية ٨٣ .

وخلصة الواقعة : روى الشيخ الجليل عبد الله البحراني في (العوالم) بسند فيه جمع من أجلاء العلماء وأعلام الطائفة . . . إلى جابر بن عبد الله الأنصاري قال : سمعت فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنها قالت : دخل عليّ أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الأيام ، فقال : « السلام عليك يا فاطمة . فقلت : وعليك السلام يا أبتاه . فقال : إني لأجد في بدني ضعفاً . فقلت له : أعيذك بالله يا أبتاه من الضعف . فقال : يا فاطمة ، اثبتني بالكساء اليماني ، وغطيني به . . . إلى آخر الحديث .

وفي رواية أخرى : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كان في بيت زوجته أم سلمة فدخلت عليه ابنته فاطمة ومعها الحسن والحسين وتبعهما علي عليهم السلام ، فجلسا عنده ، فألقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رداءً أو عباءة أو كساءً [كيفما كان] عليهم وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » .

فقلت أم سلمة : يا رسول الله ، فأننا من أهلِكَ ، وفي رواية : وأنا معكم ؟ أو : ألا أدخل معكم ؟ وفي رواية قالت : فرفعت الكساء لأدخل فجذبه من يدي وقال : « إنك على خير وإنك من أزواج النبي » . فنزلت الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ^(١) .

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٣ .

وقال أبو سعيد الخدري : كان النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم يأتي باب علي وفاطمة أربعين صباحاً فيقول : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، أنا حربٌ لمن حاربتم وسلمٌ لمن سالمتم » .

وقال أبو الحمراء : حفظت من رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم تسعة أشهر أو عشرة أشهر ، ورسول الله يخرج من طلوع الفجر فيأتي باب فاطمة وعليّ والحسن والحسين فيأخذ بعضهم الباب فيقول : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمكم الله » ، فيقولون : « وعليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته » .

فيقول رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

فقد أجمع محدثو الشيعة ومفسروهم ، أن آية التطهير نزلت خاصة بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، لا تشاركهم زوجات النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم فيها .

ومن أعلام السنة من ذكر ذلك ، منهم : الثعلبي في تفسيره ، وأحمد بن حنبل في مسنده ، والواحدي في تفسيره (البسيط) ، وابن البطريق في المستدرک ، والرازي في تفسيره ، وغيرهم ممن يطول الحديث عن ذكرهم .

ويقول غيرهم : إن الآية تشمل أهل البيت وسائر زوجات النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم ، وقد مرّ عليكم أن المفسرين والمحدثين ذكروا أن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم لم يأذن لزوجته أم سلمة أن تدخل تحت الكساء أو الرداء ، فكيف تشمل الآية مثلاً صفية بنت حي

ابن أخطب التي كانت يهودية خيبرية وغيرهن ممن سبق الكفر والشرك إسلامهن ؟ .

ولا دليل لهؤلاء إلا سياق الآية وترتيبها ، أو ما يكفي مجيء رسول الله صلى الله عليه وآله إلى باب علي وفاطمة أربعين صباحاً ، أو ستة أشهر ، أو تسعة أشهر ، حسب الروايات ، يطرق الباب ويتلو عليهم الآية ليكون دليلاً قاطعاً على أنّ المقصود بآية التطهير هم أهل هذا البيت فقط ، ولم يعهد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه طرق باب إحدى زوجاته وتلى عليها الآية ولو مرة واحدة .

وهذه الآية تدل دلالة قاطعة ، وبكل صراحة على عصمة أصحاب الكساء ، وأنهم معصومون من كل ذنب ومن كل خطأ ، والعصمة من مراتب الأنبياء والأوصياء ، وهي أعلى درجات الرقي ، والقرب عند الله سبحانه وتعالى .

ومن فضائله عليه السلام :

في مناقب الخوارزمي ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لو أنّ الرياض أقلام ، والبحر مداد ، والجنّ حساب ، والإنس كتاب ، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب » .

وفي كتاب الفردوس : عن معاذ بن جبل ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « حب علي بن أبي طالب حسنة لا تضر معها سيئة ، وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة » .

وقال الشافعي : في جواب رجل سأل عن علي عليه السلام قال : ما أقول في رجل أسرّ أولياؤه مناقبه تقيّة ، وكتّمها أعداؤه حقاً وعداوة ، ومع ذلك قد شاع منها ما ملأ الخافقين ؛ روضات الجنات ج ٧ ص ٢٦١ .

علي وآية النجوى

سبق أن ذكرنا بعض خصائص الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام التي تفرّد بها عن غيره ، وكانت من جملة مفاخره ، لأن الله سبحانه وتعالى خصّه بها وأنزل العديد من الآيات بشأنه ، وتلك منزلة لم ينلها أحد من المسلمين .

ومن تلك الخصائص الفريدة ، والمزايا الحميدة ، ما رواه المفسرون ، في تفسير قوله تعالى في محكم كتابه المجيد : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ (١) .

أما الأغنياء فبخلوا ، وغلبوا على حبه والرغبة في مناجاته حب الحطام ، وأما أهل العسرة « الفقراء » فلم يجدوا ما يقدموا بين يدي مناجاتهم صدقة .

فخف ذلك الزحام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واشتد على أصحابه ، فنزلت الآية التي بعدها ، راشقة لهم بسهام

(١) سورة المجادلة : آية ١٢ .

الملامة ، ناسخة بحكمها حيث أحجم من كان دأبه الإقدام .

وقال عليُّ أمير المؤمنين عليه السَّلام : « إِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى لآيَةً مَا عَمِلَ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي ، (وَهِيَ آيَةُ الْمَنَاجَاةِ) ، فَإِنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ كَانَ لِي دِينَارٌ فَبِعْتُهُ بِعَشْرَةِ دِرَاهِمٍ وَكُنْتُ إِذَا نَاجَيْتُ الرَّسُولَ تَصَدَّقْتُ بِدِرْهَمٍ حَتَّى فَنَيْتُ الدِّرَاهِمَ ، فَنَسَخْتُ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾ ^(١) .

وروى الشيخ الطوسي رضي الله عنه عن الترمذي ، والثعلبي ، عن علي عليه السَّلام أنه قال : « بِي خَفَّفَ اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةَ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى امْتَحَنَ الصَّاحِبَةَ بِهَذِهِ الْآيَةِ فَتَقَاعَسُوا عَنْ مَنَاجَاةِ الرَّسُولِ ، وَكَانَ قَدْ احْتَجَبَ فِي مَنْزِلِهِ مِنْ مَنَاجَاةِ كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا مَنْ تَصَدَّقَ ، وَكَانَ مَعِيَ دِينَاراً فَتَصَدَّقْتُ بِهِ ، فَكُنْتُ أَنَا سَبَبُ التَّوْبَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ حِينَ عَمِلْتُ بِالْآيَةِ ، وَلَوْلَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ لَنَزَلَ الْعَذَابُ لَامْتِنَاعِ الْكُلِّ عَنِ الْعَمَلِ بِهَا » .

وفي كتاب فرائد السمطين : إن علياً عليه السَّلام ناجى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم عشر مرات ، بعشر كلمات قدَّمها عشر صدقات فسأل في الأولى : « مَا الْوَفَاءُ ؟ » قال : التَّوْحِيدُ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .

ثم قال : « وَمَا الْفَسَادُ ؟ » قال : الْكُفْرُ وَالشِّرْكُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

ثم قال : « وَمَا الْحَقُّ ؟ » قال : الْإِسْلَامُ وَالْقُرْآنُ وَالْوِلَايَةُ إِذَا انْتَهَتْ إِلَيْكَ » .

ثم قال : « وَمَا الْحِيلَةُ ؟ » قال : تَرْكُ الْحِيلَةِ » .

(١) سورة المجادلة : آية ١٢ .

ثم قال : « وما عَلَيَّ ؟ قال : طاعةُ الله ، وطاعةُ رسوله » .

ثم قال : « وكيف أدعو الله تعالى ؟ قال : بالصدق واليقين » .

ثم قال : « وما أسأل الله تعالى ؟ قال : العافية » .

ثم قال : « وماذا أصنع لنجاة نفسي ؟ قال : كُلْ حلالاً وقُلْ صدقاً » .

ثم قال : « وما السرور ؟ قال : الجنة » .

ثم قال : « وما الراحة ؟ قال : لقاء الله تعالى » .

فلما فرغ نسخ حكم الآية .

وقال بعض الأعلام : وأنت إذا تأملت في هذه الكلمات العشر وما فيها من الحِكم والخَيْر الكثير التي لا يعطيها الله تعالى ولا يؤتيها إلا لخاصة خلقه والصالحين من عباده ، تجد أنها جديرة بأن يبذل بإزائها الدنيا وما فيها ، كيف لا وقد بذل أمير المؤمنين عليه السَّلام (كل ما يملك في حياته) وكل ما كان يملك (من المال حينذاك) وهو دينار واحد كما استفدنا من الروايات السابقة ، ليأخذ هذه الكنوز الغالية من الحِكم . . إلى آخره .

وقد ذكر المفسرون ، والمحدثون ، من الفريقين آيات كثيرة نزلت في شأنه عليه السَّلام ، وإنه المقصود بها تفسيراً أو تأويلاً بأنه : الشهيد ، والشاهد ، والمشهود ، والذكر ، والنور ، والهُدى ، والصادق ، والمصدق ، والفضل ، والرحمة ، والنعمة ، والذي عنده علم الكتاب .

وقد ورد لكل اسم من هذه الأسماء حديث أو أكثر ، يُصرِّح بأن علماً عليه السَّلام هو المقصود بذلك الاسم - أو بتلك الأسماء - .

إلى هنا نكتفي روماً للاختصار ، ومن يرد المزيد من التفاصيل
فليراجع الجزء الأول من كتابنا هذا (علي في الكتاب والسنة) للآيات
النازلة بشأنه عليه السّلام ، خاصةً هاتان الآيتان من سورة المجادلة
١٣/١٢ المذكورة في صفحة ٢٨٧ « وَلِلّٰهِ الْحَمْدُ أَوَّلًا وَآخِرًا » .

علي وسورة هل أتى

وسائل هل أتى نص بحق علي؟ أجبتة هل أتى نص بحق علي
في أمالي الصدوق : عن الإمام الصادق عليه السلام ، عن أبيه في
قوله عز وجل : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾^(١) قالوا : « مرض الحسن والحسين
عليهما السلام ، وهما صبيان صغيران فعادهما رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ، ومعه رجلان ، فقال أحدهما : يا أبا الحسن لو نذرت
في ابنك نذراً إن الله عافاهما ، فقال : أصوم ثلاثة أيام شكراً لله
عز وجل ، وكذلك قالت فاطمة عليها السلام ، وقال الصبيان الحسن
والحسين عليهما السلام : ونحن أيضاً نصوم ثلاثة أيام ، وكذلك قالت
جاريتهما فضة .

فالبسهما الله عافية ، فأصبحوا صياماً وليس عندهم طعام ، فانطلق
علي عليه السلام ، فاستقرض ثلاثة أصوع من الشعير .

وفي رواية : ذهب إلى جاري له من اليهود يقال له : شمعون ،
يعالج الصوف ، فقال : هل لك أن تعطيني جزة من الصوف تغزلها لك

(١) سورة الإنسان : آية ٧ .

ابنة محمد بثلاثة أصُوع من الشعير ؟ قال : نعم ، فأعطاه فجاء بالصوف والشعير وأخبر فاطمة عليها السَّلام ، فقبلت وأطاعت ، ثم عمدت فغزلت ثلث الصوف ، ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص ، لكل واحدٍ قرصاً ، وصلى عليُّ عليه السَّلام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم المغرب ، ثم أتى منزله فوضع الخوان وجلسوا خمستهم ، فأول لقمة كسرها علي عليه السَّلام ، وإذا مسكين قد وقف بالباب فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ، أنا مسكين من مساكين المسلمين ، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة ، فوضع علي عليه السَّلام اللقمة من يده ، ودفعها إلى المسكين وفعل أهل بيته كذلك ، وعمدت فاطمة عليها السَّلام إلى ما كان على الخوان فدفعته إلى المسكين ، وياتوا جوعاً وأصبحوا صياماً ولم يذوقوا إلا الماء القراح .

وفي اليوم الثاني عمدت فاطمة عليها السَّلام إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته ، ثم أخذت صاعاً من الشعير وطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحدٍ قرصاً ، وصلى عليُّ المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ثم أتى منزله فلما وضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها علي عليه السَّلام ، وإذا بيتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد أنا بيتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون ، أطعمكم الله على موائد الجنة ، فوضع علي عليه السَّلام اللقمة من يده فعمدت فاطمة عليها السَّلام إلى الطعام فأعطته جميع ما في الخوان ، وياتوا جوعاً لم يذوقوا إلا الماء القراح ، وأصبحوا صياماً .

وفي اليوم الثالث ، عمدت فاطمة الزهراء عليها السَّلام ، فغزلت الثلث الباقي من الصوف ، وطحنت الباقي من الشعير وعجنته وخبزت

منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً ، وصلى علي عليه السلام المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أتى منزله ، فقرب إليه الخوان وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرهما علي عليه السلام وإذا بأسير من أسراء المشركين قد وقف بالباب فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ، أنا أسيركم أطعموني مما أطعمكم الله .

فوضع علي عليه السلام ، اللقمة من يده ، ثم عمدوا جميعاً إلى ما كان على الخوان فأعطوه وابتوا جياً وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء .

قال شعيب في حديثه : وأقبل علي بالحسن والحسين عليهم السلام ، نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع ، فلما بصر بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يا أبا الحسن شد ما يسوءني ما أرى بكم ؟! انطلق إلى ابنتي فاطمة » .

فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ضمها إليه وقال : « واغوثاه بالله ؟ أنتم منذ ثلاث فيما أرى ؟ » ، فهبط جبرئيل فقال : يا محمد خذ ما هيا الله لك في أهل بيتك ، قال : وما آخذ يا جبرئيل ؟ قال : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ﴾ ^(١) حتى إذا بلغ ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُوراً ﴾ ^(٢) .

وبلفظ آخر : وقال الحسن بن مهران في حديثه : فوثب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل منزل فاطمة عليها السلام ، فرأى ما

بهم فجمعهم ثم انكبّ عليهم فبكى وهو يقول : أنتم منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم ؟ فهبط عليه جبرئيل بهذه الآيات : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً عَيْنَاً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾ ^(١) .

قال : هي عين في دار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، تفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين .

﴿ يَوْفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وجاريتهم .

﴿ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾ ^(٢) .

﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ ^(٣) يقول : على شهوتهم للطعام وإيثارهم له .

﴿ مَسْكِيناً ﴾ من مساكين المسلمين ﴿ وَيَتِيماً ﴾ من يتامى المسلمين ﴿ وَأَسِيراً ﴾ من أسراء المشركين .

ويقولون إذا أطعموهم : ﴿ إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾ ^(٤) .

قال : والله ما قالوا هذا لهم ولكنهم أضمره في أنفسهم ، فأخبر الله بما في ضمائرهم ، ويقولون : لا نريد جزاء ولا شكوراً تثنون به علينا ، ولكن إنمّا أطعمتاكم لوجه الله وطلب ثوابه .

قال الله تعالى ذكره : ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ

(٤-١) سورة الإنسان : الآيات ٥-٦-٧-٨ .

نصرة ﴿^(١)﴾ في الوجوه ﴿وسروراً﴾ في القلوب .

﴿وجزأهم بما صبروا جنة﴾ ^(٢) يسكنونها ﴿وحريراً﴾ يفتershونه ويلبسونه .

﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة : والأريكة : السرير عليه الحجلة ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زَمْهَريراً﴾ ^(٣) .

بعدما عرفت من إجماع المفسرين والمحدثين على نزول هذه السورة في أصحاب الكساء عليهم السلام ، علمت أنه لا شك فيه ولا ريب في أن مثل هذا الإيشار لا يتأتى إلا من قبل أهل البيت الأئمة الأخيار ومن أصحاب النفوس الطاهرة وأن نزول هذه السورة مع سورة المائدة عليهم ومعظم الآيات النازلة بحقهم عليهم السلام ، يدل دلالة قاطعة على جلالة قدرهم ، ورفعة شأنهم ، وشموخ مقامهم ، ومنزلتهم عند العزيز الجبار سبحانه وتعالى .

فقد ضرب أهل البيت عليهم السلام المثل الأعلى في التضحية والمواساة والإيشار بحيث مدحهم الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه بقوله : ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ ^(٤) أي ما حاجتهم الماسة إلى الطعام ومع ذلك يفضلون غيرهم على أنفسهم .

ولشاعر أهل البيت - الأزري - قصيدة في سورة الدهر - هل أتى - أذكر منها هذا البيت مختتماً هذه السورة كما بدأت بها .

وسائل هل أتى بحق علي أجبته هل أتى بحق علي
وللمزيد من التفاصيل راجع كتب الأخلاق والحديث .

(١- ٣) سورة الإنسان : الآيات ١١ - ١٢ - ١٣ .

(٤) سورة الحشر : الآية ٩ .

كما ذكرنا ذلك مفصلاً في كتابنا «عليّ في الكتاب والسنة» الجزء الأول من ص ٤٤٣ إلى ص ٤٥٢ مع بعض المصادر المهمة لتفسير سورة الإنسان (هل أتى) فراجع .

حديث سد الأبواب

في البحار ج ٩ ، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لما بنى مسجده بالمدينة وأشرع بابيه ، وأشرع المهاجرون والأنصار أبوابهم [على المسجد] أراد الله عزّ وجلّ إبانة محمد وآله الأفاضلين بالفضيلة ، فنزل جبرئيل عن الله : بأن سدّوا الأبواب عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قبل أن ينزل العذاب ، فأول من بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كان العباس وكان رسوله معاذ بن جبل . . . إلى آخر الرواية ، التي قال فيها صلى الله عليه وآله وسلّم : لا ينبغي لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت في هذا المسجد جنباً ، إلّا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، والمتجبون من آلهم الطيبون من أولادهم . »

وبلفظ آخر عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : لما قدم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ، المدينة لم تكن لهم بيوت ، فكانوا يبيتون في المسجد ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلّم : « لا تبيتوا في المسجد فتحلموا . »

ثم إنّ القوم بنوا بيوتاً حول المسجد وجعلوا أبوابها إلى المسجد ،

وإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث إليهم معاذ بن جبل فنادى أبا بكر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرك أن تخرج من المسجد وتسد بابك ، فقال : سمعاً وطاعة ، فسدّ بابه وخرج من المسجد .

ثم أرسل إلى عمر فقال مثل قوله ، فقال : سمعاً وطاعة .

ثم أرسل إلى عثمان وعنده رقية ، فقال : سمعاً وطاعة ، فسدّ بابه وخرج من المسجد .

ثم أرسل إلى حمزة (رضي الله عنه) فسدّ بابه وقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله .

وعلي عليه السلام ، كان متردداً لا يدري أهو فيمن يقيم أو فيمن يخرج ؟ ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بنى له في المسجد بيتاً بين بيوته ، « كذا مذكور » فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اسكن طاهراً مطهراً » .

فبلغ حمزة ذلك فقال : يا رسول الله تخرجنا وتمسك غلمان بني عبد المطلب ، فقال له النبي : « لو كان الأمر إليّ ما جعلت دونكم أحد ، والله ما أعطاه إياه إلا الله ، وإنك لعلّى خير من الله ورسوله ، أبشر » فبشره النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقتل يوم أحد شهيداً .

ونَفَسَ ذلك رجال على عليّ فوجدوا في أنفسهم (أي حسدوه) ، وتبين فضله عليهم وعلى غيرهم من الصحابة ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقام خطيباً فقال : « إن رجالاً يجدون في أنفسهم في أن أسكن علياً في المسجد وأخرجهم ، والله ما أخرجتهم ولا أسكنته ، إن الله عز وجل أوحى إلى موسى وأخيه ﴿ أن تبوءا لقومكما بمصرَ يَبُوتاً

واجعلوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴿١٠﴾ يونس ٨٧ وأمر موسى أن لا يسكن مسجداً ولا ينكح فيه ولا يدخله إلا هارون وذريته ، وإنّ علياً بمنزلة هارون من موسى ، وهو أخي دون أهلي ، ولا يحل مسجدي لأحد ينكح فيه النساء إلا عليّ وذريته ، فمن شاء فها هنا ، وأوما بيده نحو الشام .

ولابن أبي الحديد كلام جامع يشير إلى بعض الفضائل بصورة موجزة يقول : كان أمير المؤمنين عليه السّلام ذا أخلاق متضادة ، فمنها أنّ الغالب على أهل الإقدام والمغامرة والجرأة أن يكونوا ذوي قلوب قاسية وفتك وتنحر وجدية ، والغالب على أهل الزهد رفض الدنيا وهجران ملاذها والإشتغال بمواعظ النّاس وتخويفهم المعاد وتذكيرهم الموت أن يكونوا ذوي رقة ولين ، وضعف قلب ، وخور طبع ، وهاتان حالتان متضادتان وقد اجتمعتا له عليه السّلام . . . إلى آخر كلامه المفصل ، أطوى عنه كشحاً روماً للاختصار .

علي ومفاخرة العباس وشيبة

روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني عن ابن بريدة عن أبيه قال :
بيننا شيبة بن أبي طلحة ، والعباس [بن عبد المطلب] عم النبي ،
يتفاخران إذ مرَّ بهما علي بن أبي طالب عليه السَّلام فقال : « بماذا
تتفاخران » ؟ فقال العباس : لقد أُوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد :
سقاية الحاج .

وقال شيبة : أُوتيت عمارة المسجد الحرام .
قال عليُّ عليه السَّلام « إستحييت لكما فقد أُوتيت على صغري ما
لم تأتيا » .

فقالا : وما أُوتيت يا عليّ ؟

قال : ضربت خراطينكما بالسيف حتى آمنتما بالله رسوله .
فقام العباس يجر ذيل ثوبه حتى دخل على رسول الله صَلَّى الله
عليه وآله وسلَّم ، وقال : أما ترى إلى ما يستقبلني به علي ؟ فقال
صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم : « ادعوا لي علياً » فدعي له ، فقال : « ما
حملك على ما استقبلت به عمك » ؟

فقال : « يا رسول الله صدمته بالحق ، فمن شاء فليغضب ، ومن
شاء فليرضى » .

فنزل جبرئيل وقال : « يا مُحَمَّدُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ ويقول : اتْلُ عَلَيْهِمْ : ﴿ أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ ﴾ ^(١) .

فقال العباس : إنا قد رضينا - ثلاث مرات ، راجع تفصيل ذلك في الجزء الأول ص ١٢٩ مورد ٣١ من كتابنا هذا « علي في الكتاب والسنة » في تفسير الآية .

(١) سورة البراءة ٩ : الآية ١٩ .

تبليغ علي سورة البراءة

في شهر ذي الحجة من السنة التاسعة للهجرة ، نزلت الآيات الأولى من سورة براءة - التوبة - ملخصها :

أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أبا بكر ليحج بالناس ، والمشركون لا يزالون يشاركون المسلمين في أداء الفريضة ، فيحج في الموسم من يؤمن بالله ، ومن يؤمن بالجبث والطاغوت .

ومضى أبو بكر بمن معه من المسلمين ليشرف على الحج في ذلك العام ، حتى انتهى إلى ذي الحليفة ، وهو ميقات أهل المدينة ، المعروف بمسجد الشجرة في يومنا هذا .

وفيما هو يسير بمن معه وإذا بالوحي ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويأمره بأن يرسل علياً مكان أبي بكر ، وقال له : لا يؤذيها إلا أنت أو رجل منك .

وهذا مما يثبت بالدليل القاطع على أن نفس علي عليه السلام هي نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام وأمره أن يأخذ الآيات من أبي بكر ويؤذيها بنفسه ، فلاحقه علي عليه السلام وهو

لا يزال بذى الحليفة فأخذها منه ، ورجع أبو بكر إلى المدينة خائفاً أن يكون قد نزل فيه ما يغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله هل أنزل في شيء ؟ فقال النبي : « لا ولكني أمرت أن أبلغها أنا أو رجل مني » .

ومضى علي عليه السلام حتى بلغ مكة فقرأ على الناس الآيات الأولى من سورة برآءة في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة ، كما جاء ذلك برواية ابن كثير في البداية والنهاية .

ونادى في الناس : أن لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ، ولا يطوف في البيت عريان ، ولا تدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد فعهد إلى مدته .

وفي رواية ثانية : إنه تلا عليهم سورة برآءة حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(١) .

ثم أعاد عليهم القول : « لا يحجن بعد العام مشرك ، ولا يطوفن في البيت عريان » ^(٢) ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد فأجله إلى مدته .
وأصغى المشركون إلى هذا القرار ، بقلوب ترتعد من الخوف ويسعرها الحقد ، ثم رجعوا إلى أنفسهم وتلاوموا ، وقال بعضهم

(١) التوبة ... ٣٨ .

(٢) لقد جاء في تاريخ ابن كثير وغيره ممن كتبوا في السيرة النبوية - اذكره ملخصاً ما معناه : إن القرشيين تشددوا في تعظيم البيت وتقديسه ، وقالوا : نحن بنوا إبراهيم وأهل الحرم وولادة البيت ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا .

لبعض : ما تصنعون وقد أسلمت قريش وأكثر العرب ، فأسلم أكثرهم (اضطراراً) قبل نهاية الأشهر الأربعة .

وقد لخصت ما ذكره أرباب السير والتواريخ في صحاحهم ومسانيدهم : منهم : الحاكم في المستدرک بسنده إلى ابن عباس .

ومنهم : النسائي بسنده إلى سعد بن عبادة ، كما رواها بسنده إلى أنس بن مالك ، ومنهم : الترمذي رواه بسنده إلى حماد بن سلمة .

وفي مسند الإمام أحمد قال : إِنَّ النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يذهب بها إلا رجلٌ مني وأنا منه » .

= وأدخلوا بعض البدع وشَدّدوا من مناسكهم وتركوا بعضها، منها الوقوف على عرفات في التاسع من ذي الحجة والإفاضة منها مع علمهم بأنها من شعائر إبراهيم عليه السّلام ، - وسموا أنفسهم بالحُمس - أي المتشدّدة - وما كانت العرب توافقهم على ذلك - ومن بدعهم التي أدخلوها في المناسك : لا يجوز ولا ينبغي لمن جاء حاجاً أن يأكل من الطعام الذي جاء به من الحل إلى الحرم ، كما لا يجوز أن يطوف بالبيت إذا قدم حاجاً إلا في ثياب الحُمس ، فإن لم يجد منها شيئاً طاف بالبيت عرياناً ، فإن طاف أحد منهم بتيابه - رجلاً كان أو امرأة - التي جاء بها من الحل ألفاها إذا فرغ من طوافه ، ثم لا يجوز له أن يتنفع بها ، أو يمسهما هو أو أحد غيره ، ويسمون ذلك الثوب - اللّقى - أي المطروح - وكانت المرأة إذا أرادت أن تطوف ولم تجد ثوباً من ثياب الحُمس ، تطوف عارية واضعة يدها على فرجها . وفي رواية ابن هشام أنها تنزع جميع ثيابها إلا درعاً مفرجاً عليها وتطوف به ، وقد طافت ضباعة بنت عامر بن صعصعة على تلك الحالة - وكانت من أجمل نساء عصرها وأنظرم - وهي تشد :

اليوم يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلَّهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أُجِلَّهُ

ولها قصة مفصلة يذكرها أرباب السير والتاريخ .

وظلت هذه الطقوس سارية بينهم إلى أن بعث الله رسوله الكريم صَلَّى الله عليه وآله وسلم فأبطلها بعد أن نهى عنها الله سبحانه في كتابه المجيد بقوله - ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، وقال في آية ثانية : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ البقرة : ٢ : ١٩٩ .

ويبدو أنَّ حديث إرسال علي بسورة البراءة ، وقول النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم « لَا يُؤْذِيهَا إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ » متفق عليه بين محدّثي الشيعة والسنة ؛ انظر فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٣٤٣ وما بعدها .

سقيفة بني ساعدة

أعود لإتمام البحث الذي اختتمت به الجزء الثاني ، من الاجتماع في سقيفة بني ساعدة فأقول :

لقد اتفق المؤرخون والمحدثون على أن موقف عمر بن الخطاب من وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد انتهى بحضور أبي بكر وقراءته الآية على الناس ، وقد خرجا معاً من البيت الذي كان النبي جثه هامدة فيه وتركاه لأهله ونسائه ، أما إلى أين ذهبا وأين اجتمعا وبماذا كانا يخططان فكتب التاريخ والسيرة لم تكشف على وجه التحقيق شيئاً من ذلك لأن السياسة الزمنية التي جاءت ، ألقت ظلالاً كثيفاً على الحادث ، لتصوره بالصورة التي تناسبها .

ولكن إذا أخذنا بعين الاعتبار موقف أبي بكر وعمر وأنصارهما من علي وتصميمهما على صرف الأنظار عنه لكثرة الشواهد على ذلك ، لم يعد لنا بديل عن القول بأنهما خرجا من البيت الذي فيه جثمان النبي لإنهاء أمر البيعة لأبي بكر ، وإن موقف الأنصار في سقيفة بني ساعدة كان رداً على موقف شيوخ المهاجرين ، ذلك أن الأنصار بعد أن تأكدوا بأن أكثر المهاجرين قد اجتمعوا على إبعاد علي عنها أرادوا أن يبرزوا

كطرف آخر ، لأنهم لا يرون لغير علي عليه السلام فضلاً وميزة عليهم
لأحد من الناس ، لذلك اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة على اختيار
سعد بن عباد الأنصاري .

ويؤيد ذلك ما جاء في شرح النهج من رواية الزبير بن بكار ، حيث
قال : لما بويع أبو بكر أقبلت الجماعة التي بايعته تنزف زفاً إلى مسجد
رسول الله ، فلما كان آخر النهار اجتمع قوم من المهاجرين وقوم من
الأنصار وتعاقبوا فيما بينهم ، فقال عبد الرحمن بن عوف : يا معشر
الأنصار إنكم وإن كنتم أولي فضل ونصر وسابقة ولكن ليس فيكم كأبي
بكر وعمر وعلي وأبي عبيدة ، فقال زيد بن أرقم : إنا لا ننكر فضل من
ذكرت يا عبد الرحمن ، وإنّ منّا لسيد الأنصار سعد بن عباد ، ومنّ أمر
الله رسوله أن يقرأه السلام ، وأن يأخذ عنه القرآن كأبي بن كعب ، وفينا
من يجيء يوم القيامة إمام العلماء معاذ بن جبل ، وفينا من أمضى
رسول الله شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت ، وإنا لنعلم أن بين من
سميت من قریش من لو طلب هذا الأمر لا ينازعه فيه أحد وهو علي بن
أبي طالب .

فكلمة زيد بن أرقم الأخيرة وهو من سادة الأنصار صريحة في أن
موقف الأنصار من الخلافة لم يكن لولا أنهم علموا بأن أكثر المهاجرين ،
قد اتفقوا على إبعاد علي عنها ، وهذا مما يرجح أن موقفهم في سقيفة
بني ساعدة كان رداً على موقف المهاجرين واتفاقهم على إبعاد علي
عنها .

ومجمل الحديث عن سقيفة بني ساعدة وما انتهت إليه كما يروي
ذلك ابن هشام عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب أنه قال : لما توفي
رسول الله خالفنا الأنصار واجتمعوا مع اشرافهم في سقيفة بني ساعدة ،
وكان قد تخلف عنا علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معهما ،

واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى اخواننا هؤلاء الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلاً صالحاً ، فذكرنا لنا ما تمالأ عليه القوم ، وهما معن بن عدي وعويم بن ساعدة ، وكانا من المتحمسين لأبي بكر كما جاء في شرح النهج عن الواقدي .

وتنص رواية الواقدي : على أن معن بن عدي كان يسوق أبا بكر وعمر ومن معهما سوقاً إلى السقيفة قبل أن تتم البيعة لسعد فيها .
أما رواية عمر بن الخطاب فتقول : إن الرجلين قالا : فلا عليكما أن لا تقر بهما يا معشر المهاجرين اقضوا أمركم ، قال عمر بن الخطاب فقلت لهما : والله لنأتينهم ، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا بين ظهرانيهم ، رجل مزمل ، فقلت من هذا : قيل هو سعد بن عباد .

ولما جلسنا تشهد خطيبهم فأتني على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفت دافة من قومكم^(١) وإذا هم يريدون أن يجتازونا من أصلنا ويغصبونا الأمر ، ومضى عمر بن الخطاب يقول : فلما سكت خطيبهم أردت أن أتكلم وكنت قد زورت^(٢) في نفسي مقالة قد أعجبتني أريد أن أقولها بين يدي أبي بكر ، وكنت أداري منه بعض الحد .

فقال أبو بكر : على رسلك يا عمر ، فكرهت أن أغضبه ، فتكلم وكان أعلم مني وأوقر ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قالها في بديته أو مثلها أو أفضل منها حتى سكت ، ومضى يقول إن أبا بكر قال يخاطب الأنصار : إن ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب

(١) الدافة هم قوم يسرون سيراً معقولاً ، وفي ذلك دلالة على أن حركة الأنصار كانت رداً على تكتل

جماعة من المهاجرين واتفاقهم على الاستيلاء على السلطة .

(٢) زورت مقالة أي أهليت وهيأت

نسباً وداراً ، وقد رضينا لكم أحد الرجلين فبايعوا أيهما شئتم وأخذ بيدي
ويد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ، ولم أكره شيئاً مما قاله
غيرها ، وكان والله أن أقدم فتضرب عنقي أحب إليّ أن أتأمر على قوم
فيهم أبو بكر !

ومضى عمر بن الخطاب يقول : فقال قائل من الأنصار : أنا
جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، منّا أمير ومنكم أمير يا معشر
قريش ، فكسر اللفظ وارتفعت الأصوات حتى تخوفت الاختلاف ،
فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ،
وبايعه الأنصار .

وتقف رواية عمر بن الخطاب عند هذا الحد ، ولم تذكر إلا فقرتين
أو ثلاثاً من خطاب أبي بكر ، كما وأنها لم تتعرض لموقف الحجاب بن
المنذر بكامله ، ولا للحوار الذي دار بين بشير بن سعد والحجاب بن
المنذر الخزرجي ، ولا احتجاج عمر بن الخطاب على الحجاب .

وجاء في تاريخ ابن خلدون وشرح النهج ج ١/ ص ١٢٨ : إن أبا
بكر وعمر بن الخطاب وأبا عبيدة ، لما علموا باجتماع الأنصار توجّهوا
إلى سقيفة بني ساعدة حيث الأنصار قد أرادوها لزعيمهم سعد بن عبادة ،
فقال أبو بكر : نحن أولياء النبي وعشيرته وأحق الناس بأمره ولا ننازع في
ذلك ، وأنتم لكم حق السابقة والنصرة فنحن الأمراء وأنتم الوزراء .

وتكلم بعده الحجاب بن المنذر فأشاد بالأنصار ومواقفهم وجهادهم
ودعاهم إلى التماسك والترابط وعدم التنازل عن حقهم في خلافة
الرسول ، ولا أقل من أن تكون الإمارة مشتركة بين المهاجرين ، وبينهم
من كل فريق أمير . حيث قال : منّا أمير ومنكم أمير .

ووقف عمر بن الخطاب ليرد عليه ، فقال : هيهات لا يجتمع
سيفان في غمد واحد ، والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من

غيركم ، ولا تمنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة منهم ، من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته .

وعاد الحباب ليتكلم مرة ثانية ، ولكن بغير اللهجة التي تكلم بها أولاً ، فقال مخاطباً الأنصار : املكوا أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم فاجلوهم من هذه البلاد وأنتم أحق بهذا الأمر ، فإنه بأسيا فكم دان الناس بهذا الدين .

وأضاف يقول : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، والله إن شتتم لنعيدها جذعة ، فقال له عمر : إذن يقتلك الله ، ورد عليه الحباب بالمثل ، وهنا جاء دور أبي عبيدة كوسيط بين الطرفين في هذا النزاع الذي أشرفت نهايته أن تكون لمصلحة أبي بكر ، فقال يا معشر الأنصار : أنتم أول من نصر وأزر فلا تكونوا أول من غير وبدل .

وبهذا الأسلوب الهادئ ظهرت بوادر التفكك بين هذا الحي من الأنصار ، فقام بشير بن سعد الخزرجي وقال : يا معشر الأنصار ألا إن محمداً من قريش وقومه أولى به ، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر .

وهنا استغل أبو بكر الفرصة وقال للناس : بايعوا أحد الرجلين عمر بن الخطاب وأبا عبيدة .

وانفض عمر وأبو عبيدة وكأنهما كارهان لهذا الأمر وقالوا : معاذ الله ، والله لأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله على الصلاة أبسط يدك ، فبسطها دون تردد وكأنهم على اتفاق على هذا الأسلوب ، وبايعاه وأسرع إليه بشير بن سعد ، وبالطبع كانت الأوس تكره استخلاف سعد وتود أن يتولاها غيره ، فلما بايعه عمر وأبو عبيدة وبشير بن سعد دعا أسيد بن حضير قومه من الأوس أن يسرعوا إلى البيعة لتكون لهم اليد الأولى عند الخليفة ، فأسرعوا وتسابق الناس إلى بيعته حتى كادوا أن

يطلّوا سعداً بأرجلهم ، وخرجوا يزفونه إلى المسجد وعلي وبنو هاشم
وجماعة من المهاجرين وبعض الأنصار لا يعلمون مما جرى شيئاً
لأنصارهم إلى تجهيز الرسول إلى مقره الأخير .

ويبدو مما أورده ابن هشام في سيرته من حديث عمر عن السقيفة
وما تمّ فيها أن اجتماع الأنصار كان رداً على اتفاق جماعة من المهاجرين
على الاستيلاء عليها كما ذكرنا .

كما تشير إلى ذلك مقالة خطيب الأنصار : وقد دافت دافة من
قومكم وإذا هم يريدون أن يجتازونا من أصلنا ، وكما يظهر أيضاً من
مقالة زيد بن أرقم لعبد الرحمن بن عوف : أنه لو طلبها علي لم ينازعه
فيها أحد .

ومعنى ذلك أن الأنصار كانوا ملتزمين من جانبهم بحق علي لولا
المعارضة ، وبعد أن طلبها غيرهم وجدوا أنفسهم أحقّ بها من أولئك
الذين أرادوها لأنفسهم .

والشيء الثاني الذي يؤيد ما ذكرناه هو أن دخول أبي بكر وعمر
وأبي عبيدة إلى السقيفة وقول أبي بكر بعد ذلك الحوار الطويل : بايعوا
أحد الرجلين ، وإسراع عمر إلى بيعته بمجرد أن قال ذلك ، كل ذلك
يكشف عن أنهم كانوا على اتفاق سابق بينهم على أن يتداولوها ثلاثتهم
على التعاقب ، وتشير إلى ذلك مقالة عمر بن الخطاب حينما طعنه أبو
لؤلؤة : لو كان أبو عبيدة حياً ما عدوته .

على أنبيعة أبي بكر على النحو الذي تمت عليه لا تعدو أن تكون
تعييناً من عمر بن الخطاب لأبي بكر حينما سمع بشير بن سعد يعترف بها
للمهاجرين ، مع العلم أن بشير بن سعد لم يعين أحداً منهم ، فأقدم
عمر علىبيعة أبي بكر وكأن الأمر يعنيه وحده ، متجاهلاً مشات
المهاجرين وبنو هاشم - وعلى رأسهم علي بن أبي طالب - الذين لم

يعلموا بشيء مما جرى إلا بعد إبرامه ، والأغرب من كل ذلك أن عمر بن الخطاب قد تذرّع لتقديمه عليه بأنه خليفة رسول الله على الصلاة كما جاء في شرح النهج من رواية الطبري ، مع العلم بأن ذلك لم يثبت تاريخياً كما ذكرنا .

ولو افترضناه ، فإمامة المصلين كان يتعاطاها عامة المسلمين ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحثهم عليها ويرغبهم بها ، ولم يشترط فيها شيئاً أكثر من أن يكون مستوراً وغير متجاهر في المنكرات والمعاصي ، وعند عامة أهل السنة يكفي أن يكون متجاهراً بالإسلام .

لقد ربط عمر بن الخطاب بين صلاة أبي بكر بالناس وبين استخلافه بعد الرسول وتولية مقاليد السلطة وتجاهل ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي يوم الدار : « أنت أخي ووصي وخليفتي من بعدي » .

وقوله يوم الأحزاب حينما برز لعمر بن ود العامري : « برز الإيمان كله إلى الشرك كله » .

وقوله في خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » .

وقوله في غزوة تبوك : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، ولا ينبغي لي أن أذهب إلا وأنت خلفتي » .
وحديث المباهلة .

وقوله في غدير خم على حشد يزيد عن مائة ألف كما جاء في أكثر الروايات « من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .

وحديث الثقلين ، وغير ذلك من أقواله الكثيرة في مختلف المناسبات التي اتفق عليها الرواة من السنة والشيعية ، لقد تجاهلها ولم يجد فيها ما يشير ولو إلى أخذ رأيه في الخلافة فضلاً عن استخلافه ،

ووجد في اقدام أبي بكر على الصلاة بالناس في مرض النبي بدون رأيه دلالة على أحقيته في خلافة المسلمين من بعده ، وصدق الله حيث يقول :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَنَنْتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ﴾ (١) .

تجهيز النبي ودفنه

يكاد يكون من المتفق عليه بين المؤرخين والمحدثين : إن علياً عليه السلام منذ أن دب المرض في جسم النبي كان منصرفاً هو والهاشميين وبعض المهاجرين والأنصار إلى تمريض النبي وتجهيزه بعد وفاته واستقبال المعزين والوافدين ، ولم يعلم بما كان يجري لإقصائه عن الخلافة ، وحتى لو كان يعلم بتلك التدابير التي اتخذها القوم لم يكن ليترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسجى في بيته جثة هامدة وينصرف للمطالبة بحقه ، في حين أن كل ما تم لم يكن منتظراً بتلك السرعة الخاطفة .

ومن المؤكد أنه لم يعلم هو وجماعته من الهاشميين وبعض المهاجرين والأنصار إلا بعد أن خرج الناس من السقيفة يزفون أبا بكر إلى المسجد ويهتفون باسمه وكلما التقوا بأحد جرّوه إلى المسجد وأمره بالبيعة ، فأصيب الناس في بادئ الأمر بمثل الدهشة التي أصابتهم ساعة وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وجاء في سيرة ابن هشام وغيرها : أنه لما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز الرسول ، وتولى تجهيزه علي بن أبي طالب والعباس وولداه الفضل وقثم بن العباس وأسامة بن زيد ، وكان قد رجع من الجرف بمن

(١) سورة آل عمران ٣ : الآية ١٤٤ .

معه من الجيش المرباط هناك ، وكان شقران مولى رسول الله قد أسنده إلى صدره ، والعباس وأولاده يقلبونه معه ، وأسامة يصب الماء عليه ، وعلي يغسله وعليه قميصه يغسله من وراء الثياب لا يفضي بيده إليه وهو يقول : « بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً » .

وقال الشيخ المفيد : فلما أراد أمير المؤمنين تغسيل النبي استدعى الفضل بن العباس وأمره أن يناوله الماء ، فلما فرغ من غسله وتحنيطه تقدم وصلى عليه وحده ولم يشرك معه أحداً في الصلاة عليه ، والمسلمون في المسجد يخوضون فيمن يؤمهم في الصلاة عليه ، وأين يدفن ، فخرج إليهم أمير المؤمنين وقال لهم : « إن رسول الله إمامنا حياً وميتاً ، فليدخل عليه فوج بعد فوج فيصلون عليه بغير إمام وينصرفون ، وإن الله لم يقبض نبياً في مكان إلا وقد ارتضاه لرمسه فيه ، وإنني لدافنه في حجرته التي قبض فيها » فلم يعارض أحد في ذلك .

وروى ابن عبد البر في الاستيعاب : إنه لما صلى عليه علي وبنو هاشم وخرجوا دخل المهاجرون ثم الأنصار ثم بقية الناس يصلون عليه بدون إمام .

ولما فرغوا من الصلاة عليه أنفذ العباس إلى أبي عبيدة بن الجراح وكان يحفر لأهل مكة ويضرح ، وأنفذ إلى زيد بن سهل وكان يحفر لأهل المدينة فقيل له : احفر لرسول الله ، فحفر له لحداً ودخل أمير المؤمنين والعباس والفضل وأسامة بن زيد ليباشروا دفنه فنادت الأنصار من وراء البيت يا علي نذكرك الله وحقنا اليوم من رسول الله أن يذهب ، أدخل منا رجلاً يكون لنا به حظ من مواراة رسول الله ، فقال : « ليدخل أوس بن خولي » وكان بدرياً فاضلاً من بني عوف ، فلما دخل قال له علي : « انزل القبر » فنزل ووضع أمير المؤمنين رسول الله على يديه ودلاه في حفرته ، فلما وضعه في حفرته ، قال له : « اخرج » فخرج ونزل علي

عليه السّلام فكشف عن وجه رسول الله ووضع خده على الأرض ووجهه إلى القبلة ، ثم وضع عليه اللبن وأمال عليه التراب ورفع قبره عن وجه الأرض مقدار شبر واحد ، وقيل : أكثر من ذلك بقليل .

واختلفت الروايات في اليوم الذي دفن فيه وأكثرها أنه كان في الثاني لوفاته ، وفي بعضها : إن دفنه كان في آخر ساعة من يوم الثلاثاء .

وجاءت فاطمة عليها السّلام إلى القبر ساعة دفنه ، وقالت : « أطابت نفوسكم أن تحثوا التراب على رسول الله » ، وأخذت من تراب القبر ووضعت على عينيها وأنشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمد ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لوأنها صبت على الأيام عدن لياليا
وغاب في ذلك اليوم عن دنيا الناس وجه ما عرف التاريخ وجهاً
أكرم منه ، ولا رجلاً أعطى البشرية ما أعطاه ، وترك لها ما ترك ، ولا
رجلاً حمل إلى العالم مثل تلك الرسالة معجزة الدهور والعصور ،
واستطاع أن يهز العالم من أقصاه إلى أقصاه منذ ألف وأربعمائة من
السنين حتى يومنا هذا ، وسبقني ما بقي التاريخ الرجل الأول في تاريخ
الإنسانية الذي يهز الجبابرة والطغاة وملوك الدنيا وحكامها الأشداء .

وستبقى سيرته مصدراً غنياً بمعاني التضحيات في سبيل الحق
والعدل والعقيدة والمثل العليا ، وشريعته معجزة الإنسان الأول ما بقيت
على وجه الأرض أديان وشرائع وأناسين .

محنة الزهراء بعد أبيها

كانت مصيبة وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أوجع الفجائع على قلب علي عليه السلام ، ولولا إيمان علي وصبره على المصيبة لمات حزناً في تلك المأساة ؛ إذ ما فارق الحزن قلب علي عليه السلام حتى فارق الحياة ، فسرعان ما ابيضت لحيته الكريمة فقيل له : لو غيّرت شيبك يا أمير المؤمنين . فقال عليه السلام : « الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة » يريد بها وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولم يختضب الإمام طيلة أيام حياته لهذا السبب ، ولأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بخضاب خاص ، فقد روى ابن نباتة قال : قلت لأمر المؤمنين عليه السلام : ما منعك من الخضاب وقد اختضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : « أنتظر أشقاهما أن يخضب لحيتي من دم رأسي ، بعهد معهود أخبرني به حبيبي رسول الله » .

ولما فارق النبي الحياة وهو بعد لم يدفن اجتمع الناس في موضع يقال له (السقيفة) وقد رشّح سعد بن عبادة نفسه للامارة وهو سيد

الخزرج ، وأسيد بن خطير قد رشح نفسه أيضاً لأنه سيد الأوس ، وبين الأوس والخزرج عداً وتنافس قديم .

ودخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة في ذلك المجتمع واستمعوا إلى كلام المرشحين للإمارة والرئاسة ، وتكلم أبو بكر ودعا الناس إلى عمر أو أبي عبيدة ، وامتنع الرجلان أن يتقدما أبا بكر لأنه صاحب الغار ، وجرى هناك كلام ونزاع طويل واصطدام عنيف فيما بين المهاجرين والأنصار وبين أبي بكر وأهل السقيفة ، حتى آل الأمر إلى التهديد والشتم . كما ذكرنا ذلك مفصلاً .

وهنا انتهز رئيس الأوس الفرصة ، وتضعيفاً لجانب سعد بن عباد (مُنافِيه) وافق على تأمير أبي بكر ، وضمَّ صوته إلى صوت عمر وأبي عبيدة وقال : أنا ثالثكما ، ولما رأى الأوس سيدهم انحاز إلى تلك الناحية اتبعوا رئيسهم ، وأقبلوا إلى أبي بكر وبايعوه ، وكاد سعد بن عباد يموت تحت الأقدام ، فصاح : قتلتموني . فصاح عمر : أقتلوا سعداً قتله الله .

وهكذا وقع الانتخاب ، وبويع لأبي بكر بالخلافة ، وذهبت مساعي النبي (حول تعيين الخليفة) أدراج الرياح ، وصارت تلك الجهود هباءً منثوراً .

وحدثت حوادث مؤلمة مشجية لا نذكرها تحفظاً على العواطف أن نخدش ، وإن كانت تلك الحوادث مذكورة في الآلاف المؤلفة من كتب الحديث والتاريخ ، ومشهورة عند المسلمين إلى حدِّ التواتر .

ونذكر جملة عن موقف الإمام في ذلك العهد : فلقد أخذوا البيعة من الناس لأبي بكر ، وجاؤوا إلى علي ليخرجوه من البيت ليبيع لأبي بكر فلم تأذن لهم فاطمة بالدخول في بيتها ، فصدر الأمر بالهجوم فهجموا وأخذوا علياً بعد أن خلعوا عنه سلاحه وأخرجوه من البيت

يريدون به المسجد ، وخرجت فاطمة خلفهم وهي بأشد الأحوال ، إذ أنها اجهضت جنينها حيث عُصرت من قبل المهاجمين بين الباب والحائط ونبت المسمار فى صدرها فكأنها نسيت آلامها فجعلت تعدو وتصيح : « خلوا عن ابن عمي ؟ خلوا عن بعلي ! والله لا أكشفن عن رأسي ولاضعن قميص أبي على رأسي وأدعو عليكم » !!!

ووصلت إلى باب المسجد فرأت منظرأ مؤلماً لا نستطيع أن نصفه وشاهدت علماً حاسر الرأس مشدود بحمائل سيفه والسيف مسلط على رأسه لقتله إن لم يبايع أبا بكر إلا أنها استطاعت أن تخلص زوجها من أيدي الناس وتحول بينهم وبين أخذ البيعة منه ، ورافقت زوجها إلى البيت سالماً .

اظلمت الدنيا في عين علي عليه السلام وضافت عليه الأرض بما رحبت ، لأنه فقد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، ومصيبة النبي أعظم مصيبة على قلب كل أحد ، ولم تنته الكارثة ، فقد خيمت الأحزان على بيت علي ، وانقلب البيت إلى مجلس عزاء وحزن وبكاء ، فلقد كانت الصديقة الطاهرة لا تفارق البكاء على وفاة أبيها وعلى مصائبها ونوائبها التي استولت على قلبها المجروح ، ولم تجد من الناس أي تعزية وتسلية .

ومما زاد في حزنها إخراج أراضيها (فذك) من يدها ، وهناك قضايا وقضايا ساعدت على انحراف صحة فاطمة ، واشتداد علتها واستيلاء الهزال عليها ، فكانت تبكي ليلها ونهارها ، ومنعوها عن البكاء ، فكانت تخرج إلى قبر حمزة سيد الشهداء أو إلى البقيع أو إلى بيت بناه لها أمير المؤمنين خارج المدينة وسماه (بيت الأحزان) ، وعاشت بعد أبيها مظلومة مهضومة باكية العين محترقة القلب منهدة الركن

معصبة الرأس حليفة الفراش عليلة مريضة . وتلك والله أم المصائب فهل ترك رسول الله بضعة كانت أحب إليه من فاطمة لتلقى كل تلك الويلات من هؤلاء المنحرفين ولقد دخل عليها علي عليه السلام قبل وفاتها فوجدها تغسل ثياب أولادها وتغسل رؤوسهم فسألها عما دعاها إلى العمل المجهد ؟

ف قالت : « يا ابن عم إنه قد نعت إلي نفسي ، وانني لا أرى ما بي إلا أنني لاحقة بأبي ، ساعة بعد ساعة ، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي » .

قال لها علي عليه السلام : « أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله » . فجلس عند رأسها ، وأخرج من كان في البيت ، ثم قالت : « يا ابن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني » !!!

قال علي عليه السلام : « معاذ الله ! أنت اعلم بالله ، وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله من أن أوبخك بمخالفتي ، وقد عزَّ علي مفارقتك وفقدك ، إلا أنه أمر لا بدُّ منه ، والله لقد جدَّدت علي مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولقد عظمت وفاتك وفقدك ، فأنَّا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضَّها وأحزنها !! هذه والله مصيبة لا عزاء عنها ، ورزية لا خلف لها » .

ثم بكيا جميعاً ، وأخذ علي رأسها وضَمَّها إلى صدره ثم قال : « أوصيني بما شئت ، فانك تجديني وفيّاً ، أمضي كل ما أمرتني به واختار أمرك على أمري » .

ف قالت : « جزاك الله عني خير الجزاء ، يا ابن عم أوصيك أولاً : أن تتزوج بعدي بابنة أختي أمامة ، فإنها تكون لولدي مثلي ، فإن الرجال لا بدُّ لهم من النساء .

أوصيك يا ابن عم : أن تتخذ لي نعشاً فقد رأيت الملائكة صوروا لي صورته ، فقال لها : « صِفِي لِي » . فوصفته ، فاتخذها لها .

ثم قالت : « أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني فانهم عدوي وعدو رسول الله ، ولا تترك أن يصلي عليّ أحدٌ منهم ، ولا من أتباعهم ، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار ، إلى آخر وصاياها . . .

ثم فارقت روحها الحياة وانطفأ من عالم الوجود نور كان امتداد لنور رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم وامرأة ليست كالنساء كانت وما زالت وستبقى المثل الأعلى والمنار المرشد في سبل الحياة المضطربة ، رحلت الزهراء روعي لها الفداء مظلومة مضطهدة مغصوبة حقها ، وانتشر الخبر ، فصاح أهل البيت صيحة واحدة ، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع من صراخهن .

وازدحم الناس على باب بيت الإمام ينتظرون خروج الجنازة ، فخرج أبو ذر ونادى : انصرفوا فإن ابنة رسول الله قد أُخْرِجَ إخراجها هذه العشية .

فتفرق الناس ، وجنّ الليل ، ومضى شطر منه ، فقام علي عليه السّلام وغسّل ابنة رسول الله من على ثيابها وحنّطها بفاضل حنوط أبيها رسول الله وكفّنها في أكفانها ، ثم أرسل إلى عمار والمقداد وسلمان وأبي ذر وعقيل والزبير وبريدة ونفر من بني هاشم فلما حضروا صَلَّى عليها علي ودفنوها ، ولم يعلم أحد حتى اليوم أين دفنوها ؟ ولا يعرف أحد موضع قبرها ، ففي البقيع قبر ينسب إليها ، وبين منبر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم وقبره قول عند المحدثين ، والله العالم بموضع قبرها ، وسيبقى قبرها مجهولاً عند الناس إلى يوم القيامة .

ولعل في هذا الكتمان أسراراً تستدعي انتباه المسلمين للتحري عن السبب المبرر لتلك الوصية ، ولعل هذا الإخفاء رمز يرمز إلى معاني وأُمور يعرفها الفطن الذكي .

وقد اختلف المسلمون في المدة التي عاشت فيها فاطمة عليها السَّلام بعد وفاة أبيها رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، فقيل : عاشت بعد أبيها أربعين يوماً ، أو خمساً وسبعين ، أو خمساً وتسعين يوماً ، أو ستة أشهر ، وفارقت الحياة وكانت أول أهل البيت لحوقاً بالنبي صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم .

انهد ركنا الإمام بفقد الزهراء سيدة النساء وازدادت مصيبته بأطفاله الأربعة : (الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم) الذين فقدوا أهمهم في عنفوان شبابها بعد أن فُجعوا بجدهم البار العطوف الذي كان يمطر عليهم حنانه الأبوي ويشملهم عطفه النبوي .

ومما زاد في أحزان الإمام وبلغ به الاضطهاد أقصى درجة هو تنفيذ وصايا فاطمة بصورة سريّة ، كمباشرته تغسيلها وتحنيطها وتكفينها والصلاة عليها ودفنها سرّاً لا جهاراً وليلاً لا نهاراً ، وإخفاء موضع قبرها ، وغير ذلك من الأمور التي كان من الصعب المستصعب على قلب الإمام تنفيذها وانجازها .

فقد ماتت فاطمة ودفنت كأنها امرأة غريبة لا يعرفها أحد ، وكأنها ليست ببضعة رسول الله وحبيته ، وابنته الوحيدة !!

وكان الإمام عليه السَّلام يتجلّد في تلك المصيبة رعايةً ليتامى فاطمة ، إلى أن دفنها في تلك الساعة من تلك الليلة وهو يحاول أن لا يُطلّع عليه أحد ، فيكون سبباً للحيلولة دون تطبيق وصايا فاطمة وتنفيذها ، إلى أن أدّى جميع الوصايا كما ينبغي ، فلما نفّض يده من تراب القبر هاج به الحزن فأرسل دموعه على خديه وحول وجهه إلى قبر

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك من ابنتك وحببتك وقرة عينك وزايرتك والبائنة في الثرى ببقعتك ، النازلة بجوارك ، المختار لها الله سرعة اللحاق بك ، قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ، وضعف عن سيدة النساء تجلدي ، إلا إن لي في التأسى بُسْتَتَكَ والحزن الذي حلُّ بي لفراقك موضع التعزي ، ولقد وسَّدتكَ في ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدري ، وغمضتكَ بيدي ، وتوليتُ أمرك بنفسي .

نعم ، وفي كتاب الله أنعم القبول ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، قد استرجعت الوديعة ، وأخذت الرهينة ، واختلست الزهراء ، فما أقبح الخضراء والغبراء !! يا رسول الله : أما حزني فسرمد ، وأما ليلي فمسهد ، لا يبرح الحزن من قلبي ، أو يختار الله لي دارك التي فيها أنت مقيم ، كمدٌ مقبَّح ، وهم مهيج ، سرعان ما فُرقَ الله بيننا ، إلى الله أشكو ، وستنبئك ابنتك بتظاهرها أمتك عليّ ، وعلى هضمها حقها ، فاستخبرها الحال فكم من غليل معتلج بصدرها ، لم تجد إلى بُشَّة سبيلاً ، وستقول ، ويحكم الله وهو خير الحاكمين .

سلام عليك يا رسول الله ، سلام مودّع لا سئم ولا قال ، فإن أنصرف فلا عن ملالة ، وإن أقم فلا عن سوء ظني بما وعد الله الصابرين ، والصبر أيمن وأجمل ، ولولا غلبة المستولين علينا ، لجعلت المقام عند قبرك لزماً ، والتلبث عنده عكوفاً ، ولأعولت إعوالم الشكلى على جليل الرزية ، فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً ، ويهتضم حقها قهراً ، ويمنع إرثها جهراً ، ولم يطل العهد ولم يخلق منك الذكر ، وإلى الله - يا رسول الله - المشتكى ، وفيك أجمل العزاء ، فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله وبركاته .

ثم جعل يقول :

أرى عِلَلْ الدنيا عليّ كثيرة وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل
وإن إفتقادي فأطمأ بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل

وينسب إليه عليه السّلام هذان البيتان :

نفسى على زفراتها محبوسة يا ليتها خرجت مع الزفرات
لا خير بعدك في الحياة وإنما أبكي مخافة أن تطول حياتي

زواج عليّ بعد فاطمة عليهما السلام

اضطر الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام بعد وفاة سيدة نساء العالمين أن يبادر إلى اختيار زوجة تقوم بشؤون أيتام الإمام الذين فقدوا أمهم في عنفوان شبابها ، فقدوها وهم براعم صغار لم تفتح بعد ، إذ كان الإمام الحسن وهو أكبر أولاد الإمام عمره يومذاك سبع سنوات وشهوراً ، وكان الإمام الحسين أصغر منه بستة أشهر وأيام^(١) ، وكذلك السيدة زينب وأختها أم كلثوم ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كانت الزهراء قد أوصت يوم وفاتها أن يتزوج علي بالسيدة أمامة وهي بنت أختها زينب بنت رسول الله ، وتنفيذاً لهذه الوصية بادر الإمام إلى الزواج بأمامة بعد تسعة أيام من وفاة الزهراء كما ذكر ذلك الشيخ المفيد وروى عنه المجلسي في الجزء التاسع من البحار .

كلام حول أزواج الإمام وأولاده

وبالمناسبة لا بأس أن نذكر شيئاً مما يتعلق بعدد زوجات الإمام

(١) بين الحسن والحسين عليهما السّلام عشرة أشهر واثنا عشر يوماً - حيث ولد الإمام الحسن عليه السّلام في ١٥ رمضان وولد الحسين في الثالث من شعبان من السنة التي بعدها - وهي أصح الروايات عندنا .

وأولاده فنقول : كان له عليه السَّلام سبعة وعشرون من الأولاد ذكوراً وإناثاً من تسعة نساء أولهن السيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام :

١ - ٤ الإمام الحسن والإمام الحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم ، وأُمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

٥ - محمد بن الحنفية وأمه خولة بنت جعفر .

٦ - ٧ عمر ورقية ، وكانا توأمين ، وأُمهما الصهباء ، ويقال : أم حبيب التغلبية .

٨ - ١٢ أبو الفضل العباس وجعفر وعثمان وعبد الله ، وأُمهم فاطمة أم البنين بنت حزام بن خالد الكلابية ، استشهدوا يوم الطف في نصرة الحسين عليه السَّلام .

١٣ - ١٤ يحيى وعون وأُمهما أسماء بنت عميس الخثعمية^(١) .

١٥ - ١٦ محمد الأصغر المكنى أبا بكر ، وعبيد الله وأُمهما ليلى بنت مسعود الدارمية ، وقتلا يوم الطف .

١٧ - ٢٠ خديجة وأُم هاني وميمونة وفاطمة وأُمهن أم ولد جارية .

٢١ - ٢٢ أم الحسن ورملة وأُمهما أم شعيب الدارمية وقيل : أم سعيد وقيل : أم مسعود المخزومية .

٢٣ - ٢٧ نفيسة وزينب الصغرى وأم سلمة وأم الكرام وجمانة لأُمهات شتى .

(١) كانت زوجة جعفر الطيار وبعد أن استشهد في غزوة (موته) ، تزوجها أبو بكر فأنجبت منه (محمد) ثم تزوجها أمير المؤمنين (ع) فكان محمد ابن أبي بكر ربيبه وفي كفالته ، ثم أصبح من حواريه .

وأما أولاده الذين أعقبوا فهم خمسة : الحسن والحسين
عليهما السّلام ومحمد بن الحنفية والعباس وعمر ، ومات عدد من الأولاد
والبنات في أيام حياة الإمام عليه السّلام .

ولم يتزوج علي عليه السّلام ما دامت الزهراء كانت على قيد الحياة
كرامة لها ، كما أن رسول الله لم يتزوج ما دامت خديجة على قيد
الحياة ، ولعلّ السبب في عدم تزويج علي في حياة فاطمة الزهراء هو
قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم : « من آذاها فقد آذاني » .

هذا والمعروف : أن علياً تزوج بعد وفاة فاطمة الزهراء
عليها السّلام بأربع حرائر وملك عشر إماء ، وقد روي في المناقب عن
الشيخ المفيد (عليه الرحمة) : أن أولاده خمسة وعشرون وربما يزيدون
على ذلك إلى خمسة وثلاثين .

علي جليس البيت

حديثنا حول الفترة التي انقضت على أمير المؤمنين عليه السّلام وهو جليس البيت ، مسلوب الإمكانات ، وقد ابتدأت تلك الفترة من يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم واستيلاء أبي بكر على مسند الحكم ، ولما انقضت أيام أبي بكر أوصى من بعده إلى عمر بن الخطاب فكانت أيام حكمه عشر سنوات وشهوراً ، ولما طعن عمر وأحسّ بالوفاة جعل الخلافة شورى ، ورشح ستة من الصحابة وأمرهم أن ينتخبوا واحداً من أنفسهم وإليكم التفصيل :

لما علم عمر بن الخطاب بدنو أجله استشار الناس حول تعيين الخليفة ، فأشير عليه بابنه : عبد الله بن عمر ، فقال عمر : لاها الله ! لا يليها رجلان من ولد الخطاب ! حسب عمر ما احتقب ، لاها الله ! لا تحملها حياً وميتاً .

ثم قال : إن رسول الله مات وهو راض عن هؤلاء الستة من قريش : علي ، عثمان ، طلحة ، الزبير ، سعد بن أبي وقاص ، عبد الرحمن بن عوف ، وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم إماماً .

ثم التفت عمر إلى هؤلاء الستة وقال : أكلُكم يطمع في الخلافة ؟ فسكتوا ، فقال لهم ثانية فقالوا : وما الذي يبعدنا منها ؟ وليتها أنت فقمتم بها ولسنا دونك في قریش ، ولا في السابقة ولا في القِراة .

فقال عمر : أفلا أخبركم عن أنفسكم ؟ قالوا : قل ، فأننا لو استعفيناك لم تعفنا . فالتفت عمر إلى الزبير وذكر عيوبه ، ثم التفت إلى طلحة وذكر سوابقه السيئة ، ثم التفت إلى سعد بن أبي وقاص وذكره بنقائصه ، وخطب عبد الرحمن بن عوف قائلاً : إنك رجل عاجز تحب قومك !!

ثم التفت إلى علي وقال : وأما أنت يا علي فلو وُزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحهم ، فقام علي وخرج فقال عمر : والله اني لأعلم مكان الرجل ، لو وليتموه أمركم لحملكم على المحجة البيضاء . قالوا : من هو ؟ قال : هذا المولّي من بينكم . قالوا : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : ليس إلى ذلك من سبيل .

وفي رواية ابن أبي الحديد : ثم أقبل على علي عليه السّلام فقال : الله أنت !! لولا دعاة فيك ، أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء .

ثم أقبل عمر على عثمان وقال : اما أنت يا عثمان - فوالله - لروثة خير منك !!

هؤلاء الذين مات رسول الله وهو راض عنهم !! وقد ذكرنا ما يتعلق بهذا الموضوع في الجزء الأول من شرح نهج البلاغة .

التفت عمر وقال : ادعوا لي أبا طلحة الأنصاري . فدعوه فقال

له : أنظر يا أبا طلحة إذا عُدتُم من حفرتي (دفني) فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم ، فخذ هؤلاء نفر - الستة - بامضاء هذا الأمر وتعجيله ، واجمعهم في بيت واحد ، فإن اتفق خمسة وأبى واحد فاضرب عنقه ! وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب أعناقهما ! وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن بن عوف فارجع إلى ما اتفقت عليه !!! فإن أصرّت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقها ، وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا فاضرب أعناق الستة ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم !!!

كان هذا هو القرار الصادر بحق الستة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو راض عنهم !! .

ومات عمر ، ولما دفن ، جمع أبو طلحة المرشحين للخلافة في بيت عائشة ، وقف هو على باب البيت في خمسين رجلاً حاملي سيوفهم ولما استقر المجلس بهؤلاء الستة وقبل الشروع في الكلام نادى عمار بن ياسر - من وراء الباب - : إن وليتموها علينا وأطعنا ، وإن وليتموها عثمان سمعنا وعصينا ؛ فقام الوليد بن عقبة وقال : يا معشر الناس : أهل الشورى إن وليتموها عثمان سمعنا وأطعنا ، وإن وليتموها علينا سمعنا وعصينا .

فانتهره عمار وقال له : متى كان مثلك يا فاسق يعترض أمور المسلمين وشتات جمعها ؟؟ .

وتساباً جميعاً وتناوشاً حتى حيل بينهما .

فقال المقداد - من وراء الباب - : يا معشر المسلمين وإن وليتموها أحداً من القوم فلا تولوها من لم يحضر بديراً ، وانهزم يوم أحد ولم يحضر بيعة الرضوان ، وولّى الدبر يوم التقى الجمعان فقال عثمان !! أما

والله لئن وَلَّيْتُهَا لَارْدُنْكَ إِلَى رَبِّكَ الْأَوَّلُ !!!!!

أما طلحة فإنه كان يعلم أن الخلافة لا تصل إليه مع وجود علي أمير المؤمنين عليه السَّلام وعثمان ، فلهذا أشهد القوم على نفسه : أنه قد وهب حقه من الشورى لعثمان ، وإنما فعل ذلك تقوية لجانب عثمان .

وأما الزبير فكان ابن عمه أمير المؤمنين ولما رأى ما صنعه طلحة لعثمان وهب هو حقه من الشورى إلى أمير المؤمنين فقال : أنا أشهدكم أنني قد وهبت حقي من الشورى لعلي .

فتساوى الجانبان ولكل منهما صوت واحد ، فبقي عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ، فوهب سعد حقه لعبد الرحمن بن عوف لأن سعداً كان يعلم أن الخلافة لا تتم له . فقال عبد الرحمن لأمير المؤمنين وعثمان : أيكما يخرج نفسه من الخلافة ويكون إليه الاختيار في الاثنين الباقيين؟؟ فلم يتكلم منهما أحد ، فقال عبد الرحمن : أشهدكم أنني قد أخرجت نفسي من الخلافة على أن اختار أحدهما .

فبدأ بعلي عليه السَّلام وقال له : أبايحك على كتاب الله وسنة النبي وسيرة الشيخين : أبي بكر وعمر .

فقال علي : « بل على كتاب الله وسنة النبي واجتهاد رأيي » .
فعدل عبد الرحمن عنه ، فعرض ذلك على عثمان فقال : نعم .
فعاد عبد الرحمن إلى علي ، فأعاد عليّ قوله ، فعل ذلك عبد الرحمن ثلاث مرات فلما رأى أن علياً غير راجع عما قاله وأن عثمان ينعم له بالإجابة صفق على يد عثمان وقال له : السلام عليك يا أمير المؤمنين .
فقال علي عليه السَّلام لعبد الرحمن : « والله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجى صاحبكما من صاحبه » . ثم دعى عليه وقال : « دقْ الله بينكما عطر منشم » .

أشار عليه السّلام إلى سبب تقديم عبد الرحمن عثمان على علي عليه السّلام ، وذكر أن السبب في بيعة عبد الرحمن لعثمان كالسبب في بيعة عمر لأبي بكر ، أي كما أن عمر بايع أبا بكر يوم السقيفة ليرد أبو بكر الخلافة إلى عمر وقد فعل ، كذلك كان يرجو عبد الرحمن من عثمان أن يرد الخلافة إليه عند موته فدعى عليهما أن يفسد ما بينهما ، لأن منشم - بكسر الميم - اسم امرأة عطارة بمكة وكانت خزاعة وجرحهم إذا أرادوا القتال تطيّبوا من طيبها ، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم حتى صار يُضرب به المثل فيقال أشام من عطر منشم .

واستجاب الله دعاء الإمام عليه السّلام ففسد بعد ذلك بين عبد الرحمن وعثمان فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبد الرحمن .

وذلك لأن عثمان بنى قصره (طمار) والزوراء ، وصنع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه فكان فيهم عبد الرحمن ، فلما نظر إلى البناء والطعام قال : يا ابن عفان لقد صدقنا عليك ما كنا نكذب فيك ، وإنني أستعيز بالله من بيعتك ، فغضب عثمان وقال : أخرجته عني يا غلام ، فأخرجوه ، فأمر عثمان الناس أن لا يجالسوه . . .

وللإمام أمير المؤمنين عليه السّلام احتجاج مفصل في يوم الشورى المذكور في (كتاب الاحتجاج للطبرسي) يذكر فيه فضائله وفواضله ومناقبه وخصائصه وينشد الناس ذلك فيحلف له الناس على صدق كلامه ، وقد اشتهر بحديث المناشدة ، ورعاية للاختصار لم نذكره .

هذه خلاصة يوم الشورى وقد ذكرناها كما هي بدون أي تعليق ، ولما انتقلت الخلافة إلى عثمان بن عفان واشتروطوا عليه العمل بكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الشيخين فما مضت مدة وإذا به يخالف الكتاب والسنة والشيخين ، فكان من أعماله أنه ضرب

عمار بن ياسر ضرباً شديداً ، وضربه برجليه وهما في الخف على بطنه حتى أفق عمار وأغمي عليه وما زال مغمى عليه حتى فاتته صلاة الظهر والعصر والمغرب ، وأمر بتسيير أبي ذر إلى الشام ثم أمر بإرجاعه إلى المدينة فساروا به سيراً حثيثاً بلا نزول ولا راحة ولا نوم فلما وصل إلى المدينة ، تناثر لحم فخذه ورجليه ، وبعد ذلك أمر بتسفيره إلى الريزة ، وهي منطقة ردية الماء والهواء لا زرع فيها ولا كلاء فمات أبو ذر هناك غرباً وجوعاً ولم يحضره أحد سوى ابنته الصغيرة .

ومنها إحراقه المصاحف (القرائن) ، ومنها ضربه عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل وقطعه عطاءه مدة سنتين .

ومنها تسليطه أقاربه وأرحامه على رقاب المسلمين يلعبون بدمائهم وأموالهم ، ويصلون بالمسلمين وهم سكارى ، ويتقيثون الخمر في المحراب .

ومنها أنه بذل من بيت مال المسلمين أربع ملايين وثلاثمائة وعشرة آلاف دينار (٤/٣١٠/٠٠٠) ومائة وستة وعشرين مليون وسبع مائة وسبعين ألف درهم (١٢٦/٧٧٠/٠٠٠) كل ذلك من بيت مال المسلمين وهبها لابن الزرقاء الزانية مروان بن الحكم ونظرائه من أقارب عثمان وبناته ، إلى غير ذلك من المآسي التي يطول الكلام بذكرها .

فأحدثت أعماله في قلوب المسلمين ثورة ونقمة ، وفي طبيعة الناقمين عليه عائشة وطلحة والزبير وغيرهم من المسلمين .

ولهذا كانت عائشة تحرّض الناس على عثمان وتخرج قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قصبه وتقول: أيها المسلمون إن عثمان غير سنة رسول الله وهذا ثوبه لم يبل بعد !! .

واجتمع المسلمون من مصر والبصرة والكوفة وقصدوا نحو المدينة

يريدون مقابلة عثمان ، فجاء إليهم مروان وقابلهم بالكلام الخشن وأجابوه بالسب والشتم ، واستمر الثوار يحاصرون دار عثمان ، وفي تلك الأيام خرجت عائشة إلى الحج وهي تقول : أقتلوا نعثلاً قتله الله ، اقتلوا نعثلاً فقد كفر .

لم يستطع الثَّوار أن يقابلوا عثمان إلا بعد أن تدخل علي عليه السَّلام في القضية وبذل ما في وسعه للإصلاح بين عثمان والثوار . فذهبت المساعي أدراج الرياح وكتب عثمان إلى والي مصر يأمره بقطع الأيدي والأرجل من بعض الثائرين بعد أن وعدهم أن ينزل عند رغبتهم ويلبي طلباتهم القانونية وحقوقهم المشروعة ، فرجع الثوار وتفرقوا راضين عن عثمان وفي أثناء الطريق وجدوا غلام عثمان ففتشوه فوجدوا عنده ذلك الكتاب فرجعوا وقد أخذ الغضب منهم مأخذاً عظيماً ، ولما علم علي عليه السَّلام بذلك انسحب عن الفتنة ، واقترب الثوار من دار عثمان ومنعوا أحداً يدخل عليه أو يخرج من بيته ، فصعد عثمان على السطح وقال : من يُبلغ علياً ليرسل إلينا الماء . فوصل الخبر إلى علي فأرسل ولديه الحسن والحسين وغلامه قنبر يحمل كل واحد منهم قربة من الماء . وأراد الثوار أن يمنعوهم من الدخول ، ولكن كرامة لرسول الله أذنوا لهم بإيصال الماء إلى عثمان ، وأمر علي عليه السَّلام ولديه أن يقفا على باب دار عثمان يحرسانه من هجوم الثوار عليه .

وأخيراً وجد المحاصرون طريقاً إلى دار عثمان من الدار المجاورة له وهجموا عليه يقدمهم محمد بن أبي بكر وقتلوا عثمان فانا لله وإنا إليه راجعون .

كان موقف علي عليه السَّلام مقابل أعمال عثمان موقف المصلح الناصح الشفيق ، وكثيراً ما كان الإمام يحول بينه وبين تصرفاته غير المرضية ، وخاصة في تلك الأيام الأخيرة استطاع الإمام - بعد شق

الأنفس - أن يرفع سوء التفاهم بين عثمان والثوار المصريين والبصريين والكوفيين ، ويلطف الجو ، ووجد لهم حلاً صحيحاً يحسم نزاعهم ويعيد المياه إلى مجاريها .

ورجع الثوار إلى بلادهم راضين شاكرين لعلي عليه السلام موقفه الاصلاحى في قضيتهم ومشكلتهم ، ولما وجدوا كتاب عثمان بيد غلامه رجعوا إلى المدينة فأرسل عثمان إلى علي يطلب منه التدخل في القضية فخرج علي والتقى بالثوار وسألهم عن سبب رجوعهم فأبرزوا كتاب عثمان وفيه يأمر عثمان بقطع أيدي المصريين وأرجلهم وقتل جماعة آخرين ! فجاء بهم علي وأدخلهم على عثمان وأبرز له ذلك الكتاب ، فلما نظر إليه عثمان قال : الخاتم خاتمي ، والغلام غلامي ، والخط خط كاتبى ، ولا علم لي بالكتاب !!

فقال له الإمام عليه السلام : « فمن تهم ؟ »

قال عثمان - لعلي عليه السلام - : أتهمك وأتهم كاتبى !!

فقام علي مغضباً وقال : « بل هو فعلك » .

واعتزل الإمام تلك الفتنة ، ولما استسقاء عثمان أرسل علي عليه السلام سيدي شباب أهل الجنة ابني رسول الله الحسن والحسين عليهما السلام يحملان الماء إلى دار عثمان ويحرسانه من تلك الفتنة .

وقد تقدم كل هذا ، ومع ذلك وغيره مما لم نذكره هنا كان أعداء علي عليه السلام ومناوؤه يتهمونه بقتل عثمان ظلماً وزوراً وبهتاناً ويطلبون منه الثأر ، كل ذلك للوصول إلى أهدافهم السياسية وأطماعهم الشخصية ، فأقاموا المجازر والمذابح التي أمطرت السماء دماً .

كاد نسل العرب أن ينقرض ، ولقد بلغ عدد القتلى والضحايا في الحروب الثلاثة التي أثاروها واشعلوها ، الناكثون في البصرة والقاسطون

في صفين ، والمارقون في النهروان الخوارج ، أكثر من مائة وستين ألفاً
من المسلمين ، ولا تسأل عن الجرحى والمعوقين والأرامل والأيتام ، من
ضحايا الحروب الثلاثة وويلاتها .

أتساءل وأقول لمصلحة من كل هذا ؟؟ !

فإننا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم^(١) .

(١) اقتطفنا قسم من هذا البحث من كتاب علي من المهد إلى اللحد للسيد القزويني .

أسباب الثورة على عثمان وانهيار خلافته

من طريق ابن المبارك عن الحسن : أنَّ أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال : صارت إليك بعد نيمٍ ، وعُدي ، فادرها كالكرة ، واجعل أوتادها بني أمية فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار ، « هذا منطلق أبو سفيان ومذهبه » الاستيعاب ج ٢ ص ٦٩٠ .
وفي تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٧ : [قال أبو سفيان :] يا بني عبد مناف ؟ تلقفوها تلقف الكرة ، فما هناك جنة ولا نار .

وفي لفظ المسعودي : يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرنَّ إلى صبيانكم وراثه -
مروج الذهب ج ١ ص ٤٤٠ -

على هذا المنهاج وبهذا التفكير افتتح عثمان سياسته في مملكته وجعلَ شدَّاذ الأرض والمطرودين من الإسلام ومن المهدورة دمائهم بأمر الرسول الأعظم من آل أمية وبني معيط ، مثل معاوية ، وعبد الله بن أبي سرح ، والوليد بن عقبة ، وعبد الله بن عامر ، وجعل مروان بن الحكم الوزغ بن الوزغ طريد رسول ، وزيره الأول ومستشاره الأوحَد في إدارة دفة الحكم وتسير شؤون الدولة !! وسلَّطه على رقاب المسلمين ، وعلى أموالهم ، وعلى أعراضهم .

ومن جهة أخرى نُكَلِّلُ باجلاء الصحابة المؤمنين والمخلصين لمبدئهم وعقيدتهم ، والحريصين على تطبيق ما جاء به الرسول الأعظم صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، فابدؤا النصح والتوجيه والإرشاد والموعظة في بادئ الأمر إلى الخليفة الجديد عثمان والذي عاهد الله أولاً وأعضاء الشورى على العمل بالقرآن ، وتطبيق شريعة السماء ، والسير على ما سار عليه السلف الصالح سواء في حياة الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبعده .

ولما لم يَجِدْه ذلك النصح والارشاد نفعاً واستمر في سياسته المخطط لها اشتدت النقرة عليه وتوسعت حتى شملت الكوفة والبصرة ومصر ، من جراء استبداد حكامها العاملين الذين عينهم الخليفة عثمان ، واستهتارهم بكل القيم والنواميس ، وتجاهرهم بالفسق والفجور وشرب الخمر وإشاعة الفاحشة والزنا علانيةً ، بالإضافة إلى إهانة الصالحين من رجالات الأمة وفضلائهم من أجلاء الصحابة والتابعين المجاهدين وضربهم وطردهم وقطع العطاء عنهم ، ونهب أموالهم وتسيرهم ونفيهم إلى خارج البلاد ، كل ذلك جعل الأمة تنقم وتنهض وتشور ثورة رجل واحد من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها وإليك بعض تلک الأعمال .

الكنوز المكتنزة لبعض المحسوبين على الخليفة عثمان

اقتنى جماعة من رجال سياسة الوقت ، وأصحاب الفتن والثورات من جرّاء الفوضى والتصرف بأموال المسلمين ، ضياعاً عامرة ، ودوراً فخمة ، وقصوراً شاهقة ، وثروات طائلة ، من جرّاء تلك السيرة الأموية في الأحوال الشاذة عن الكتاب والسنة الشريفة وسيرة السلف ، فجمعوا من مال المسلمين مالاً جمّاً ، وأكلوه أكلًا لَمّاً ، منهم على سبيل المثال لآ الحصر .

١ - الزبير بن العوام ، خَلَفَ - كما في صحيح البخاري في كتاب
الجهاد باب بركة الغازي في ماله ج ٥ : ص ٢١ - إحدى عشرة داراً
بالمدينة ، ودارين بالبصرة ، وداراً بالكوفة ، وداراً بمصر ، وكان له أربع
نسوة ، فأصاب كل امرأة بعد رفع الثلث ألف ألف ومائتا ألف .

وقال البخاري : فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف - أي
خمسين مليون ومائتا ألف .

وقال ابن الهائم : بل الصواب إن جميع ماله حسبما فرض : تسعة
وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف .

وصرَّح ابن بطلال ، والقاضي عياض وغيرهم : بأن الصواب ما قاله
ابن الهائم ، وأن البخاري غلط في الحساب .

وهذه المبالغ غير مقيدة بالدراهم أو الدينانير ، كلما كانت له غلات
تقدم عليه من أعراض المدينة .

وقال المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ٤٣٤ : خَلَفَ ألف
فرس ، وألف عبد ، وألف أمة ، وخططاً في مصر والاسكندرية والكوفة
وغيرها .

٢ - وأما طلحة بن عبيد الله التميمي ، فقد ابتنى داراً بالكوفة يعرف
بالكناس بدار الطلحتين ، وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار ،
وقيل أكثر من ذلك ، وله بناحية سراة^(١) أكثر مما ذكر ، وشيد داراً
بالمدينة وبنائها بالأجر والجص والساج .

وعن محمد بن إبراهيم قال : كان طلحة يغلّ بالعراق ما بين

(١) بين تهامة ونجد أدناها للطائف وأقصاها قرب صنعاء .

أربعمائة ألف إلى خمسمائة ألف ، ويغْلُ بالسراة عشرة آلاف دينار أو أكثر أو أقل ، وقال سفيان بن عيينة : كانت غلته كل يوم ألف وافيًا . والوافي وزنه وزن الدينار^(١) .

وعن سعدى أم يحيى بن طلحة ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة ، وعمرو بن العاص ، قالوا جميعاً : إن تركته وغلته مقاربة لذلك . وقال ابن الجوزي : خلّف طلحة [حمل] ثلثمائة جمل ذهب .

وأخرج البلاذري من طريق موسى بن طلحة قال : أعطى عثمان طلحة في خلافته مائتي ألف دينار .

وقال عثمان لما حاصره وألب عليه الناس : ويلي علي بن الحضرمية (يعني طلحة) أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي يحترّض عليّ الناس ، وعن عمر بن العاص : أنّ طلحة ترك مائة بهار ، في كل بهار ثلاث قناطر ذهب وروي إنّ البهار جلد ثور ، وفي لفظ ابن عبد ربه : وجدوا في تركته ثلثمائة بهار من ذهب وفضة .

٣ - ومنهم : عبد الرحمن بن عوف الزهري : قال ابن سعد : ترك عبد الرحمن ألف بغير وثلاثة آلاف شاة ، ومائة فرس ترعى بالبقيع ، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً .

وقال : وكان فيما خلّفه ذهب قطع بالفؤوس حتى مجّلت أيدي الرجال منه ، وترك أربعة نسوة فأصاب كل امرأة ثمانون ألفاً .

وقال صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن : صالحنا امبرة

(١) راجع طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٨ ط ليدن ، الانساب للبلاذري ج ٥ ص ٧ ، مروج الذهب ج ١ ص ٤٣٤ ، والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٩ ، والرياض النظرة ج ٢ ص ٢٥٨ وغيرها .

عبد الرحمن التي طلقها في مرضه من ربع الثمن بثلاث وثمانين ألفاً .

وقال اليعقوبي : ورَّثها عثمان فُصُولَحَتْ عن ربع الثمن على مائة ألف دينار .

وقال المسعودي : ابنتى داره ووسَّعها وكان على مربطه مائة فرس ، وله ألف بعير ، وعشرة آلاف من الغنم . وللاستزادة راجع نفس المصادر التي ذكرت أموال وممتلكات طلحة ، والزبير .

٤ - ومنهم : سعد بن أبي وقاص ، قال ابن سعد : - في طبقاته ج ٣ ص ١٠٥ ، ومروج الذهب ج ١ ص ٤٣٤ - ترك سعد بن أبي وقاص يوم مات مائتي ألف وخمسين ألف درهم ، ومات في قصره بالعقيق الذي شيده ورفع سمكه ووسع فضاءه ، إلى آخره .

٥ - ومنهم : يعلى بن أمية : خَلَفَ خمسمائة ألف دينار ، وديوناً على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته مائة ألف دينار كما ذكره المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ٤٣٤ .

٦ - ومنهم : زيد بن ثابت المدافع الوحيد عن عثمان ، قال المسعودي : خَلَفَ من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خَلَفَ من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار .

هذه نبذة يسيرة مما وقع فيه التفريط المالي على عهد عثمان ، ومن المعلوم أن التاريخ لم يحص كلَّما كان هناك من عظام ، شأنه في أكثر الحوادث والفتن ولأ سيما المتدرجة ، هذا ما عدا غلة افريقيا التي أعطا خمسها إلى مروان بن الحكم ، وفدك التي هي ملك فاطمة الزهراء عليها السَّلام التي اقطعها إلى مروان وغيره .

وأما ما اقتناه الخليفة لنفسه فحدث عنه ولا حرج ، كان ينضد أسنانه بالذهب ويتلبس بأثواب الملوك ، قال محمد بن ربيعة : رأيت

على عثمان مطرف خز ثمنه مائة دينار ، وقال أبو عامر سليم : رأيت على عثمان برداً ثمنه مائة دينار^(١) .

قال البلاذري : كان في بيت المال بالمدينة سبط فيه حلي وجوهر فأخذ منه عثمان ما حلى به بعض أهله ، فظاهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلموه فيه بكلام شديد حتى اغضبوه فقال : هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم .

وقال ابن سعد في الطبقات (ج ٣ ص ٥٣ ط ليدن) : كان لعثمان عند خازنة يوم قتل ثلاثون ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ، وخمسون ومائة ألف دينار فانتهبت وذهبت ، وترك ألف بغير بالربذة وصدقات بيراديس وخير ، ووادي القرى قيمة مائتي ألف دينار .

وقال المسعودي في مروج الذهب (ج ١ ص ٤٣٣) : بنى في المدينة (داراً) وشيدها بالحجر والكلس ، وجعل أبوابها من الساج والقرعر ، واقتنى أموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة ، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرها تقدر بمائة ألف دينار ، وخلف خيلاً كثيراً وإبلًا ، وقال الذهبي في دولة الإسلام (ج ١ ص ١٢) : كان قد صار لعثمان أموال عظيمة ، وله ألف مملوك .

« وإليك صورة من اعطيات عثمان لأصحابه » .

الاسم	دينار	الاسم	دينار
زيد بن ثابت	١٠٠,٠٠٠	مروان بن الحكم	٥٠٠,٠٠٠
عثمان بن عفان الخليفة	١٥٠,٠٠٠	ابن أبي سرح	١٠٠,٠٠٠
عثمان بن عفان الخليفة	٢٠٠,٠٠٠	طلحة بن عبيدة	٢٠٠,٠٠٠

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤٠ ، أنساب البلاذري ج ٣ ص ٤ الاستبواب في ترجمة عثمان ج ٢ ص ٤٧٦ .

٢,٥٦٠,٠٠٠ عبد الرحمن بن عوف
٥٠٠,٠٠٠ يعلى بن أمية
٤/٣١٠/٠٠٠

٣,٨٦٠,٠٠٠

فيكون المجموع أربعة ملايين وثلاثمائة وعشرة آلاف دينار والدينار يساوي مثقال ذهب شرعي يعادل عشرة مثاقيل فضة .

الاسم	الدرهم	الاسم	الدرهم
الحكم	٣٠٠,٠٠٠	أبوسفیان	٢٠٠,٠٠٠
آل الحكم	٢٠٢٠,٠٠٠	مروان بن الحكم	١٠٠,٠٠٠
الحارث	٣٠٠,٠٠٠	طلحة بن عبيدالله	٢,٢٠٠,٠٠٠
سعيد	١٠٠,٠٠٠	طلحة بن عبيدالله	٣٠,٠٠٠,٠٠٠
الوليد	١٠٠,٠٠٠	الزبير بن العوام	٥٩,٨٠٠,٠٠٠
عبدالله بن أبي سرح	٣٠٠,٠٠٠	سعد بن أبي وقاص	٠,٢٥٠,٠٠٠
عبدالله بن أبي سرح	٦٠٠,٠٠٠	عثمان الخليفة نفسه	٣٠,٥٠٠,٠٠٠

١٢٦,٧٧٠,٠٠٠ المجموع مائة وستة وعشرون مليوناً وسبعمائة وسبعون ألف درهماً ، والدرهم يساوي مثقال فضة ، وكل عشرة دراهم تساوي دينار ذهب أي مثقال ذهب شرعي .

اقرأ ولا تنسى قول أمير المؤمنين عليه السلام في عثمان في خطبته الشقشقية : « وقام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلقه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله وكبت به بطته وقوله : بعد أن رجعت إليه الخلافة : « ألا إن كل قطعة أقطعها عثمان ، وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال » .

بقي هنا أن نسأل الخليفة عثمان عن علّة حصر هذه الأثرة على

حاشيته المذكورين أعلاه ومن جرى مجراهم من زبانيته ؛ هل خلقت الدنيا لأجلهم ؟ أو أن شريعة السماء منعت الصلوات وإعطاء الصدقات للصالحاء الأبرار من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كأبي ذر ، وعمار بن ياسر ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهم من نظرائهم ؟ فيجب عليهم أن يقاسوا الشدة ، ويعانوا البلاء ، وشظف العيش ، ويشملهم المنع بين منفي ، ومضروب ، ومهان ، وهذا سيدهم أمير المؤمنين عليه السلام يقول : « إن بني أمية ليفوقوني تراث محمد صلى الله عليه وآله وسلم تفويقاً »^(١) أي يعطوني من المال قليلاً قليلاً كفواق الناقة .

وهكذا فقد أثار عثمان غضب الأمة بعد ما رأوا من التفريط بأموال المسلمين وتوزيعها على محسوبيه وزبانيته من المنحرفين عن خط الإسلام وفي طليعتهم بني أمية ومن سار في ركابهم ، وبعد اشتداد نكاله على الصالحين والمتقين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونفيهم وتشريدهم وضربهم وإهانتهم أمثال أبي ذر وعبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وغيرهم من أتقياء الأمة وصلحائها ممن انتقدوه ونصحوه بالعدول عن سوء أعماله ، وعزل ولاية السوء من أقربائه من بني أمية مثل معاوية عن الشام ، وعبد الله بن أبي سرح أخاه من الرضاعة عن مصر ، والوليد بن عقبة بن أبي المعيط عن الكوفة الذي جاهر بالفسق والفجور وصلى بالناس صلاة الفجر أربع ركعات وهو سكران بل والتفت إلى المصلين وقال لهم : هل أزيدكم ؟ ، وعبد الله بن عامر بن أبي سرح ابن خاله الفاسق الفاجر الذي أميك وهو متلبس بالزنا على امرأة ذات بعل بالبصرة وغيرهم ممن يدور في فلكهم .

مما ضاقت الأمة الإسلامية وضجت من تصرفاته وتصرفات ولاته

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ١٢٦ .

فهبث ثائرة بوجهه عن بكرة أبيها وزحفت على المدينة غاضبة بوجه الخليفة عثمان وأعماله المنحرفة .

ومما نقموا عليه ضربه عمار بن ياسر ضرباً شديداً برجليه في الخف على بطنه حتى أحدث لعمار فتق في بطنه وأغمي عليه وما زال مغمى عليه حتى فاتته صلاة الظهر والعصر والمغرب ، كما أمر بتسيير أبي ذر الغفاري إلى الشام ، ولما انتقد معاوية وأعماله وخاف الثورة عليه أمر بارجاعه إلى المدينة على أخشن مركب ، فساروا به سيراً حثيثاً ليلاً ونهاراً بلا نزول ولا راحة ولا نوم وهو شيخ طاعن السن وضعيف البدن ، فلما وصل المدينة تنائر لحم فخذيه ورجليه ، وبعد الاهانة والكلام الخشن البذيء أمر بتسفيره إلى الريزة المنطقة الجافة الرديئة ، من غير زرع ولا كلاء ولا ماء ، بين الجبال الصخرية السوداء حتى مات فيها وحيداً غريباً عطشاً وجوعاً ، وما كان معه أحد أو أنيس سوى ابنته ذره ، ولم يكتفي بذلك بل منع أي أحد من توديعه وتشيعه وتوعدهم بالعقاب .

وقد شيعه الإمام أمير المؤمنين والحسن والحسين وعمار وعقيل وقال أمير المؤمنين عليه السلام له : « يا أبا ذر إنك غضبت لله فارح من غضبت له ، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك ، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه ، واهرب منهم بما خفتهم عليه ، فما أحوجهم إلى ما منعتم ، وما أغناك عما منعوك وستعلم من الرابع غداً ، والأكثر حسداً ، ولو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل الله له من أمره مخرجاً ، [يا أبا ذر] لا يؤنسك إلا الحق ، ولا يوحشك إلا الباطل ، فلو قبلت دنياهم لأحبوك ، ولو قرضت منها لأمنوك » .

وشيعه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وعمار بما يقارب من كلام أمير المؤمنين ، فبكى أبو ذر رحمه الله ، وكان شيخاً كبيراً وقال : رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة ، إذا رأيتمكم ذكرت بكم

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ، ما لي بالمدينة سكن ولا شجن
غيركم ، إني ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام ،
فسيرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله ، والله ما أريد إلا الله
صاحباً ولا أخشى مع الله وحشةً .

ومنها احراقه المصاحف « القرائين » ، ومنها ضربه الصحابي
الجليل عبد الله بن مسعود حتى أصبح جليس بيته ، وقطع عطاءه مدة
سنتين إلى أن مات ، كما تقدم ذكره .

وأهم من تلكم الأمور تسليطه أقاربه وأرحامه المنبوذين في الإسلام
على رقاب المسلمين يلعبون ويتصرفون بدمائهم وأموالهم وأعراضهم ،
ويصلون بالمسلمين سكارى ، ويتقيشون الخمر في المحراب كأمثال
الوليد وغيره .

فخرج مالك الأشتر النخعي مع أهل الكوفة إلى المدينة في مائتين
نائر ، وقال ابن قتيبة : أقبل الأشتر مع أهل الكوفة في ألف رجل في
أربع رفاق وكان امراؤهم : زيد بن صوحان العبدي ، وزيد بن النضر
الحارثي ، وعبد الله بن الأصم العامري ، وعلى الجميع عمرو بن
الأهتم .

وخرج حكيم بن جبلة العبدي في مائة من أهل البصرة ، ولحق به
بعد ذلك خمسون ، فكان في مائة وخمسين وفيهم : ذريح بن عبّاد
العبدي ، وبشر بن شريح القيسي ، وابن المحرّش - ابن المحرّش - وقال
ابن خلدون : وكلّهم في مثل عدد أهل مصر في أربع رايات .

وجاء أهل مصر إلى المدينة وهم أربع مائة ، ويقال : خمس
مائة ، ويقال : سبع مائة ، ويقال : ألف نائر ، وفي شرح ابن أبي
الحديد : كانوا ألفين وكان فيهم : محمد بن أبي بكر ، وسودان بن

حمران السكوني ، وميسرة - ويقال قتيرة - السكوني ، وعمرو بن حمق الخزاعي ، وكان من رؤوسهم وعليهم أمراء أربعة وهم :

١ - عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي - على رُبع .

٢ - عبد الرحمن بن عديس أبو محمد البلوي - على رُبع .

٣ - عروة بن شبيب بن اليباع الكناني الليثي - على رُبع .

٤ - كنانة بن بشر السكوني التجيبي - على رُبع .

وعليهم جميعاً : الغافقي بن حرب العكي ، وكان يصلي بالناس في أيام الحصار .

وقال الطبري : كان أجماع أمرهم جميعاً إلى عمرو بن بديل الخزاعي ، وكان من أصحاب النبي صَلَّى الله عليه وآله وإلى عبد الرحمن بن عديس النجبي .

ولما وصلت وفود الشائرين وتم اجتماعهم في المدينة أتوا دار عثمان ، ووثب معهم رجال من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار ، منهم : عمار بن ياسر وكان بدرياً ، ورفاعة بن رافع الأنصاري وكان بدرياً ، والحجاج بن غزية وكانت له صحبة ، وعامر بن بكير وكان بدرياً . وهو أحد بني كنانة ، وغيرهم ، وكانت في قلوبهم هنات من عثمان بسبب ما وقع على عبد الله بن مسعود ، وأبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر . وهم قبائل هذيل ، وبني زهرة ، وبني غفار ، وأحلافها ممن غضب لأبي ذر ، وحنقت بنو مخزوم لحال عمار بن ياسر .

وفي لفظ المسعودي : وفي الناس بنو زهرة لأجل عبد الله بن مسعود ، لأنه كان من أحلاف هذيل ، وبنو مخزوم ، وغفار لأجل أبي ذر وأحلافهم ، وثار تيم بن مرة ، مع محمد بن أبي بكر وغير

ولما اجتمعوا هؤلاء جميعاً أتوا دار عثمان محتجين ومطالبين بالشروط التالية لإصلاح نفسه وحاشيته .

١ - الأخذ بمبدأ العطاء المتساوي الذي سار عليه النبي (ص) دون سياسة التفصيل التي سنّها عمر والتي لا تزال .

٢ - تطهير الجهاز الحاكم ولا سيما من مروان بن الحكم وبطانته المتنفذة في استغلال وتسيير دفة الحكم .

٣ - الوقوف بحزم تجاه أطماع قريش [وبني أمية خاصة] واستشارهم بالثروات والمناصب ووضع حد لها .

٤ - الحيلولة دون استذلال الأمراء للأهلين وامتهان كراماتهم كما فعلوا مع أبي ذر عندما تحدّاهم وناقشهم بسلوكهم المنحرف .

٥ - الحد من صلاحية الولاة والأمراء في إطلاق أيديهم في التصرف فالخراج والأموال العامة .

وصلت هذه المطالب إلى عثمان ، ولكنه لم يفعل شيئاً تجاهها بل تجاهلها كلياً ، وترك الأحداث تتأزم وتتفاقم ، وتشتعل كالنار في الهشيم

(١) طبقات ابن سعد طبع ليدن ج ٣ ص ٤٩ ، والأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٢٦ - ٥٩ ، والإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٤ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٨٤ ، وتاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٦ ، ومروج الذهب ج ١ ص ٤٤١ والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، والرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٣ - ١٢٤ ، والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٦٦ ، وتاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠٢ ، وتاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٧٠ - ١٧٣ ، ١٧٤ ، وحياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٥٣ ، والإصابة ج ٢ ص ٤١١ ، والصواعق المحرقة للخوارزمي ص ٦٩ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٥٩ ، وفي كثير من المصادر التي لم نعر عليها .

ولما لم يجد الثوار أي رد فعل أو إيجابية لمطالبهم العادلة ، التجؤوا إلى أمير المؤمنين مستنجدين به وطالبن منه التدخل لإنقاذ الموقف قبل أن يستفحل وتفلت زمام الأمور .

وتخوف الإمام عليه السّلام من سوء العاقبة وقبل الوساطة بعد أن استنجد عثمان به أيضاً لرد الثوار ، فبادر الإمام عليه السّلام على الفور إلى الاجتماع بعثمان فقال له : « الناس ورائي وقد كلموني فيك ووالله ما أدري ما أقول لك وما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، إنك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنجدك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلغه ، وما خصصنا بأمر دونك ، . . . فالله الله في نفسك فإنك والله ما تبصر من عمى وما تعلم من جهل ، وأن الطريق لواضح بين » .

ومما قاله عليه السّلام لعثمان : « إن معاوية يقطع الأمور دونك وتعلمها فيقول للناس هذا أمر عثمان فيبلغك ولا تغير على معاوية » . ولم يسمع الإمام عليه السّلام أي جواب شافي من عثمان حتى يستمر في الوساطة فتركه وخرج من داره .

وكان عثمان أحياناً يذعن لنصائح الإمام عليه السّلام ويعزم على الإصلاح ولكن سرعان ما يتعلل بمختلف الأعذار ، ولا يستقر على رأي .

وحيال تردد عثمان قال له الإمام عليه السّلام : « ما يريد عثمان أن ينصحه أحد ، اتخذ بطانة غش ليس منهم أحد إلا وقد تسبب بطائفة من الأرض يأكل خراجها ويستذل أهلها »^(١) .

من جهة أخرى كان عمرو بن العاص يحرض الناس علانية على سياسة عثمان ، حتى قال يصف نفسه : أنا أبو عبد الله إذا حككت

(١) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ج ٢ ص ٨٧ .

قرحة^(١) نكأتها ، إن كنت لألقى الراعي فأحرّضه على عثمان .

وهذه عائشة أول من اجتريء على عثمان وهي تخطب ، وقد نشرت قميص النبي صلى الله عليه وآله قائلة : هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبل وقد أبليت سنته .

وأما طلحة والزبير فقد وصلت بهما الحالة إلى إعانة الثائرين بالمال للإطاحة بعثمان ، والجموع الوافدة من كل مكان ، تفتحت ثائرتها ، ومضت في اندفاعها غاضبة ، وكان موقف الإمام عليه السلام من هؤلاء الثائرين ، كإطفائي للحريق يبذل كل جهده لتخفيف ثائرتهم وإطفاء حريقها الملتهب .

ولما اشتد الحصار على عثمان وأيقن أن لا مفر من الثوار ، أرسل بعض حواشيه ومن كان على شاكلته منهم المغيرة بن شعبة . وعمر بن العاص ، وأمثالهم ، ولكن ردهم الثوار شررد ، عند ذلك استشار من كان عنده في الدار ، وكان منهم عبد الله بن عمر وغيره ، فأشاروا عليه أن يستنجد بالإمام علي بن أبي طالب ، وقالوا له ليس لهم غيره ، فلما أتاه قال : يا أبا الحسن ، أئت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله .

قال : « نعم إن أعطيتني عهد الله وميثاقه على أنك تفي لهم بكل ما أضمنه عنك » .

قال : نعم .

فأخذ علي عليه عهد الله وميثاقه على أوكد ما يكون وأغلظ ، وخرج إلى القوم (الثوار) فقالوا : وراءك . قال : « لا ، بل أمامي ،

(١) وفي رواية : قرصة .

تعطون كتاب الله ، وتُعتَبون من كلِّ ما سَخَطْتُمْ .

فعرض عليهم ما بذل عثمان ، فقالوا : أَتُضْمَنُ ذلك عنه ؟ قال : « نعم » .

قالوا : رضينا .

وأقبل وجوههم وأشرفهم مع علي حتى دخلوا على عثمان وعاتبوه فأعْتَبَهُم من كلِّ شيء صدر منه ، فقالوا : اكتب بهذا كتاباً فكتب « (وهذا فحواه) .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتابٌ من عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نَقِمَ عليه من المؤمنين والمسلمين أنْ لكم أنْ أعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه صَلَّى الله عليه وآله يعطى المحروم ، ويؤمن الخائف ويُرَدُّ المنقَى ، ولا تجمر^(١) البعوث ، وتوفر الفيء ، وعلي بن أبي طالب ضمين المؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء في هذا الكتاب .

شهد على الكتاب ووقع عليه كلُّ من : الزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمرو ، وزيد بن ثابت ، وسهل بن حنيف ، وأبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد .

وكتب في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين . فأخذ كلُّ قوم كتاباً فانصرفوا بعد ذلك قال علي بن أبي طالب لعثمان : « اخرج فتكلم كلاماً يسمعه الناس ويحملونه عنك وأشهد الله (على) ما في قلبك ، فإنَّ البلاد قد تمخضت عليك ، ولا تأمن أن يأتي ركبٌ آخر من الكوفة أو من البصرة أو من مصر فتقول : يا علي اركب إليهم ، فإن لم أفعل قلت : قطع رحمي ، واستخف بحقي » ،

(١) تجمر الجيش : تحبس في أرض العدو ولم يقفل .

فخرج عثمان فخطب الناس فأقرُّ بما فعل واستغفر الله منه ، وقال :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من زلَّ فلينب . فأنأ أول
من اتعظ ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليردوني برأيهم ، فوالله لو ردُّني
إلى الحق عبدٌ لأتبعته وما عن الله مذهب إلا إليه .

فسر الناس بخطبته واجتمعوا إلى بابهِ مبتهجين بما كان منه .

فخرج إليهم مروان فزبرهم وقال : شاهدت وجوهكم ما
اجتماعكم ؟ أمير المؤمنين مشغول عنكم ، كل إنسان آخذ بإذن
صاحبه ، فإن احتاج إلى أحد منكم فسيدعوه فانصرفوا ، وبلغ علياً
الخبر فأثنى عثمان وهو مغضب ، فقال : « أما رضيت من مروان ولا
رضى منك إلا بفساد دينك ، وخديعتك عن عقلك ، مثل جمل الضعينة
يقاد حيث يسار به ؟ والله ما مروان بذى رأي في دينه ولا في نفسه ، وأيم
الله أني لأراه سيوردك ثم لا يُصدرك ، وما أنا بعائدٍ بعد مقامي هذا
لمعاتبتك » .

وقبل هذا كان عليٌّ عليه السلام ، قد تكلم مع المصريين وأرجعهم
إلى بلادهم ورجع هو إلى المدينة ، فدخل على عثمان وأخبره برجوع
المصريين ، فمكث عثمان ذلك اليوم حتى إذا كان الغد جاءه مروان فقال
له : اخرج إلى المسجد ، وتكلم وأعلم الناس أن أهل مصر قد رجعوا ،
وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً ، فإن خطبتك تسير في البلاد قبل أن
يتحلَّب الناس عليك من أمصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه . فأبى
عثمان أن يخرج ، فلم يزل به مروان حتى خرج إلى المسجد فجلس
على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد : إن هؤلاء القوم
من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ فلمَّا تيقنوا أنه باطل ما بلغهم
عنه رجعوا إلى بلادهم .

فناداه الناس من كل ناحية : إتق الله يا عثمان ؟ وتب إلى الله .

وكان أولهم عمرو بن العاص ، قال : إتق الله يا عثمان ، فإنك قد ركبت نهاير وركبناها معك فتب إلى الله نتب . . . إلى آخر ما مر في الجزء التاسع من كتاب الغدير ص ١٣٧ .

قصة الحصار الثاني

أخرج البلاذري من طريق أبي مخنف قال : لَمَّا شَخَصَ المَصْرِيُّونَ بَعْدَ اسْتِلاَمِهِمْ صُورَةَ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ عُثْمَانُ [عَلَى نَفْسِهِ] فَصَارُوا بِأَيْلَةٍ^(١) أَوْ بِمَنْزِلٍ قَبْلَهَا ، رَأَوْا رَاكِبًا خَلْفَهُمْ يَرِيدُ مِصْرَ فَقَالُوا لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ ، وَأَنَا غَلَامٌ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانَ أَسْوَدُ اللَّوْنِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَوْ أَنْزَلْنَاهُ وَفَتَشْنَاهُ إِلَّا يَكُونُ صَاحِبَهُ قَدْ كَتَبَ فِينَا شَيْءًا ، ففَعَلُوا فَلَمْ يَجِدُوا مَعَهُ شَيْئًا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : خَلَوْا سَبِيلَهُ فَقَالَ كِنَانَةُ بْنُ بَشِيرٍ : أَمَا وَاللَّهِ دُونَ أَنْ أَنْظُرَ فِي أَدَوَاتِهِ فَلَا . فَقَالُوا : سَبْحَانَ اللَّهِ يَكُونُ كِتَابُ فِي مَاءٍ ؟ فَقَالَ : إِنَّ لِلنَّاسِ حِيلًا ثُمَّ حَلَّ الْأَدَاةَ فَلِذَا فِيهَا قَارُورَةٌ مَخْتُومَةٌ (أَوْ قَالَ : مَظْمُونَةٌ) فِي جُوفِ الْقَارُورَةِ كِتَابُ فِي أَنْبُوبٍ مِنْ رِصَاصٍ فَأَخْرَجَهُ فَقَرَأَ فَإِذَا فِيهِ .

(١) أَيْلَةٌ بِالْفَتْحِ : مَدِينَةٌ عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ الْقَلْزَمِ مِمَّا يَلِي الشَّامَ . وَقِيلَ : هِيَ آخِرُ الْحِجَازِ وَأَوَّلُ الشَّامِ .

مصادر قصة الحصار الثاني

الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٢٦ ، ٦٩ ، ٩٥ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٣ - ٢٧ - المعارف لابن قتيبة ص ٨٤ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٣ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٩ - ١٢٠ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٣ - ١٢٥ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ - ٧١ شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٦ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٧ ، - تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٧٣ - ١٧٤ و ١٨٦ - ١٨٩ حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٢٥٣ ، الصواعق المحرقة ص ٦٩ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٧/١٠٦ السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٥٩ واللفظ للبلاذري والطبري فراجع .

أما بعد : فإذا قدم عليك عمرو بن بديل فأضرب عنقه ، وأقطع يدي ابن عُدَيْسٍ وكنانة ، وعروة ، ثم دعهم يتشحطون في دمائهم حتى يموتوا ، ثم أوثقهم على جذوع النخل .

ويقال : إن مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان كما علموا أن الخط كان خط مروان فلما عرفوا ما في الكتاب ، قالوا : عثمان محل ، ثم رجعوا عودهم على بدئهم حتى دخلوا المدينة فلقوا علياً عليه السلام بالكتاب وكان خاتمه من رصاص ، فدخل به عليٌّ على عثمان فحلف بالله ما هو كتابه ولا يعرفه ، وقال : أما الخط فخطُ كاتبِي ، وأما الختم فعلى خاتمي ، قال عليٌّ فمن تَتهَم ؟ قال : أتَهمك وأتَهم كاتبِي ، فخرج عليٌّ مغضباً وهو يقول : « بل هو أمرُك » قال أبو مخنف : وكان خاتم عثمان بدء عند حمران بن أبان ثم أخذه مروان حين شخص حمران إلى البصرة فكان معه :

وجاء المصريون إلى دار عثمان فأحدقوا بها وقالوا لعثمان وقد أشرف عليهم : يا عثمان ، أهذا كتابك ؟ فجحد وحلف فقالوا : هذا شرٌّ ، يكتب عنك بما لا تعلم ، ما مثلك يلي أمور المسلمين ، فاختلع من الخلافة ، فقال : ما كنت لأنزع قميصاً قمصينه الله ، أو قال : سربليه الله .

أخرج الطبري من طريق عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : كتب أهل المدينة إلى عثمان بدعوته إلى التوبة ، بعد أن واجههم مروان بتلك الخشونة ، والمصريون لا يزالون في طريق عودتهم إلى المدينة بعد عشورهم على الكتاب الموجه إلى والي عثمان في مصر ، يحتجون ويقسمون له بالله لا يمسون عنه أبداً حتى يقتلوه ، أو يعطيهم ما يلزمهم من حق الله ، فلما خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته ، فأشاروا عليه أن يرسل إلى عليٍّ بن أبي طالب ، فيطلب منه أن يردهم عنه ويعطيهم ما

يرضيه ليطاولهم حتى يأتيه الأمداد ، فأخذ عليّ عليه في الكتاب أعظم المواثيق ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهدٍ وميثاق ، وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار ، فأمهله ثلاثة أيام ليفي بما عاهد الله عليه ، فكفّ المسلمون عنه ورجعوا إلى أجله فلم يفى لهم بما أعطاهم من نفسه ، بل العكس فعل فجعل يتأهب للقتال ويستعدّ بالسلاح ، وقد كان اتخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس ، فلما مضت الأيام الثلاثة وهو على حاله لم يغيّر شيئاً مما كرهه ، ولم يعزل عاملاً ثار به الناس ، وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتى أتى المصريين وهم بذى خشب قرب المدينة فأخبرهم الخبر وسار معهم حتى قدموا المدينة فحاصروا دار عثمان ، ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال : أفيكم عليّ ؟ فقالوا : لا . قال : أفيكم سعد ؟ فقالوا : لا . فسكت ، ثم قال ألا أحد يبلغ علياً فيسقيناه ماء ؟ فبلغ ذلك علياً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماء ، فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدّة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصلت القرب إلى داره .

وأخرج الطبري من طريق عثمان بن محمد الأخنسي قال : كان حصر عثمان قبل (رجوع) قدوم أهل مصر . فقدم أهل مصر يوم الجمعة وقتلوه في الجمعة الأخرى^(١) .

وفي رواية الطبري من طريق أبي حفصة مولى مروان ، قال : لما حُصِرَ عثمان شمرت معه بنو أمية ، ودخل معه مروان بن الحكم الدار فكنت معه في الدار فأنا والله أنشبت القتال بين الناس ، رميت من فوق الدار رجلاً من أسلم فقتلته وهو تيار الأسلمي فنشب القتال ، ثم نزلت فاقتتل الناس على الباب ، فأرسلوا إلى عثمان أن مكننا من قاتله قال :

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣٢ .

والله ما أعرف له قاتلاً فباتوا يتحرقون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران ، فلما أصبحوا غدواً فأول من طلع علينا كنانة بن عتاب في يده شعلة من نار على ظهر سطوحنا قد فتح له من دار آل حزم ، ثم دخلت الشعلة على أثره تنضح بالنفط فقاتلناهم ساعة على الخشب وقد اضطرم الخشب ، فأسمع عثمان يقول لأصحابه : ما بعد الحريق شيء قد احترق الخشب واحترقت الأبواب ومن كانت لي عليه طاعة فليمسك داره ، ثم خرج مروان وخرجت معه أذب عنه ونحن قليل .

وقال أبو بكر بن الحارث : كأنني أنظر إلى عبد الرحمن بن عديس البلوي وهو مسند ظهره إلى جدار المسجد ، وعثمان محصور فخرج مروان فقال : من يبارز ؟ فقال ابن عديس لفلان بن عروة^(١) : قم إلى هذا الرجل . فقام إليه غلام شاب طوال فأخذ رفيف الدرع فغرز في منطقتة فأعور له عن ساقه فأهوا له مروان وضربه عروة على عاتقه ، فكأنني أنظر إليه حين استدار مروان وقام إليه عبيد بن رفاعة الرزقي ليدف^(٢) فقامت إليه أمه التي أرضعته وهي فاطمة الثقفية ، وهي جدة إبراهيم ابن العربي صاحب اليمامة ، فقالت : إن كنت تريد قتله ؟ فقد قتلت ، فما تصنع بلحمه أن تبضعه ؟ فاستحى عبيدة بن رفاعة منها فتركه فأخذته إلى دار قرية فعالجته .

ومن طريق حسين بن عيسى عن أبيه ملخصاً قال : لما مضت الأيام طافوا بدار عثمان ، وأبى إلا الإقامة على أمره فأرسل إلى حشمه وخاصته فجمعهم - الدفاع عنه - فقام رجل من الثوار وكان صحابياً يقال له نيار بن عياض وكان شيخاً كبيراً فنادى : يا عثمان ؟ فأشرف عليه من

(١) ولعل الصحيح : عروة بن شيم البياح اللبي ، في رواية الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٩٨ - ١٣٣ وفي رواية ابن سعد في طبقاته .

(٢) ليدف : يجهز عليه بالسيف .

أعلى داره فناشده الله وذكره الله لما اعتزلهم ، فبينما هو يراجع الكلام إذ رماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم ، وزعموا أن الذي رماه كثير بن الصلت الكندي فقالوا لعثمان عند ذلك : ادفع إلينا قاتل نيار بن عياض فلنقتله به . فقال : لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي ، فلما رأوا ذلك ثاروا إلى بابه فأحرقوه ، وخرج عليهم مروان بن الحكم من دار عثمان في عصابة وخرج سعيد بن العاص في عصابة ، وخرج المغيرة بن الأحنس الثقفي في عصابة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان الذي حداهم على القتال أنه بلغهم أن مدداً من أهل البصرة قد نزلوا صراراً وهي من المدينة على ليلة ، وأن أهل الشام قد توجهوا مقبلين [لنصرة عثمان] [فخرجوا من الدار] وقاتلوهم قتالاً شديداً على باب الدار ، فحمل المغيرة بن الأحنس الثقفي على القوم - الثائرين - وهو يرتجز :

قد علمت جارية عطبول لها وشاح ولها حبول
إني بنصل السيف خنشليل
فحمل عليه عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو يرتجز ويقول .

إن تك بالسيف كما تقول فأنبت لقرن ماجد يصول
بمشرفي حده مصقول

فضربه عبد الله وقتله ، وحمل رفاعه بن رافع الأنصار ثم الزرقى وهم من الثوار على مروان بن الحكم فضربه فصرعه فترع عنه وهو يرى أنه قد قتله ، وجرح عبد الله بن الزبير ، وانهزم القوم حتى لجأوا إلى القصر فاعتصموا ببابه فاقتتلوا عليه قتالاً شديداً فقتل في المعركة على الباب زياد بن نعيم الفهري في ناس من أصحاب عثمان ، فلم يزل الناس [الثوار وأصحاب عثمان] يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصاري باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان ثم نادى

الناس ، فاقبلوا عليهم من داره فقاتلوهم في جوف الدار حتى انهزموا ، فخلى لهم عن باب الدار فخرجوا هُرَاباً في طرق المدينة ، وتركوا عثمان في أناس من أهل بيته فَقَتِلُوا مع عثمان^(١) ، وفرَّ خالد بن عقبة بن أبي معيط أخو الوليد يوم الدار .

ومن الدلائل الواضحة كما مر عليك ، على أنه لم يكن مع عثمان من يدافع عنه غير الأمويين ومواليهم وحثالة ممن كان ينسج على نوالهم تجاه هياج المهاجرين والأنصار ، فقتل من أولئك من قتل ، وتفرق شذاذ منهم هاربين في أزقة المدينة وطرقاتها ، فلم يبق إلا عثمان وأهله حتى انتهت إليه نوبة القتل من دون أي مدافع « عنه » . وقد اشترك في قتله عدد من الثوار منهم كنانة بن بشر بن عتاب ، وسودان بن حمران ، وعمرو بن حنق ، ومحمد بن أبي بكر ، وغيرهم فلنا الله وإننا إليه راجعون .

وأخرج البلاذري من طريق ابن سيرين أنقلها مختصراً قال : جاء ابن بديل إلى عثمان - وكان معه السيف وهو يقول : لأقتلنه ، فدخل على عثمان فضربه ضربة لا أدري ما أخذت منه . راجع المصادر التالية :

طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥١ ، أنساب البلاذري ج ٥ ص ٧٢ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ٩٨ ، والإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٩ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٢٥ و ١٣١ و ١٣٢ العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٠ ، مروج الذهب ج ١ ص ٤٤٢ الاستيعاب ج ٢ ص ٤٧٧ ، ٤٨٨ ، تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٧٢ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٢ ، ٧٥ شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٦ ، ١٦٨ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٤٠١ ،

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٢٢ - ١٢٥ - والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٣ - ٧٤ .

تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٧٠ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٨٤ -
١٨٨ ، حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٥٤ ، مجمع الزوائد ج ٧
ص ٢٣٢ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٣ السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٥ ،
الإصابة ج ٢ ص ٢١٥ ، إزالة الخفاء ج ٢ ص ٢٣٩ - ٢٤٢ .

واخيراً نظرة في احاديث الحصارين

أو ما يلفت النظر من الأحاديث التي مرت عليك هو أنّ المُجهزين
على عثمان هم المهاجرون والأنصار من الصحابة « ولم يشذ عنهم
الأربعة » وهم الذين أصفقوا مع أهل مصر والكوفة والبصرة على مقت
الخليفة وقتله بعد أن أعيتهم الحيل ، وأعوزهم السعي في استتابته ،
وإكفائه عن الأحداث ، ونزوعه عما هو عليه من الجرائم ، وإنّ في
المقبلين من تلكم البلاد من عظماء الصحابة ، ومن رجال الفضيلة والفقهِ
والتقى من التابعين جماعات لا يستهان بعدتهم ولا يغمز في دينهم ،
وهم رؤساء هاتيك الجماهير والمؤلّبين لهم على عثمان .
(فمن الكوفيين) :

١ - زيد الخير ، له إدراك ، أثنى عليه النبي الأعظم صلى الله عليه
 وآله وسلّم ، وأنه من الاخيار الأبرار .

٢ - مالك بن الحارث الأشتر ، له إدراك ، وله مواقف إسلامية
عظيمة تدل على فضله وموقفه من الإيمان ، ومبلغه من الثقة والصلاح .

٣ - كعب بن عبدة النهدي ، وقد سمعت عن البلاذري أنه كان
ناسكاً .

زياد بن النظر الحارثي ، له إدراك .

٥ - عمرو بن الأهتم ، صحابي خطيب بليغ شريف في قومه ،
ترجمه ابن عبد البر في (الاستيعاب) ، وابن الأثير في (أسد الغابة)
وابن حجر في (الإصابة) .

(ومن المصريين) :

٦ - عمرو بن الحمق الخزاعي ، صحب النبي وحفظ عنه
أحاديث ، وحظي بدعائه صلى الله عليه وآله وسلم له .

٧ - عمرو بن بديل الخزاعي ، صحابيٌّ عادلٌ مترجم في معاجم
الصحابة .

٨ - عبد الله بن بديل الخزاعي ، قال أبو عمر : كان سيد خزاعة ،
وخزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، شهد حنيناً والطائف
وتبوك ، وكان له قدر وجلالة ، وكان من وجوه الصحابة . راجع
الاستيعاب ، وأسد الغابة ، والإصابة .

٩ - عبد الرحمن بن عديس البلوي ، صحب النبي صلى الله عليه
وآله وسلم وسمع منه ، وكان ممن بايع تحت الشجرة من الذين رضى
الله عنهم ورضوا عنه .

١٠ - محمد بن أبي بكر ، وحسبك فيه ما في الاستيعاب والإصابة
من أن علياً عليه السلام كان يثني عليه ويفضله ، وكانت له عبادة
 واجتهاد ، وكان من أفضل أهل زمانه .

(ورئيس البصريين) :

١١ - حكيم بن جبلة العبدي ، قال أبو عمر في (الاستيعاب) :
أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان رجلاً صالحاً له دين ، مطاع
في قومه ، وقال المسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ٧ : كان من
سادات عبد قيس وزهادها ونساکها ، وأثنى عليه أمير المؤمنين
عليه السلام بقوله كما في الكامل ج ٢ ص ٩٦ .

دعا حكيم دعوة سميعة * نال بها المنزلة الرفيعة

يا لهف ما نفسي على ربيعة * ربيعة السامعة المطيعة
قد سبقتني فيهم الوقية

وإن ما جرى في غضون تلك المعامع ، وتضاعف ذلك الجوار ،
من أخذ وردّ وهتاف وقول ، وأيام الثورة على عثمان ، كلّها تنم عن
صلاح القوم وتقواهم ، وأنهم لم يغضبوا إلّا لله ، ولا دعوا إلّا لإقامة
الأمّة والعوج ، وتقويم دين الله وتنزيهه عن المقرّات والأحداث ، ولم
يجلبهم إلى ذلك الموقف مطمّع في إمارة ، أو نزاع إلى حكم أو هوى
في مال ، ولذلك كان يرضيهم كلّما يسيده الخليفة من النزول على
رغباتهم ، والنزوع عن أحداثه ، والإنابة إلى الله مما نقموا به عليه ، غير
أنه كان يثيرهم في الآونة بعد الأخرى ، ما كانوا يشاهدونه من المقام
على الهنات ، ونقض العهد مرّة بعد أخرى حتى إذا تأكدوا إلى أن
الرجل غير منكفيء عما كان يقترفه ، ولا مطمئن عما يفعله ، فاطمأنوا
إلى بقاء التكليف عليهم بالوثوب ، فوقفوا لإزالة ما رأوا منكراً ذلك
الموقف الشديد حتى قضى من الأمر ، ما كان مقدوراً ، فإنا لله وإنا إليه
راجعون .

تجهيز الخليفة ودفنه

هناك روايات مختلفة وطرق متعددة في كيفية تجهيزه ودفنه ، ربما
استطيع أن أصور لك ملخص ما ذكره أصحاب السير والتاريخ : أخرج
ابن الجوزي ، والمحجب الطبري ، والهيتمي من طريق عبد الله بن فروخ
قال : شهدت عثمان بن عفان دفن في ثيابه ولم يُغسَل وقال المحجب :
خرّجه البخاري ، والبخوي في معجمه . وذكر ابن الأثير في الكامل ،
وابن أبي الحديد في الشرح : إنّه لم يُغسَل وكفن في ثيابه .

وأخرج أبو عمر في الاستيعاب من طريق مالك قال : لما قتل عثمان

ألقي على المذبلة ثلاثة أيام ، فلما كان في الليل أتاه اثنا عشر رجلاً^(١) فيهم حويطب بن عبد العزى ، وحكيم بن حزام ، وعبد الله بن الزبير ، فاحتملوه فلماً صاروا به إلى المقبرة ليدفنوه ناداهم قوم من بني مازن : والله لئن دفنتموه هنا لنخبرن الناس غداً ، فاحتملوه وكان على باب وإن رأسه على الباب ليقول : (طق طق) حتى صاروا به إلى حش كوكب فاحتفروا له ، وكانت عائشة بنت عثمان معها مصباح في جرة ، فلما أخرجوه ليدفنوه صاحت فقال لها ابن الزبير : والله لئن لم تسكتي لأضربن الذي فيه عيناك ، فسكتت فدفن من أهله .

وفي رواية أخرى أخرج الطبري من طريق أبي بشير العابدي قال : نبذ عثمان رضي الله عنه ثلاثة أيام لا يدفن ، ثم إن حكيم بن حزام القرشي أحد بني أسد بن عبد العزى ، وجبير بن مطعم كلماً علياً في دفنه وطلباً إليه أن يأذن لأهله في ذلك ، ففعل وأذن لهم علي ، فلما سُمع بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة ، وخرج به ناس من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يقال له : حُش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ، فلما خرج به على الناس رجموا سريره وهموا بطرحه ، فبلغ ذلك علياً ، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليلقن عنه ، ففعلوا فانطلق به حتى دفن في حُش كوكب ، فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع ، فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين .

راجع المصادر :

طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٥٥ ، أنساب البلاذري ص ٨٣ ، ٨٦ ،

(١) أحاديث الباب مطلقة على أن الذين تولوا أجناته كانوا أربعة ، وقال المحب الطبري وقد قيل : إن الذين تولوا تجهيزه كانوا خمسة أو ستة ، أربعة رجال وامرأتان نائلة بنت القرافصة ، وام البنين امرأته .

٩٩ ، الاستيعاب ج ١ ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، صفة الصفوة ج ١ ص ١١٧ ،
الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٧٦ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٣١ -
١٣٢ ، معجم البلدان ج ٣ ص ٢٨١ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١
ص ١٦٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٩٠ - ١٩٢ حياة الحيوان للدميري
ج ١ ص ٥٤ ، وفاء الوفا للسمهوري ج ٢ ص ٩٩ ، السيرة الحلبية ج ٢
ص ٨٥ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٥ .

إلى هذا الحد أكتفي من مأساة الخليفة عثمان بن عفان نتيجة سوء
تصرفه وانقياده إلى حاشيته وبطانة السوء من أهله .

صدقات علي وموقوفاته

في كل جانب من جوانب حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، تجد العظمة فيه بمنتهاى أبعادها ، والرفعة في أعلى ذراها ، فهو المرجع والمثل الأعلى في القيادة ، والتهجد ، والدعاء ، والإخلاص في العبودية ، والجهاد في سبيل تثبيت أركان الإسلام ، والأخلاق الفاضلة بمنتهاى مكارمها ، والجود والسخاء والكرم ، وكثرة الصدقات والمبرات ، إلى غير ذلك من الفضائل والمناقب التي لا تُعدّ ولا تُحصى ، وفي هذا الفصل أذكر جانباً من كرمه وجوده في صدقاته وموقوفاته ، على سبيل المثال لا الحصر ، منها ، كان يملك عليه السلام أربعة دراهم تصدق بدرهم منها ليلاً ، وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سرّاً ، وبدرهم علانية ، فانزل الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه المجيد فيه ، ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً ﴾^(١).

وهو الذي تصدق بخاتمته إلى السائل فنزل فيه قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٤ راجع تفسير الآية في الجزء الأول من كتابنا علي في الكتاب والسنة ص ٦٧ .

(٢) سورة المائدة الآية ٥٥ راجع تفسير الآية في الجزء الأول من كتابنا علي في الكتاب والسنة ص ٩٥ .

وهو الذي أعطى طعامه وإفطاره وهو صائم ثلاثة أيام متواليات إلى المسكين ، واليتيم ، والأسير مع أهله ، فانزل الله سبحانه فيهم سورة الدهر ، منها الآية ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾^(١) .

روى ابن شهر آشوب في (المناقب) ج ٢ ص ١٢٢ .
عن الصادق عليه السلام قال : إنه عليه السلام أعتق ألف نسمة من كدّ يده ، جماعة لا يحصون كثرة . ووقف مالا بخير وبوادي القرى .
ووقف مال أبي نيزر ، والبغيفة^(١) ، وأرباحاً ، وأرينة ورغداً ، ورزينا ، ورباحاً على المؤمنين ، وأمر بذلك أكثر ولد فاطمة من ذوي الأمانة والصّلاح .

وأخرج مائة عين بينبع وجعلها للحجيج ، وهو باق إلى يومنا هذا .
وحفر آباراً في طريق مكة والكوفة .
وبنى مسجد الفتح في المدينة ، وعند مقابل قبر حمزة ، وفي الميقات ، وفي الكوفة ، وجامع البصرة ، وفي عبادان وغير ذلك ، وعمّر طريق مكة .

وقد ورد ذكر صدقات أخرى لأمر المؤمنين عليه السلام ، نقلها العلامة السيد المرعشي النجفي في كتابه « إحقاق الحق » ج ٨/ ٥٨٣ - ٥٩٢ عن مصادر معتبرة كثيرة ، أذكرها هنا على نحو الإجمال .
- عين البحر .

- عين نولا ، وهي التي يقال أن علياً عليه السلام عمل فيها بيده ، وفيها مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو متوجه إلى ذي العشيرة .

(١) البغيفة : قرية في المدينة ، وقيل : عين كثيرة النخل ، غزيرة الماء .

- عين جبير .
- عين خيف الأراك .
- عين خيف ليلى .
- عين خيف بسطاس .
- بئر الملك ، وهي من صدقاته بالمدينة .
- عيون بالمدينة وينبع وسويعة .
- وادي ترعة بناحية فذك بين لابتى حرّة .
- الفقرا بالعالية .
- كل مال له في ينبع .
- كل مال له في وادي القرى .
- كل مال له في الأدنية .
- كل مال له في رعيث .

روى الحافظ أحمد بن حنبل في « المسند » ج ١/ ١٥٩ ط الميمنية - مصر ، بإسناده إلى محمد بن كعب القرظي أن علياً عليه السلام قال : لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأناي لأربط الحجر على بطني من الجوع ، وإن صدقتي اليوم لأربعون ألفاً .
ورواه :

- ١ - الزمخشري في « ربيع الأبرار » ص ٢٠٩ مخطوط .
- ٢ - ابن الأثير الجزري في « أسد الغابة » ج ٤/ ٢٣ ط مصر .
- ٣ - محب الدين الطبري في « الرياض النضرة » ج ٢/ ٢٢٧ ط مصر .
- ٤ - الذهبي في « تاريخ الإسلام » ج ٢/ ١٩٩ ط مصر .
- ٥ - الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ج ٩/ ١٢٣ ط القاهرة ، وغيرهم .

وقال ابن الأثير بعد نقله هذا الحديث : لم يرد بقوله : « أربعين ألفاً » زكاة ماله ، وإنما أراد الوقوف التي جعلها صدقة كان الحاصل من دخلها صدقة هذا العدد ، فإن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه لم يدخر لنفسه مالا .

واليك حديث أبو نيزر الذي سمي الإمام عليه السلام العين باسمه .

قال : جاءني الإمام علي عليه السلام وأنا أقوم بالضيعتين - عين أبي نيزر والبغيغة ، فقال لي : هل عندك من طعام ؟

فقلت له : طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين ، قرع من الضيعة صنعته بأهله نسخة : فقال : عليُّ به ، فقام إلى الربيع - اسم نهر - فغسل يديه وأصاب منه ، ثم خرج إلى الربيع وغسل يديه بالرمل حتى نقّاهما ، ثم مسح على بطنه وقال : من ادخل بطنه النار فأبعده الله ، ثم أخذ المعول وانحدر في العين وجعل يضرب فأبطأ الماء - فخرج وقد عرق جبينه فانتكفه ، ثم عاد وجعل يهمهم فائثال عين كأنها عتق جزور ، فخرج مسرعاً وقال ، أشهد أنها صدقة^(١) .

وقال محمد بن هشام : ركب الحسين عليه السلام دَين فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار ذهب ، فأبى أن يبيع وقال : إنما تصدق بها أبي لئقي بها وجهه حر النار ولست ببائعها^(٢) .

واليك صورة الوقفية التي كتبها أمير المؤمنين عليه السلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تصدق به علي أمير المؤمنين ، تصدق بالضيعتين

(١) أبصار العين للسمائي ص ٦٢ .

(٢) أعيان الشيعة ٣ ق ٧٧/٢ .

المعروفتين بعين أبي نيزر ، والبغيغة على فقراء أهل المدينة وأبناء السبيل ، ليقى الله بها وجهه حر النار يوم القيامة ، لا تباع ولا توهب حتى يرثهما وهو خير الوارثين ، إلا أن يحتاج إليهما الحسن والحسين فهما طلق لهما ، وليس لأحد غيرهما^(١) .

السلام عليك يا أمير المؤمنين ، حياً وميتاً ، لقد تركت لنا في كل مجال من مجالات الحياة ، قاعدة ، ودروساً ، وعبراً ، ولو أخذنا بها لصلحت لنا دنيانا وآخرتنا ، ولصرنا أسعد أمة التي أخرجت للناس ، على وجه الأرض ، ولكن سولت لنا أنفسنا ، وغلبت علينا شِقْوَتنا وبالله المستعان .

(١) أبصار العين للسماعي ص ٦٢ وأعيان الشيعة ٣ ق ٧٧/٢ .

بيعة أمير المؤمنين وما جرى بعدها

الحمد لله ، والصلاة على رسوله الأكرم وآله الأطهار .
أشرح لكم بعض الوقائع التي حدثت لأمر المؤمنين عليه السلام في
الفترة التي تلت قتل الخليفة الثالث ، واستلامه عليه السلام مقاليد الخلافة
الظاهرية إلى نكث الناكثين وتمردهم وإشعال فتنة الحرب المعروفة بمعركة
الجمل .

نقم الناس على عثمان أشياء كثيرة أحدثها وابتدعها في مدة خلافته
البالغة إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً ، فضاقوا بها ذرعاً ، وثاروا عليه
بعد أحداث ومجادلات كثيرة يطول شرحها أدت إلى مقتله ، ولعل من
أهم تلك الأسباب سوء تصرفه في إدارة أمور البلاد الإسلامية ، وتوليته
أعداء الإسلام من المنبوذين والمنفيين من أبناء عشيرته وتسليطهم على دماء
المسلمين وأعراضهم وأموالهم بصورة مستهترة مفاجئة كما وصف الحال أمير
المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة بـ (الشقشقية) ، أنقل لكم محل
الحاجة منها حيث قال عليه السلام :

... إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ^(١) ، بَيْنَ نَيْلِهِ

(١) أي رافعاً لهما ، وتقال للمتكبر .

وَمُعْتَلِفِهِ ^(١) ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ ^(٢) مَالَ اللَّهِ خِضْمَةً الْإِبِلِ نَيْتَةً
الرَّبِيعِ إِلَى أَنْ أَتَتْكَ ^(٣) عَلَيْهِ قَتْلُهُ ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ ، وَكَبَتْ ^(٤) بِهِ
بَطْنَتُهُ ^(٥) !

فَمَا رَاعِنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعَرَفِ الضُّبُعِ ^(٦) إِلَيَّ ، يَنْتَالُونَ ^(٧) عَلَيَّ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ ، حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ ، وَشُقَّ عِطْفَايَ ^(٨) مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي
كَرْبِيشَةِ الْغَنَمِ ^(٩) ، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَّتْ طَائِفَةٌ ^(١٠) وَمَرَقَتْ
أُخْرَى ^(١١) ، وَقَسَطَ آخَرُونَ ^(١٢) : كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ :
﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا
فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١٣) .

بَلَى ! وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا ، وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَّتِ الدُّنْيَا فِي أَغْيَبِهِمْ ،
وَرَأَقَهُمْ زَبْرُجُهَا !

أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ ^(١٤) ،

(١) النثيل ، الروث وقلدر الدواب ، والمعتلف : موضع العلف .

(٢) الخضم : أكل الشيء الرطب .

(٣) أي انتفض .

(٤) من كبا به الجواد إذا سقط لوجهه .

(٥) البطنة : البطر والأشر والتخمة .

(٦) هوما كثر على عنقها من الشعر ، وأراد عليه السلام الكثرة والإزدحام .

(٧) أي يتتابعون .

(٨) أي شقَّ جانباه من الاصطكاك .

(٩) هي الطائفة الرابضة من الغنم .

(١٠) أي نقضت عهدها ، وهم أصحاب الجمل ومعهم طلحة والزبير .

(١١) أي خرجت ، وفسقت ، وهم الخوارج أصحاب النهروان .

(١٢) أي جار ، والجارئون هم معاوية وأصحابه في صفين .

(١٣) سورة القصص : آية ٨٣ .

(١٤) قيل : أراد بالحاضر هنا من حضر لبيعته .

وَقِيَامَ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ الْأَيْقَارُوا ^(١) عَلَى كَيْطَةٍ ^(٢) ظَالِمٍ ، وَلَا سَغَبٍ ^(٣) مَظْلُومٍ ، لِأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا ^(٤) ، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسٍ أَوْهَا ، وَلَأَلْقَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَقْفَةٍ عَنَزٍ !

مبايعة أمير المؤمنين بالخلافة

نعم ، انهال الناس عليه من كل جانب ، وهم ينادون : ما نختار غيرك . وترددوا إليه مراراً ، وقالوا : والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك .

فقال عليه السلام : إذا كان لابد من ذلك ففي المسجد ، فإن بيعتي لا تكون خفية ، ولا تكون إلا في المسجد .

فخرج من بيته إلى المسجد ، عليه قميص وعمامة خبز ، ونعلاه في يده ، متوكئاً على قوسه ، فبايعه الناس .

وكان أول من بايعه من الناس : طلحة ، ثم الزبير ، ثم بايعه المهاجرون والأنصار وسائر المسلمين ، حتى أن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام تشاءموا من أول يد امتدت إليه لتبايعه ، لأنها كانت يد مشلولة عضباء ، هي يد طلحة المشؤومة .

ولما أراد طلحة والزبير أن يبايعا قال لهما أمير المؤمنين : إن أحببتهما نبايعاني ، إن أحببتهما بايعتكما ؟ فقالا : بل نبايعك .

وجاؤا بسعد بن أبي وقاص أبو عمر بن سعد ، فقال له علي

(١) أي يوافقوا مقررين .

(٢) هي ما يعترى الأكل من الثقل ، والكرب عند امتلاء البطن بالطعام ، وأراد استئثار الظالم بالحقوق .

(٣) أي شدة الجوع ، والمراد : غضب حقوقه .

(٤) الغارب : الكاهل .

عليه السلام : بايع . قال : لا ، حتى يبايع الناس ، والله ما عليك مني بأس . فقال الإمام : خلّوا سبيله .

وجاؤوا بعبد الله بن عمر فقالوا : بايع . فقال : لا ، حتى يبايع الناس ، فقال عليه السلام : اثني بكفيل . قال : لا أرى كفيلاً . فقال الأشر : دعني أضرب عنقه . فقال الإمام : دعوه ، أنا كفيله .

كان الازدحام على الإمام بصورة مدهشة ، وكاد الناس أن يقتل بعضهم البعض من شدّة الزحام ، فبيع له بالخلافة يوم الجمعة لثمانية عشر من ذي الحجة سنة ٣٥ من الهجرة في بعض الروايات ، ومن ذلك اليوم نهض عليّ عليه السلام بأعباء الخلافة .

وأول خطوة تقدّم بها الإمام عليه السلام إلى العدالة هو تقسيم بيت المال بين المسلمين بالسوية ، وذلك في اليوم الثاني من بيعته ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وكان ممّا قال :

أمّا بعد ، لمّا قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم استخلف الناس أبا بكر ، ثمّ استخلف أبو بكر عمر ، فعمل بطريقته ، ثمّ جعلها شورى بين ستّة ، فأفضى الأمر إلى عثمان ، فعمل ما أنكرتم وعرفتم ، ثمّ حُصِرَ ، ثمّ قتل ، ثمّ جثمتوني فطلبتم إليّ ، وإنّما أنا رجل منكم ، لي ما لكم ، وعليّ ما عليكم ، إلى آخر خطبته المعروفة .

ثم التفت يمينا وشمالاً فقال : ألا لا يقولن رجال منكم قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار ، وفجّروا الأنهار ، وركبوا الخيول الفارهة ، واتخذوا الوصائف الروقة ، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إذا منعتم ما كانوا يخوضون فيه ، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعملون ، فينقمون ذلك ويستنكرون ، ويقولون : حرّما ابن أبي طالب حقوقنا .

وأيّما رجل استجاب لله ورسوله ، فصلق ملّتنا ، ودخل في ديننا ،

واستقبل قبلتنا ، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده ، فأنتم عباد الله
والمال مال الله ، يقسم بينكم بالسوية ، لا فضل لأحد على أحد ،
وللمتقين غداً أحسن الجزاء وفضل الثواب .

وإذا كان غداً - إن شاء الله - فاغدوا علينا ، فإن عندنا مالاً نقسمه
فيكم ، ولا يتخلفن أحد منكم ، عربي ولا عجمي ، كان من أهل العطاء
أو لم يكن ، إذا كان مسلماً حراً إلّا حضر ، أقول قولي هذا وأستغفر الله
العظيم لي ولكم .

وعن عمار وابن عباس قالا : إنه عليه السلام لما صعد المنبر قال لنا :
قوموا فتخللوا الصفوف ، ونادوا : هل من كاره ؟

فتصارخ الناس من كل جانب : اللهم قد رضينا وسلمنا وأطعنا
رسولك وابن عمه .

فقال عليه السلام : قم يا عمار إلى بيت المال ، فاعط الناس ، ثلاثة
دنانير لكل إنسان ، وادفع لي ثلاثة دنانير .

فمضى عمار وأبو الهيثم وجماعة من المسلمين إلى بيت المال .

ومضى أمير المؤمنين إلى مسجد قباء يصلي فيه ، فوجدوا ثلاثمائة ألف
دينار ، ووجدوا الناس مائة ألف ، فقال عمار : جاء والله الحق من
ربكم ، والله ما علم بالمال ولا بالناس ، وإن هذه الآية وجبت عليكم بها
طاعة الرجل .

أول شيء كرهه الناس من أمير المؤمنين تقسيمه العطاء بالسوية ،
فقد قال سهل بن حنيف : يا أمير المؤمنين ، هذا غلامي بالأمس ، وقد
اعتقته اليوم ! فقال عليه السلام : نعطيه كما نعطيك !!

وأمر الإمام أن يبدأوا في العطاء بالمهاجرين ، ثم يشنون بالأنصار ،
ثم من حضر من الناس كلهم ، الأحمر والأسود .

تخلف عن هذه القسمة يومئذ طلحة ، والزبير ، وعبد الله بن عمر ،
وسعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، ورجال من قریش ، ومن هنا
بدأت التفرقة ، ونشب الخلاف ، وتولدت الفتنة .

وأقبل هؤلاء وجلسوا في ناحية من المسجد ، ولم يجلسوا عند الإمام
عليه السلام ، ثم قام الوليد بن عقبة فجاء إلى الإمام ، فقال :

يا أبا الحسن ، إنك قد وترتنا جميعاً ، أما أنا ، فقتلت أبي يوم بدر
صبراً ، وخذلت أخي يوم الدار بالأمس .

وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب ، وكان ثور قریش .

وأما مروان فسَخفت أباه عند عثمان إذ ضمّه إليه ، ونحن إخوانك
ونظراؤك من بني عبد مناف ، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما
أصبناه من المال في يوم عثمان ، وأن تقتل قتلة عثمان ، وإنّا إن خفناك
تركناك والتحقنا بالشام .

فقال عليه السلام : أما ما ذكرتم من وتري إياكم فالحق وتركتم ؛
وأما وضعي عنكم ما أصبتم ، فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن
غيركم ؛ وأما قتل عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس ، ولكن لكم
عليّ إن خفتموني أن أؤمنكم ، وإن خفتكم أن أسيركم .

فقام الوليد إلى أصحابه فحدّثهم ، فافترقوا على إظهار العداوة
وإشاعة الخلاف ، لما أنهى عمار وعبد الله بن رافع وغيرهما من تقسيم المال
بين الناس بالسوية أخذ عليّ عليه السلام مكتبته ومساكنه ، ثم انطلق إلى بئر
الملك فعمل فيها ، فأخذ الناس ذلك القسم ، حتّى بلغوا الزبير وطلحة
وعبد الله بن عمر فأمسكوا أيديهم ، وامتنعوا عن القبول وقالوا : هذا
منكم ، أو من صاحبكم ؟

فقالوا : هذا أمره ، لا نعمل إلّا بأمره .

قالوا : استأذنوا لنا عليه .

قالوا : ما عليه آذن ، هو في بئر الملك يعمل .

ركبوا دوابهم حتى جاؤوا إليه ، فوجدوه في الشمس ومعه أجير له ،
فقالوا : إنَّ الشمس حارّة ، فارتفع معنا إلى الظل .

فارتفع معهم إلى الظل ، فقالوا له : لنا قرابة من نبي الله ، وسابقة
جهاد ، وإنّك أعطيتنا بالسوية ، ولم يكن عمر ولا عثمان يعطوننا بالسوية ،
كانوا يفضلوننا على غيرنا .

فقال عليه السلام : فهذا قسم أبي بكر ، وإلاّ تدعوا أبا بكر وغيره ،
وهذا كتاب الله فانظروا ما لكم من حق فخذوه .

قالوا : فسابقتنا .

قال : أنتما أسبق مني ؟

قالوا : لا ، فقرابتنا من النبي .

قال : أقرب من قرابتي ؟

قالوا : لا ، فجهادنا .

قال : أعظم من جهادي ؟

قالوا : لا .

قال : فوالله ما أنا في هذا المال وأجيرني إلّا منزلة سواء .

وفي اليوم الثاني جاء طلحة ، والزبير ، وجلسا في ناحية المسجد ،
وجاء مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ،
وجلسوا عندهما ، وكان هؤلاء قد امتنعوا عن أخذ قسمتهم من بيت المال
وجعلوا يطعنون في أمير المؤمنين عليه السلام والتفت عبّار بن ياسر إلى
أصحابه وهم جلوس عنده في ناحية أخرى من المسجد ، فقال : هلموا إلى
هؤلاء نفر من إخوانكم ، فإنّه قد بلغنا عنهم ، ورأينا ما نكره من الخلاف

والطعن لإمامهم ، وقد دخل أهل الجفاء بينهم وبين الزبير والأعر العاق . يعني طلحة .

قام عمار ومن معه حتى جلسوا عندهم فتكلم أبو الهيثم وقال : إن لكم قدماً في الإسلام ، وسابقة ، وقرابة من أمير المؤمنين ، وقد بلغنا عنكم طعن وسخط لأمير المؤمنين ، فإن يكن أمر لكما خاصة ، فعاتبنا ابن عمّتكما ، وإمامكما ، وإن تكن النصيحة للمسلمين ، فلا تؤخره عنه ، ونحن عون لكما ، فقد علمنا أن بني أمية لن تنصحبكما أبداً ، وقد عرفتمنا عداوتهم لكما ، وقد شركتكم في دم عثمان ، وملائمتكم .

فسكت الزبير ، وصاح طلحة - بصوت عالٍ - : افزعوا جميعاً مما تقولون ، فإنّي قد عرفت أن في كل واحد منكم خطبه .

فتدخل عمار وأبدى النصيحة ، وتقدّم ابن الزبير وتكلم بكلام خشن ، فأمر عمار بإخراج ابن الزبير من المسجد ، فقام الزبير منزعجاً من هذا العمل ، وخرج من المسجد .

فقال عمار : ولو لم يبق أحد إلا خالف علي بن أبي طالب لما خالفته ، ولا زالت يدي مع يده ، وذلك أن علياً لم يزل مع الحق منذ بعث الله نبيّه محمد صلى الله عليه وآله وسلّم ، فإنّي أشهد أن لا ينبغي لأحد أن يفضل عليه أحد .

فقام عمار وجماعته وجاؤوا إلى أمير المؤمنين ، وأخبروه بانشقاق القوم وأنهم كرهوا الأسوة والقسمة بالسوية ، إلى آخر كلامهم .

فخرج الإمام من داره ودخل المسجد وصعد المنبر وقال بعد الحمد والثناء على الله : يا معشر المهاجرين والأنصار : أتمنون على الله ورسوله بإسلامكم ؟ بل الله يمين عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ؛ أنا

أبو الحسن - وكان يقولها إذا غضب - ألا إن هذه الدنيا التي تتمنونها ، وترغبون فيها ، وأصبحت تغضبكم وترضیکم ليست بدارکم ولا منزلکم الذي خلقتم له ، فلا تغرنکم . وأما هذا الفیء (المال) فليس لأحدٍ أثره ، فقد فرغ الله من قسمته ، وهو مال الله ، وأنتم عباد الله المسلمون ، وهذا كتاب الله ، به أقررنا وله أسلمنا ، وعهد نبینا بین أظهرنا ، فمن لم یرض فلیتول كيف شاء ، فإن العامل بطاعة الله الحاکم بحکم الله لا وحشة علیه .

ثم نزل الإمام عن المنبر وصلى ركعتين ، ثم بعث بعثاً بن یاسر إلى طلحة والزبير وهما في ناحية المسجد ، فدعاهما ، فجاء طلحة والزبير وجلسا عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال الإمام : نشدتكما الله ، هل جثتاني طائعين للبيعة ودعوتاني إليها وأنا كاره لها ؟

فقال الرجلان : نعم .

فقال الإمام : غير مجبورين ولا معسورين ، فأسلمتما لي بيعتكما ، وأعطيتماي عهدكما ؟

فقال الرجلان : نعم .

فقال الإمام : فما دعاكما إلى ما أرى ؟

فقال الرجلان : أعطيناك بيعتنا على أن لا تقضي في الأمور ، ولا تقطعها دوننا ، وأن تستشيرنا في كل أمر ، ولا تستبد بذلك علينا ، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت ، فأنت تقسم القسم وتقطع الأمور وتقضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا .

فقال الإمام - غاضباً - : لقد نقمتما يسيراً ، وأرجأتما كثيراً ، فاستغفرا الله یغفر لكما ، ألا تخبراني ، أدفعتكما عن حق واجب لكما فظلمتكما إياه ؟

فقال الرجلان : معاذ الله .

فقال الإمام : فهل استأثرتُ من هذا المال بشيء ؟

فقال الرجلان : معاذ الله .

فقال الإمام : أفوق حكم أو حُدُّ من المسلمين فجھلته أو ضعفت

فيه ؟

فقال الرجلان : معاذ الله .

فقال الإمام : فما الذي كرهتما من أمري حتَّى رأيتما خلافي ؟

فقال الرجلان : خلافتك عمر بن الخطَّاب في القسم ، إنَّك جعلتَ

حقَّنا في القسم كحقِّ غيرنا ، وسَوَّيتَ بيننا وبين مَنْ لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى بأسيافنا ورماحنا ، وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا ، وظهرت عليه دعوتنا ، وأخذنا قسراً وقهراً مَنْ لا يرى الإسلام إلَّا كرهاً .

فقال الإمام عليه السلام : أمَّا ما ذكرتماه من الاستشارة بكما ، فوالله

ما كانت لي في الولاية رغبة ، ولكنكم دعوتوني إليها وجعلتموني عليها ، فخفضت أن أردَّكم فتختلف الأُمة ، فلمَّا أفضت إليَّ نظرتُ في كتاب الله وسنة رسوله فامضيت ما دلاني عليه واتبعته ، ولم أحتج إلى رأيكما فيه ولا رأي غيركما ، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنة برهانه واحتيج إلى المشاورة لشاورتكما فيه .

وأما القسم والأسوة : فإنَّ ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء ، وقد

وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يحكم بذلك ، وكتاب الله ناطق به ، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وأما قولكما : « جعلتَ فيثنا وأسيافنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا »

فقد يما سبق إلى الإسلام قوم ، ونصروه بسيفهم ورماحهم ، فلا فضَّلهم رسول الله بالقسم ، ولا أثر بالسبق ، والله سبحانه موفِّي السابق والمجاهد

يوم القيامة بأعمالهم ، وليس لكما ، والله ، عندي ولا لغيركما إلا هذا .

أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر ، رحم الله امرئ رأى حقاً ، فأعان عليه ، ورأى جوراً فردّه ، وكان عوناً للحق على من خالفه .

قام طلحة والزبير وانصرفا من عند أمير المؤمنين عليه السلام وهما مغضببان ساخطان ، وقد عرفا ما كان غلب في ظنهما من رأيه ، وبعد يومين جاء واستأذنا عليه فأذن لهما .

فقالا : يا أمير المؤمنين ، قد عرفت حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدة ، وقد جئناك لتدفع إلينا شيئاً تصلح به أحوالنا ، ونقضي به حقوقاً علينا .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : قد عرفتما مالي بـ « ينبع » فإن شئتما كتبت لكما منه ما تيسر .

فقالا : لا حاجة لنا في مالك بـ « ينبع » .

فقال أمير المؤمنين : ما أصنع ؟

فقالا : أعطنا من بيت المال شيئاً لنا فيه كفاية .

فقال أمير المؤمنين : سبحان الله ، وأي يد لي في بيت مال المسلمين وأنا خازنهم وأمين لهم ؟ ! فإن شئتما رقيتما المنبر وسألتما ذلك من الناس ما شئتما ، فإن أذنوا فيه فعلت ، وأنّي لي بذلك وهو لكافة المسلمين شاهدهم وغائبهم ؟ ! ولكني أبده لكما عذراً .

فقالا : ما كنا بالذي نكلّف ذلك ، ولو كلفناك لما أجابك المسلمون .

فقال أمير المؤمنين : فما أصنع ؟

فقالا : سمعنا ما عندك .

ثم خرجا من دار أمير المؤمنين ، وقد يشا من بيت المال ، فجعلوا يفكران في كيفية الخروج إلى مكة ، والإلتحاق بعائشة ، إلى أن صار رأيهما على هذا ، وجاءا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقت خلوته وقالاً : قد جئناك نستأذنك للخروج في العمرة ، لآنا بعيدا العهد بها ، فأذن لنا فيها .

فنظر الإمام في وجهيهما ، وقرأ الغدر من فلتات لسانها ودوران عيونها ، وقد احمر وجهه وبان الغضب فيه فقال :

والله ، ما تريدان العمرة ، ولكنكما تريدان الغدرة ، وإنما تريدان البصرة .

فقال الرجلان : اللهم غفراً ، ما نريد إلا العمرة .

فقال الإمام : احلفا لي بالله العظيم أنكما لا تفسدان عليّ أمر المسلمين ، ولا تنكثان لي ببيعة ولا تسعيان في فتنة .

فحلفا بالآيمان المؤكدة فيما استحلفهما عليه من ذلك .

فخرج الرجلان من عنده ، فلقيهما ابن عباس سائلاً : أذن لكما الإمام ؟ فقالا : نعم .

ودخل ابن عباس على الإمام فابتدأه الإمام عليه السلام قائلاً : يا ابن عباس ، أعندك الخبر ؟ إنها استأذنا في العمرة ، فأذنت لهما بعد أن أوثقت منهما بالآيمان أن لا يغدرا ، ولا ينكثا لي ببيعة ، ولا يحدثا فساداً ، ولا يسعيان في فتنة ، فحلفا بالآيمان . وبعد هنيئة قال :

والله يابن عباس ، إنّي لأعلم أنها ما قصدا إلا الفتنة ، فكأنّي بهما وقد صارا إلى مكة ليسعيا إلى حربي ، وإنّ يعلى بن مُنية الخائن الفاجر قد

حمل أموال العراق وفارس لينفقها في ذلك ، وسيفسد هذان الرجلان عليّ أمري ، ويسفكا دماء شيعتي وأنصاري .

فقال ابن عباس : إذا كان ذلك عندك يا أمير المؤمنين معلوماً ، فلم أذنت لهما ؟ هلا حبستهما ، وأوثقتهما بالحديد وكفيت المؤمنين شرهما ؟

فقال الإمام متعجباً : يا ابن عباس ، أتأمرني بالظلم ابتداءً ؟ وبالسّيئة قبل الحسنة ؟ وأعاقب على الظنة والتهمة ؟ وأخذ بالفعل قبل كونه ؟ كلا والله ، لا عدلت عما أخذ الله عليّ من الحكم والعدل .

يا ابن عباس ، أني أذنت لهما وأعرف ما يكون منهما ، ولكني استظهرت بالله عليهما ، والله لأقتلنهما ولأخين ظنهما ، ولا يلقيان من الأمر مناهما ، وإن الله يأخذهما بظلمهما لي ؛ ونكثهما بيعتي ، وبغيهما عليّ .

خرج الرجلان من المدينة متوجهين إلى مكة ، فوجدا بني أمية قد أحاطوا بعائشة ، ولحق بها جماعة من منافقي قريش ، ولحق بها عبد الله بن عمر بن الخطاب وأخوه عبيد الله ، ومروان بن الحكم ، وأولاد عثمان ، وعبيدة وخاصته من بني أمية ، وجعلوا عائشة ملجأ لهم فيما ذبروه من كيد للإمام عليه السلام ، وصار كل من يبغض علياً ، أو يكرهه ، أو يحسده ، أو يخاف منه استيفاء الحقوق منه ، يلتحق بهذه الجماعة .

وعائشة تنعى عثمان وتبرأ من قاتله ، وتحرض الناس على عداوة الإمام ، وتظهر بأن علياً قتل عثمان ظلماً .

وكانت عائشة لما وصلت إلى مكة ، وأذت مناسك الحج ، بلغها خبر قتل عثمان فاستبشرت وقالت للناعي : قتله أعماله ، إنه أحرقت كتاب الله ، وأمات سنة رسول الله فقتله ، ومن بايع الناس ؟

فقال الناعي : لم أبرح من المدينة حتى أخذ طلحة ناعجاً لعثمان ،

وعمل مفاتيح لأبواب بيت المال ، ولا شك أن الناس بايعوه .

فقالت عائشة وهي فرحة : بُعداً لنعثل وسحقاً ! إيه ذا الأصبع ! إيه أبا شبل ! إيه ابن عم ! لله أبوك يا طلحة ، أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً ، لكأني أنظر إلى أصبعه وهو يبايع احتووها لأبل دغدغوها ! وجدوك لها محسناً ، ولها كافياً ، شدوا رحلي فقد قضيت عمركي ، لأتوجه إلى منزلي .

سارت عائشة حتى إذا وصلت إلى موضع يقال له (شرقاء) لقيها رجل يقال له : عبيد بن أم كلاب ، فسألته عائشة : ما الخبر ؟ فقال الرجل : قتل عثمان .

فقالت عائشة : قتل نعثل ! أخبرني عن قصته وكيف كان أمره ؟

فقال الرجل : لما أحاط الناس بالدار ، رأيت طلحة قد غلب على الأمر ، واتخذ مفاتيح على بيوت الأموال والخزائن ، وتبياً ليبايع له ، فلما قتل عثمان مال الناس إلى علي بن أبي طالب ، ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره ، وخرجوا في طلب علي ، يقدمهم الأشتر ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر ، حتى إذا أتوا علياً وهو في بيت سكن فيه قالوا له : بايعنا على الطاعة لك . وكان علي يتفكر ساعة ، فقال الأشتر : يا علي ، إن الناس لا يعدلون بك غيرك فبايع قبل أن يختلف الناس . وكان في الجماعة طلحة والزبير ، فظننت أن سيكون بين طلحة والزبير وعلي بن أبي طالب كلام قبل ذلك ، فقام طلحة والزبير فبايعا ، وأنا أرى أيديهما على يد علي يصفقانهما بيعته ، ثم صعد علي بن أبي طالب المنبر ، فتكلم بكلام لا أحفظه إلا أن الناس بايعوه يومئذ على المنبر من الغد ، فلما كان اليوم الثالث خرجت ولا أعلم .

فقالت عائشة : لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تم هذا ، أنظر ماذا تقول ؟ !

فقال الرجل : هو ما قلت لك يا أم المؤمنين .

فقالت عائشة : إنا لله ، أكره والله هذا الرجل ، وغضب علي بن أبي طالب أمرهم ، وقتل خليفة الله مظلوماً ، ردّوا بغالي ، ردّوا بغالي .

فقال الرجل : ما شأنك يا أم المؤمنين ؟ والله ، ما أعرف بين لابتيتها أحداً أولى بها من علي ، ولا أحق ، ولا أرى له نظيراً فلماذا تكرهينه ؟ فسكتت عائشة ولم ترد جواباً ، وعزمت على الرجوع إلى مكة .

وفي طريقها رآها قيس بن حازم فقالت عائشة تخاطب نفسها : قتلوا ابن عفان مظلوماً .

فقال قيس : يا أم المؤمنين ، ألم أسمعك آنفاً تقولين : أبعد الله ؛ وقد رأيتك قبل أشد الناس عليه ، وأقبحهم فيه قولاً ؟ !

فقالت عائشة : لقد كان ذلك ، ولكن نظرت في أمره فرأيتهم استأبوه حتى إذا تركوه كالفضّة البيضاء أتوه صائهاً محرماً في شهر حرام فقتلوه .

فقال عبيد بن أم كلاب :

فمنك البداء ومنك الغير	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام	وقلت لنا : إنه قد كفر
فهبنا أطعناك في قتله	وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا	ولم تنكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تُدرٍ	يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أوزارها	وما من وقى مثل من قد عثر

وصلت عائشة إلى مكة ، وجاءها رجل يقال له : يعلى بن منية ،

وكان من بني أمية وشيعة عثمان ، وقال لها : قد قتل خليفتك الذي كنت تحرضين على قتله .

فقالت عائشة : برئت إلى الله ممن قتله .

فقال الرجل : الآن أظهرني البراءة ثانياً من قاتله .

فخرجت إلى المسجد ، فجعلت تتبرأ ممن قتل عثمان ، وهنا وصل خبر عائشة إلى طلحة والزبير وهما في المدينة ، فكتبوا إليها كتاباً مع ابن أختها عبد الله بن الزبير ، وكان مضمون الكتاب « خذلي الناس عن بيعة عليّ ، وأظهري الطلب بدم عثمان » .

فرأت عائشة ذلك الكتاب ، وكشفت عما في ضميرها ، وجعلت تطلب بدم عثمان ، وجاءت ووقفت عند الحجر الأسود وقالت : أيها الناس : إن الغوغاء « السفلة » من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة ، اجتمعوا على هذا الرجل فقتلوه ظلماً بالأمس ، ونقموا عليه استعمال الأحداث ، وقد استعمل أمثالهم من قبله ، ومواضع الحمى حماها لهم ، فتابعهم ونزل عنها ، فلما لم يجدوا حجةً ولا عذراً بادروا بالعدوان ، فسفكوا الدم الحرام ، واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ، وأخذوا المال الحرام .

والله ، لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم .

والله ، لو أن الذي اعتدوا عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه ، والثوب من درنه ، إذ ماصّوه كما يماص الثوب بالماء .

فتقدّم عبد الله بن عامر الحضرمي - وكان عامل عثمان على مكة - وقال : أنا أول طالب بدمه . فكان أول مجيب ، فتبعه بنو أمية ، وكانوا قد هربوا من المدينة بعد مقتل عثمان إلى مكة فرفعوا رؤوسهم ، فكان أول ما تكلموا في الحجاز .

ولما وصل طلحة والزبير إلى مكة أرسل عبد الله بن الزبير إلى عائشة يطلبان منها الخروج إلى البصرة للطلب بدم عثمان .

امتنعت عائشة من الإجابة في بادئ الأمر وفكرت أن تذهب إلى أم سلمة ، وكانت في مكة ، بعنوان استشارتها ، ولكنها محاولة منها في إقناعها بالخروج معها والاشتراك معها في محاربة الإمام ، كما أقنعت حفصة بالخروج معها غير أن أخاها عبد الله بن عمر منعها ، لكنها ذهبت إلى أم سلمة تستشيرها في الخروج ، ولما دخلت على أم سلمة نعت إليها عثمان وأنه قُتل مظلوماً .

صرخت أم سلمة صرخة وهي متعجبة من كلام عائشة ، وقالت : يا عائشة ، بالأمس كنت تشهدين عليه بالكفر وهو اليوم أمير المؤمنين وقتل مظلوماً ؟ !

ثم إن عائشة ذكرت لأم سلمة عزمها على الخروج إلى البصرة للطلب بدم عثمان ، وطلبت منها أن ترافقها وتشاركها في تلك النهضة .

فجعلت أم سلمة تعاتب عائشة على تحريض الناس بقتل عثمان ثم الطلب بدمه ، مع العلم أن عثمان من بني عبد مناف ، وعائشة امرأة من تيم بن مرة ، وليس بينهما قرابة .

ثم ذكرت أم سلمة شيئاً من فضائل علي عليه السلام وأنه لا ينبغي لأحد أن يحارب علياً ووعظتها ، وذكرتها بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فضل علي عليه السلام .

وذكرتها بحديث النبي يوم قال : أيتكن صاحبة الجمل الأدب تنبها كلاب الحوآب^(١) ؟

(١) الحوآب منطقة في الطريق ، فيها بساتين ونهر يسمى بالحوآب ، وهو على مسير يومين أو ثلاث عن البصرة .

فذكرت عائشة كل ذلك وقنعت بكلام أم سلمة ، غير أن التأثير كان مؤقتاً ، ثم عزمت على السفر إلى البصرة .

أما يعلى بن منية فقد اشترى أربعمئة بعير ونادى : أيها الناس ، من خرج للطلب بدم عثمان فعليّ جهازه .

ووصل الخبر إلى أم سلمة فقالت لعائشة : لقد وعظمتك فلم تتعظي . . . ثم حذرتها من تلك الفكرة ، وذكرت لها بأنها تهتك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنها زوجته وعرضه . . . إلى آخر الكلام .

خرجت عائشة بالجيش نحو البصرة ، وفي أثناء الطريق وصلوا إلى ماء الحوآب فنبحت الكلاب ، وقال قائل : ما أكثر كلاب الحوآب ، وما أشد نباها !

فأمسكت عائشة زمام بعيرها وصرخت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إني لهي ؟ ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وعنده نساؤه - يقول : ليت شعري ، أيتكن صاحبة الجمل الأدب ، تخرج فتنبحها كلاب الحوآب ، يقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثيرة ، تنجو بعدما كادت تقتل ؟ ؟ . . . ردوني ، ردوني .

فأقبل جماعة وشهدوا وحلفوا أن هذا ليس بماء الحوآب فسارت عائشة لوجهها نحو البصرة .

وصل الخبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأمر المنادي فنادى : الصلاة جامعة . فاجتمع الناس في المسجد (مسجد رسول الله) في المدينة وصعد الإمام عليه السلام المنبر ، وخطب فيهم خطبة ذكر فيها الخلافة

وأطوارها وأدوارها ، . . . إلى أن قال :

وباعني هذان الرجلان - طلحة والزبير - في أول من بايع ، وتعلمون ذلك ، وقد نكثا غدراً ، ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم .

اللهم فخذهما بما عملا أخذة واحدة رابية ، ولا تنعش لهما ضرعة ، ولا تقلهما عثرة ، ولا تمهلها فواقاً ، فإنها يطلبان حقاً تركاه ودماً سفكاه .

اللهم إني أقتضيك وعدك ، فإنك قلت : - وقولك الحق - : ﴿ ثم بُعِيَ عليه لينصرنه الله ﴾^(١) .

اللهم انجز لي موعدي ، ولا تكلني إلى نفسي ، إنك على كل شيء قدير .

ثم استشار الإمام أصحابه ، فقال عمار بن ياسر : الرأي عندي أن تسير إلى الكوفة ، فإن أهلها شيعة ، وقد انطلق هؤلاء القوم إلى البصرة .

وأشار عليه ابن عباس أن يأمر أم سلمة لتخرج معه تقوية لجانبه ، فقال الإمام : أما أم سلمة فإني لا أرى إخراجها من بيتها كما رأى الرجلان إخراج عائشة .

وأشار عليه جماعة أن يعتزل الفتنة ويذهب إلى ماله بـ (ينبع) فلم يقبل منهم ، وأخيراً نادى الإمام : تجهزوا للمسير ، فإن طلحة والزبير نكثا البيعة ونقضوا العهد ، وأخرجوا عائشة من بيتها يريدان البصرة لإثارة الفتنة ، وسفك دماء أهل القبلة .

ورفع يديه للدعاء قائلاً : اللهم هذين الرجلين قد بغيا عليّ ، ونكثا

(١) سورة الحج : آية ٦٠ .

عهدي ، ونقضا عقدي ، وشتاني بغير حق سومهما ذلك ، اللهم فخذهما
بظلمهما واظفري بهما ، وانصري عليهما .

وجعل الإمام عليه السلام تمام بن العباس والياً على المدينة ، وخرج
بمن معه إلى الرّيدة ، وإذا بطلحة والزبير قد ارتحلوا منها ، فأرسل الإمام
محمد بن أبي بكر ومحمد بن الحنفية إلى الكوفة ليستنفرا أهل الكوفة .

وكان والي الكوفة - يومذاك - أبا موسى الأشعري ، وكان عثمان
الهُوي ، منحرفاً عن الإمام عليه السلام ، وقد كتبت عائشة إليه كتاباً تأمره
أن يخذل الناس عن نصره الإمام ، وقام بتلبية طلبها ، فخطب فيهم
وأمرهم أن يجتنبوا الفتنة ويتعدوا عن سفك دماء المسلمين ، فلم يستطع
محمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر مقاومة الأشعري ، فرجعا إلى الإمام .

وكان الإمام قد كتب - قبل ذلك - كتاباً إلى الأشعري يأمره أن يخرج
بالناس لمؤازرة الإمام ، ولكن الأشعري استمر على رأيه وامتنع عن
البيعة ، وأظهر العداء الكامن في صدره .

فأخبروا الإمام بذلك ، فكتب الإمام كتاباً إلى الأشعري فيه خبر
عزله من الحكم والتهديد إن لم يعتزل ، وكتباً أخرى إلى أهل الكوفة
يذكر لهم فيه عما جرى على عثمان . ثم يذكر بيعة الناس له ، ومن جملتهم
طلحة والزبير ، ثم نكثهما البيعة وخروجهما ضده .

وقبل وصول هذين الكتابين كان الإمام الحسن عليه السلام وعمّار بن
ياسر وزيد بن صوحان وقيس بن سعد جاؤوا إلى الكوفة وخطبوا في الناس
الخطب المفصلة المطوّلة ، يحثون الناس على نصره الإمام ، فكان الأشعري
يقوم ويخطب وينقض كلامهم ، ويخذل الناس ، ويأمرهم باعتزال الفتنة ،
وعدم الخوض في المعركة .

وانقضت أيام وأيام والأمر هكذا في الكوفة ، والإمام ينتظر المدد وهو في أرض يقال لها « ذيقار » واليوم تسمى « المقبرة » وهي قرية من الناصرية في طريق البصرة .

وأخيراً خرج البطل الضرغام مالك الأشر وأقبل إلى الكوفة ودخلها وهجم على دار الإمارة ، واستولى عليها ، وأخرج غلمان الأشعري منها ، وكانت الحرب الباردة قائمة في المسجد بين الأشعري وبين أصحاب الإمام ، وإذا بغلمان الأشعري دخلوا المسجد ، وهم ينادون : يا أبا موسى ، هذا الأشر .

ودخل أصحاب الأشر وصاحوا : اخرج من المسجد ، يا ويلك ، أخرج الله روحك ، إنك والله من المنافقين .

خرج أبو موسى معزولاً خائباً مخذولاً ، وأراد الناس أن ينهبوا أمواله فمنعهم الأشر .

وأقبل الأشر فصعد المنبر وقال : . . . وقد جاءكم الله بأعظم الناس مكاناً ، وأعظمهم في الإسلام سهماً ، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأفقه الناس في الدين ، وأقرأهم لكتاب الله ، وأشجعهم عند اللقاء يوم البأس ، وقد استنفركم ، فما تنتظرون ؟ أسعيدياً ؟ أم الوليد الذي شرب الخمر وصلى بكم على سكر واستباح ما حرّمه الله فيكم ؟ أي هذين الرجلين تريدون ؟ قبح الله من له هذا الرأي ، فانفروا مع الحسن ابن بنت نبيكم ، ولا يختلف رجل له قوة ، فوالله ما يدري رجل منكم ما يضره ، وما ينفعه ، وإني لكم ناصح شفيق عليكم إن كنتم تعقلون ، أو تبصرون ، أصبحوا إن شاء الله غداً غادين مستعدين ، وهذا وجهي إلى ما هناك بالوفاء .

ثم قام ابن عباس وعزل الأشعري عن الولاية وخلعه عنها ، وجعل

مكانه قرصة بن كعب ، فلم يبرحوا من الكوفة حتى سَـيَـرُوا سبعة آلاف رجل والتحقوا بالإمام في ذي قار ، والتحق به قبل ذلك ألفان من قبيلة طي ، وخرج الإمام نحو البصرة .

وكانت عائشة وطلحة والزبير ومن معهم قد وصلوا إلى البصرة قبل ذلك ، وتعجَّب الناس من قدومهم إلى البصرة للطلب بدم عثمان المقتول بالمدينة .

وسمع عثمان بن حنيف (والي البصرة) بوصول القوم ، فأرسل إليهم أبا الأسود الدؤلي وعمر بن حصين للتحقيق ، فدخلوا على عائشة وقالوا لها : يا أُمّ المؤمنين ، ما حملك على المسير ؟ ما الذي أقدمك هذا البلد وأنتِ حبيسة رسول الله ، وقد أمرك الله أن تقرِّي في بيتكِ ؟

فجرى كلام وجدال طويل بين عائشة والرجلين ، وكلَّما خَوَّفَها من إراقة دمائ المسلمين وإفساد الأمر قابلتهم بكلِّ صلابة وحدة .

ودخلا على طلحة فلم يسمعا منه إلَّا الكلام القبيح والطرْد ، ثمَّ السَّبُّ لأمير المؤمنين عليه السلام ، استعدَّت عائشة للحرب ، وخرجت بمن معها إلى محلَّة في البصرة يقال لها (المريد) وخطبت في أهل البصرة خطبةً ، فنعت عثمان وتأسَّفت على قتله ، ثمَّ ذكرت علياً وبيعته وأفرطت في كلامها ، ثمَّ طلبت من أهل البصرة نقض خلافة الإمام .

فصدَّقها ناس وكذبها آخرون ، واضطرب الناس بأقوالهم ، واشتغلوا بالسبِّ والشتم واللعن .

وتوجَّهت عائشة إلى دار الإمارة ومن معها وطلبوا من عثمان بن حنيف أن يسلم إليهم دار الإمارة ، فأبى عليهم ، واشتعلت نار الحرب حتَّى الظهر ، وقتل في تلك الواقعة خمسمائة شيخ من بني عبد القيس من شيعة عليٍّ وأنصار عثمان بن حنيف ، سوى الجرحى ، واستمرَّت الحرب في

البصرة وكثر القتل والجرحى .

وتدخل بعض الناس وقَرروا الهدنة ، فتمّ القرار على أن تكون دار الإمارة والمسجد وبيوت الأموال تحت اختيار الوالي عثمان بن حنيف ، وتكون البصرة تحت حيازة طلحة والزبير وعائشة ، وكتبوا على هذه المصالحة كتاباً ، وشهد الناس على ذلك .

ولما أمن الناس واطمأنوا وألقوا سلاحهم أقبل طلحة والزبير وأصحابهم حتى أتوا دار الإمارة على حين غفلة ، وكان خمسون رجلاً يحرسون بيوت الأموال وهم من شيعة الإمام ، أحاط الزبير بهؤلاء وقتل منهم أربعون رجلاً صبراً ، ثم هجموا على عثمان بن حنيف فأوثقوه رباطاً ، وعمدوا إلى لحيته فنتفوها حتى لم يبق منها شعرة واحدة ، ونتفوا شعر حاجبه وأشفار عينيه ، وأوثقوه بالحديد .

وأصبح الصباح فجاء طلحة والزبير إلى المسجد الأعظم لأداء صلاة الصبح جماعة ، فأراد طلحة أن يتقدّم ويصلي بالناس ، فدفعه الزبير ، وأراد الزبير أن يصلي بالناس فمنعه طلحة ، استمرّ النزاع والتدافع بين الإمامين حتى كادت الشمس أن تطلع !! فصاح الناس : الله ، الله ، يا أصحاب رسول الله في الصلاة نخاف فوتها ! فأمرت عائشة أن يصلي مروان بالناس ، وأخيراً تقدّم عبد الله بن الزبير وصلي بالناس .

انتشر خبر قتل الحرس وإلقاء القبض على عثمان بن حنيف ، فأقبل حُكَيْم بن جَبَلَة إلى عشيرته فحثّهم على النهوض ، وجاء طلحة والزبير وشبّت نار الحرب مرّة ثانية ، وقتل حُكَيْم بن جَبَلَة وأخوه وعدد من الناس ، واستولى طلحة والزبير على بيوت الأموال ، ونصبوا أقبالاً على أبوابها ، فأمرت عائشة بختم بيت المال ، وختم كل من طلحة والزبير بختم على بيوت الأموال .

انقضت أيام وعائشة وطلحة والزبير يخطبون في الناس ويهيجونهم ويحذرونهم من الإمام عليه السلام وقد كان ينتهي كلامهم إلى ذم الإمام وسبّه ، وأرسلت عائشة كتباً ورسائل إلى البلاد والأمصار ، كتبت فيها ما أرادت .

وصل أخيراً الإمام بجيشه الحرّار إلى البصرة فيهم ثمانون بدرياً ، ومائتان وخمسون مَن بايع تحت الشجرة . وبلغه الخبر عن المجزرة الرهيبة التي أقامها هؤلاء ، فأرسل الإمام صعصعة بن صوحان للتفاهم أو لإتمام الحجّة على عائشة والرجلين ، فالتقى بهم صعصعة فلم يسمع منهم إلّا التهديد والخشونة في الكلام ، وأرسل الإمام عليه السلام عبد الله بن العباس وأمره أن يلتقي بطلحة والزبير ، فلم تنجح مذاكراته معها .

كان وصول الجيش العلوي إلى البصرة على أحسن هيئة وأجمل نظام ، وفيهم المشايخ من أهل بدر والمهاجرين والأنصار ، وقوّاد الجيش ومعهم الألوية والرايات ، والمواكب تترى بعضها خلف بعض ، وفي الأخير وصل موكب الإمام ، وهو موكب عظيم وفيه خلق كثير عليهم السلاح والحديد ، ومعهم الإمام وعليه الوقار والسكينة ، ينظر إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء ، والجنود خلفه كأنّ على رؤوسهم الطير ، والإمام الحسن عن يمينه ، والإمام الحسين عن شماله ، وابنه محمّد بن الحنفية بين يديه ومعهم الراية .

أمر الإمام عليه السّلام ابن عبّاس أن يرجع إلى عائشة ثانياً ويذكر لها خروجها من بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويخوفها من الخلاف على الله ، والتبرّج الذي نهاها الله عنه .

دخل ابن عبّاس على عائشة وأدّى رسالته ، وذكر لها فضل علي وسابقته ، ولكنها لم ترتدع ولم تقنع .

ورجع ابن عباس إلى الزبير فوجده وحده ، فجعل يلين له في الكلام ويخوّفه عواقب أعماله ، ويلومه على إسرعه في الخلاف ، فجاء ابنه عبد الله ، وكان شاباً شرساً قليل الحياء متهوراً ، وقابل ابن عباس بكلّ صلافة . .

وكانت المباحثات بلا جدوى ولا فائدة ، واستعدّ الفريقان للحرب . كان كعب بن سور سيد الأزد قد امتنع عن الخوض في المعركة ، فجاء طلحة والزبير إلى عائشة وطلبا منها أن تتوجه بنفسها إلى كعب وتطلب منه المؤازرة والتعاون معها ، فأرسلت عائشة إليه تطلب منه الحضور ، فلم يجيبها كعب ، فركبت بغلاً وأحاط بها نفر من أهل البصرة وسارت إليه بنفسها ، وسألته عن سبب امتناعه ، فقال : يا أمّاه ، لا حاجة لي في خوض هذه الفتنة .

فاستعبرت عائشة باكية وطلبت منه أن ينصرها ، ففرّق لها كعب وأجابها وعلّق المصحف في عنقه وخرج معها .

اشتركت العشائر والقبائل من المدينة إلى الكوفة إلى طي إلى أهل البصرة في نصره الإمام عليه السلام .

وكان خطباء الفريقين يخطبون في قومهم ويحرّضونهم على الحرب .

ساحة القتال :

كانت ساحة القتال في الخريبة ، وهي اليوم بين الزبير والبصرة يقال لها (الخِر) وهناك قبر طلحة - وهي مدينة الزبير حالياً معروفة - اصطف الفريقان للقتال ، وكتب كل منهما الكتاب .

وخرج عليّ عليه السلام وعليه عمامة سوداء وقميص ورداء ، وهو راكب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهباء .

وجاءت عائشة وهي في هودج على بعير، وعن يمينها وشمالها طلحة والزبير وابنه عبد الله ، وخلفها الجماهير الذين رافقوها من مكة وانضموا إليها في البصرة .

وكان النشاط في أصحاب الإمام أكثر ، وكانوا يريدون الهجوم على العدو ، لكن الإمام يمنهم ويقول لهم : لا تعجلوا على القوم حتى أعذر فيما بيني وبين الله وبينهم . فقام إليهم وقال :

يا أهل البصرة ، هل تجدون عليّ جوراً في حكم ؟
قالوا : لا .

قال : فحيفا في قسم ؟
قالوا : لا .

قال : فرغبة في دنياً أصبتها لي ولأهل بيتي دونكم ، فنقمتم عليّ فنكثتم بيعتي ؟

قالوا : لا .

قال : فأقمت فيكم الحدود وعطلتها عن غيركم ؟
قالوا : لا .

قال : فمال بيعتي تنكث وبيعة غيري لا تنكث ؟ إنّي ضربت الأمر أنفه وعينه فلم أجد إلّا الكفر أو السيف .

ثمّ التفت إلى أصحابه وقال : إنّ الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١) .

ثمّ قال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة واصطفى محمداً للنبوّة إنهم لأصحاب هذه الآية ، وما قوتلوا منذ نزلت .

(١) سورة التوبة : آية ١٢ .

ثم التفت إلى ابن عباس وقال له : امض بهذا المصحف إلى طلحة والزبير وعائشة وادعهم إلى ما فيه .

جاء ابن عباس فبدأ بالزبير وقال له : إن أمير المؤمنين يقول : ألم تابعني طائعاً ؟ فبم تستحل دمي ؟ وهذا المصحف وما فيه بيني وبينك فلإن شئت تحاكمنا إليه .

فقال الزبير : ارجع إلى صاحبك ، فإننا بايعنا كارهين ، ومالي حاجة في محاكمته .

انصرف ابن عباس إلى طلحة ، فوجد فيه الاستعداد للشر والحرب ، فقال له : والله ، ما أنصفتكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ حبستم نساءكم وأخرجتم حبيسته .

ونادى طلحة : ناجزوا القوم ، فإنكم لا تقومون لحجاج ابن أبي طالب .

ورجع ابن عباس وأخبر الإمام بالنتيجة السلبية ، وقال له : ما تنتظر ؟ والله لا يعطيك القوم إلا السيف ، فاحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك .

فقال الإمام : نستظهر بالله عليهم . وهناك خرج أمير المؤمنين عليه السلام بين الصفيين وكان حاسراً ونادى بأعلى صوته : أين الزبير ؟ فليخرج .

ثم نادى ثانية ، وكان طلحة والزبير واقفين أمام صفيهما ، فخرج الزبير ، وخرج الإمام إليه ، فصاح به أصحابه : يا أمير المؤمنين ، أخرج إلى الزبير الناكث بيعته وأنت حاسر وهو على فرس شاكي السلاح ، مدجج في الحديد وأنت بلا سلاح ؟ !

فقال الإمام : ليس عليّ منه بأس ، إن عليّ منه جنة واقية ، ولن

يستطيع أحد فراراً من أجله ، وإنِّي لا أموت ، ولا أقتل إلا بيد أشقاها ،
كما عقر الناقة أشقى ثمود .

فخرج إليه الزبير ، فقال عليه السلام : أين طلحة ؟ ليخرج .
فخرج ، وقربا من الإمام ، حتى اختلفت أعناق دابتيهما .

فقال الإمام للزبير : ما حملك على ما صنعت ؟

فقال الزبير : الطلب بدم عثمان .

فقال الإمام : أنت وأصحابك قتلتموه ، فيجب عليك أن تقيد من
نفسك ، ولكن أنشدك الله الذي لا إله إلا هو ، الذي أنزل الفرقان على
نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أما تذكر يوماً قال لك رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يا زبير ، أتحب علياً ؟ فقلت : وما يمنعني عن حبه وهو
ابن خالي ؟ ! فقال لك : أما أنت فستخرج عليه يوماً وأنت له ظالم ؟

فقال له الزبير : اللهم بلى ، قد كان ذلك .

فقال الإمام : فأنشدك الله الذي أنزل الفرقان على نبيه صلى الله
عليه وآله وسلم أما تذكر يوماً جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
عند ابن عوف ، وأنت معه ، وهو أخذ بيدك ، فاستقبلته أنا فسلمت عليه
فضحك في وجهي ، فضحكت أنا إليه ، فقلت أنت : لا يدع ابن أبي
طالب زهوه أبداً . فقال لك النبي صلى الله عليه وآله وسلم : مهلاً يا
زبير ، فليس به زهوه ، ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له ؟

فقال الزبير : اللهم بلى ، ولكن نسيت ، فأما إذا ذكرتني ذلك
فلأنصرفن عنك ، ولو ذكرت هذا لما خرجت عليك .

ثم التفت إليهما معاً وقال : نشدتكما الله ، أتعلمان وأولوا العلم من
أصحاب محمد وعائشة بنت أبي بكر أن أصحاب الجمل ، وأهل النهروان
ملعونون على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد خاب من افترى ؟

فقال الزبير : كيف نكون ملعونين ونحن من أهل الجنة ؟ !

فقال الإمام : لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحللت قتالكم .

فقال الزبير : أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم أحد : أوجبت طلحة الجنة ؟

ومن أراد أن ينظر إلى الشهيد يمشي على الأرض حياً فلينظر إلى طلحة ؟

أوما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : عشرة من قريش في الجنة ؟

فقال الإمام : فسَمُّهم . فجعل الزبير يعد فعُدَّ تسعة منهم ، وفيهم أبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

فقال الإمام : عددت تسعة فمن العاشر ؟

فقال الزبير : أنت .

فقال الإمام : أما أنت فقد أقررت أنني من أهل الجنة ، وأما ما ادَّعيت لنفسك وأصحابك فإني به لمن الجاحدين ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد عهد النبي الأُمِّي لي أن بعض مَنْ سَمِّيت في تابوت في جَبِّ في أسفل درك من جهنم .

وفي نسخة : وإنَّ في جهنم جُبًّا ، فيه ستَّة من الأولين وستَّة من الآخرين ، على رأس ذلك الجب صخرة ، إذا أراد الله تعالى أن يسعِّر جهنم على أهلها أمر بتلك الصخرة فرفعت ، وإنَّ في ذلك الجب مَنْ سَمِّيت .

ثم قال الإمام عليه السلام : دع هذا ، أفلست بايعتني طائعا ؟ فقال الزبير : بلى .

فقال الإمام : أفوجدت منيَ حدثاً يوجب مفارقتي ؟
فسكت الزبير ، ثم قال : لا جرم والله لا قاتلتك .
ثم التفت عليه السلام إلى طلحة وقال : يا طلحة : معكما نساؤكما ؟
فقال طلحة : لا .

فقال الإمام : عمدتما إلى امرأة موضعها في كتاب الله تعالى القعود في بيتها ، فأبرزتماها وصتما حلالكما في الخيام والحجال ؟ ! ما أنصفتما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد أمر الله أن لا يكلمن إلا من وراء حجاب .

وأردف عليه السلام قائلاً : أخبرني عن صلاة ابن الزبير بكما ، أما يرضى أحدكما بصاحبه ؟ أخبرني عن دعائكما الأعراب إلى قتالي ؟ ما يحملكما على ذلك ؟

قال طلحة : يا هذا ، كنا في الشورى ستة ، مات منا واحد ، وقتل آخر ، فنحن اليوم أربعة ، كلنا لك كاره .

فقال الإمام : ليس ذلك عليّ ، قد كنا في الشورى والأمر في يد غيرنا ، وهو اليوم في يدي ، أرأيت لو أردت بعد ما بايعت عثمان أن أردّ هذا الأمر شورى أكان ذلك لي ؟

فقال طلحة : لا .

فقال الإمام : ولم ؟

فقال طلحة : لأنك بايعت عثمان طائعاً .

فقال الإمام : كيف ذلك والأنصار معهم السيوف مخترطة ، يقولون : لئن زغتم وبايعتم واحداً منكم ، وإلاّ ضربنا أعناقكم أجمعين ؟ فهل قال لك ولأصحابك أحد شيئاً من هذا وقت ما بايعتاني ؟ وحبّتي في الاستكراه في البيعة أوضح من حبّتك وقد بايعتني أنت وأصحابك طائعين

غير مكرهين ، وكتما أول من فعل ذلك ولم يقل أحد : لتبايعان أو لنقتلكما .

ثم انصرف الرجلان إلى صفهما ، فأراد الزبير الخروج من الحرب والانصراف إلى البصرة ، فقال له طلحة : مالك يا زبير ؟ مالك تنصرف عنا ؟ سحرك ابن أبي طالب ؟ فقال الزبير : لا ، ولكن ذكّرني ما كان أنسانيه الدهر ، واحتجّ على بيعتي له .

فقال طلحة : لا ، ولكن جئت وانتفخ سحرك .

فقال الزبير : لم أجبن ، ولكن أذكر فذكرت .

فقالت عائشة : ما وراءك يا أبا عبد الله ؟

فقال الزبير : الله ورائي ، إني ما وقفت موقفاً في شرك ولا إسلام إلا ولي فيه بصيرة ، وأنا اليوم على شك من أمري ، وما أكاد أبصر موضع قدمي .

فقالت عائشة : لا والله ، بل خفت سيوف ابن أبي طالب ، أما إنها طوال حداد ، تحملها سواعد أمجاد ، ولئن خفتها فلقد خافها الرجال من قبلك .

فقال ابنه عبد الله : جبناً جبناً .

فقال الزبير : يا بني ، قد علم الناس أنني لست بجبان ، ولكن ذكّرني عليّ شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحلقت أن لا أقاتله .

فقال عبد الله بن الزبير : يا أبة ، أجنث بهذين العسكرين العظيمين حتى إذا اصطفا للحرب قلت اتركهما وانصرف ! فما تقول قريش غداً بالمدينة ؟ ! الله الله يا أبة ، لا تشمت بنا الأعداء ، ولا تشن نفسك بالهزيمة قبل القتال .

فقال الزبير : ما أصنع يا بني وقد حلفتُ أن لا أقاتله ؟

فقال ابنه : كُفِّر عن يمينك ، ولا تفسد أمرنا .

فقال الزبير : عبدي مكحول حرٌ لوجه الله ، كفارةٌ ليميني .

ثم عاد معهم للقتال ، فعند ذلك أخذ الإمام عليه السلام المصحف بيده وطلب مَنْ يقرأ عليهم هذه الآية : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (١) .

فقام غلام حدث السن من مجاشع ، يقال له (مسلم) عليه قباء أبيض ، فقال له : آنا آخذه يا أمير المؤمنين .

فقال له : يا فتى ، إن يدك اليمنى تُقطع ، فتأخذه بيدك اليسرى فتقطع اليسرى ، ثم تضرب عليه بالسيف حتى تقتل .

فقال الفتى : لأصبر على ذلك .

فنادى الإمام ثانيةً ، فقام الفتى ثانيةً ، فأعاد عليه مقالته ، فقال الفتى لأُعليك ، فهذا قليل في ذات الله ، فأخذ المصحف ووقف أمام الصفوف ، وقال : هذا كتاب الله ، وأمير المؤمنين يدعوكم إلى ما فيه .

فأمرت عائشة بإعدامه ، فقطعوا يديه ، ثم أحاطوا به وطعنوه بالرماح من كل جانب .

وكانت أمه واقفة تنظر فصاحت فطرحت نفسها على ولدها .

كان الإمام عليه السلام ينتظر وقت الظهر لتتزل الملائكة ، وكان يقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم ، فإنكم بحمد الله على حجة ،

(١) سورة الحجرات : آية ٩ .

وكفكم عنهم حجة أخرى، فإذا قاتلتهم فلا تجهزوا على جريح، فإذا هزمتهم فلا تتبعوا مدبراً، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتكم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سترأ، ولا تدخلوا داراً، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً، ولا تبيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف القوى والأنفس والعقول... إلى آخر الوصايا.

كانت سهام القوم ترى على الإمام وأصحابه كالطر، فصاح الناس: حتى متى يا أمير المؤمنين ندلي نحورنا للقوم يقتلون رجلاً رجلاً، والله قد أعذرت إن كنت تريد الإعذار.

هناك دعا الإمام ابنه محمد بن الحنفية فأعطاه الراية، وهي راية سوداء كبيرة، وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: يا بني، هذه راية ما ردت قط ولا ترد قط.

ثم لبس الإمام درع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحزم بطنه بعصابة أسفل من سترته، ثم قال لولده محمد بن الحنفية: يا أبا القاسم، قد حملت الراية وأنا أصغر منك فما استفزني عدوي، وذلك أني لم أبارز أحداً إلا حدثني نفسي بقتله، فحدث نفسك - بعون الله تعالى - بظهورك عليهم. وأعطاه تعاليم حربية.

وزحف أصحاب الجمل نحو معسكر الإمام، فصاح الإمام بابنه محمد: امض. فمضى، وتبعه أصحابه واشتعلت الحرب، ودار القتال.

وأقبل الإمام يهرول وييده السيف يصعد وينزل فتطير الرؤوس وتطيح الأيدي ولا يتلطح السيف بالدم لسرعة اليد وسبق السيف الدم، وزحف الجيش خلفه.

وحمل عمار بن ياسر على الميسرة، ومالك الأشتر على الميمنة، وحلوا

حملة رجل واحد ، ونادى الإمام : عليكم بالسيوف . فجعلوا يضربون
بالسيوف على الرؤوس .

ثم نادى المنادي : عليكم بالأقدام ، وكان للفريقين أراجيز كثيرة ،
مذكورة في كتب التاريخ .

وقُتِلَ طلحة في ذلك اليوم ولم يُعرف قاتله ، قيل : إن مروان بن
الحكم رماه بسهم فقتله يطلب بذلك ثار عثمان ، وهو يقول : أينما أصابت
فتح .

وكان أهل البصرة كل من أراد منهم القتال أخذ بخطام الجمل
ويرتجز ويقاقل حتى يقتل ، فخرج كعب بن سور فأخذ بخطام الجمل وهو
يرتجز ويقول :

يا معشر الأزد عليكم أممكم	فلإنها صلاتكم وصومكم
والنعمة العظمى التي تعمكم	فاحضروها جدكم وحزمكم
لا يغلبن سم العدو سمكم	إن العدو إن علاكم رمكم
وخصكم بجوره وعمكم	لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

فقاتل حتى قتل ، فخرج آخر فأخذ بخطام الجمل وارتجز :

يا أم يا أم خلا مني الوطن	لا أبتغي القبر ولا أبغي الكفن
من هيهنا معشر عوف بن قطن	إن فاتنا اليوم علي الغين
أو فاتنا ابناء حسين وحسن	إذن أمت بطول هم وحزن

واشتعلت نار الحرب ، واستعر القتال ، فاقتلوا قتالاً شديداً ،
فصاح الإمام عليه السلام : ما أراه يقاتكم غير هذا الهودج ، اعقروا
الجمل أو عرقبوه ، فإنه شيطان .

أو قال : اعقروه وإلا فنيت العرب لا يزال السيف قائماً وراكعاً ،

يحصد الرؤوس حتى يهوي هذا البعير إلى الأرض .

فضرب عجز الجمل فوق لحينه ، وضرب بجرائه الأرض ، وعجّ عجباً لم يسمع بأشد منه ، فما هو إلا أن صرّع حتى فرّ الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديد الهبوب ، وسقط الهودج .

فصاح الإمام اقطعوا البطان . فقطعه محمد بن أبي بكر أخو عائشة وكان من أصحاب الإمام وأخرج الهودج فقالت عائشة : مَنْ أنت ؟ فقال محمد : أبغضُ أهيكِ إليك .

فقالت عائشة : ابن الخثعمية^(١) ؟

فقال محمد : نعم ، ولم تكن دون أمهاتك .

فقالت عائشة : لعمري بل هي شريفة ، دع عنك هذا ، الحمد لله الذي سلّمك .

فقال محمد : قد كان ذلك ما تكرهين .

فقالت عائشة : يا أخي لو كرهته ما قلت الذي قلته .

فقال محمد : كنت تحيّن الظفر وأناي قتلت ؟

(١) كانت أسماء بنت عميس الخثعمي امرأة مؤمنة سالحة ، وكانت زوجة جعفر الطيّار عليه السلام ولما استشهد في معركة مؤتة ، تزوّجها أبي بكر وأولدت منه محمداً هذا ، ولما مات عنها أبو بكر تزوّجها أمير المؤمنين عليه السلام وكان محمد بن أبي بكر صغير السن ، فترّبى في كنف الإمام ، فكان ربيبه ومن أخلص أصحابه كان الإمام عليه السلام يقول : محمد ابني ولكنه من صلب أبي بكر ، وكان من أخلص أصحاب الإمام وأحبهم إليه ، وقد ولاه أخيراً إمارة مصر من قبله ، وبدسائس من معاوية وعمر بن العاص ، تمكنا من إثارة بعض الغوغائيين عليه فقتلوه ، وقيل قتل بالعسل المسموم وبعدها ، أدخل جسده في جوف حمار وأحرق ، وقبره لحد اليوم شاخص في مصر ومعلوم .

كما أن معاوية أرسل من يسم الوالي الجديد على مصر ، بالطريق بالعسل المسموم ، وهو الصحابي الجليل مالك الأشتر النخعي وعندما علم أمير المؤمنين عليه السلام رثاه وقال كلمته المشهورة ، كان مالكاً لي كما كنت لرسول الله .

فقالت عائشة : قد كنت أحب ذلك ، ولكنه لما صرنا إلى ما صرنا إليه أحببت سلامتك لقرايتي منك ، فأكفف ، ولا تعقب الأمور ، وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عذلة .

وجاء الإمام فقرع المودج برمحه وقال : يا حميراء ، بهذا أوصاك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ !

فقالت : يا ابن أبي طالب ، ملكت فاصفح وظفرت فاسجع .

فقال الإمام : والله ، ما أدري متى أشفي غيظي ؟ أحين أقدر على الانتقام يقال لي : لو عفوت ؟ ! أم حين أعجز من الانتقام فيقال لي : لو صبرت بلى أصبر فإن لكل شيء زكاة ، وزكاة القدرة والمكنة : العفو والصفح .

ثم التفت عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر وقال : شأنك بأختك ، فلا يدنو منها أحد سواك .

وأمر الإمام عليه السلام فاحتملت عائشة بهدوجها إلى دار عبد الله بن خلف في البصرة ، وأمر بالجمل أن يحرق ثم يذرى رماده في الريح ، وقال عليه السلام إشارة إلى الجمل : لعنه الله من دابة ، فما أشبهه بعجل بني إسرائيل .

ثم تلا : ﴿ وانظر إلى الهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفته في اليم نسفاً ﴾ (١) .

ركبت عائشة وهي تقول : فخرتم وغلبتم ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

ونادى الإمام : يا محمد بن أبي بكر ، سلها هل وصل إليها شيء من

(١) سورة طه : آية ٩٧ .

الرماح والسهم ؟ فسألها ، فقالت : نعم ، وصل إليَّ سهم ، خدش رأسي وسلمت من غيره ، الله بيني وبينكم .

فقال محمد : والله ليحكمنَّ عليك يوم القيامة ما كان بينك وبين أمير المؤمنين حين تخرجين عليه وتؤبئين الناس على قتاله وتنبذين كتاب الله وراء ظهرك .

فقالت عائشة : دعنا يا محمد وقل لصاحبك يحرسني .

فأمر الإمام أن يحملها أخوها إلى دار ابن خلف في البصرة ، فحملها وهي لا تفتر عن سب الإمام وسب أخيها محمد ، والترحم على أصحاب الجمل .

ومرَّ الإمام على القتل وجعل يخاطبهم ويعاتبهم ، وخاطب كعباً وطلحة ، فقبل له : أتكلّم هؤلاء بعد القتل ؟

فقال : والله ، لقد سمعنا كلامي كما سمع أهل القلب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يوم بدر .

ثم نادى منادي الإمام : مَنْ أحبَّ أن يوارى قتيله فليواره ، وأمر أصحابه وقال لهم : واروا قتلانا في ثيابهم التي قتلوا فيها ، فإنهم يُحشرون على الشهادة ، وإنّي لشاهدٌ لهم بالوفاء .

فجاء ابن عباس يطلب الأمان لروان بن الحكم ، فأمره الإمام بإحضاره ، فلما حضر قال له الإمام : أتبايع ؟ فقال : نعم وفي النفس ما فيها .

فقال الإمام : الله أعلم بما في القلوب . فلما بسط يده ليبايعه أخذ كفه من كف مروان وجذبها ، وقال :

لأ حاجة لي فيها ، إنّها كف يهودية ، لو بايعني بيده عشرين مرة لنكت بإسته .

ثم قال : هيه يا بن الحكم ، خفت على رأسك أن تقع في هذه المعمعة ؟ ! كلا والله ، حتى يخرج من صلبك فلان وفلان يسومون هذه الأمة خسفاً ويسقونهم كأساً مصبرة ومن المناسب هنا أن أنقل نص كلام ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٢ و ٢٣ ، قال :

وأما الحلم والصفح ، فكان أحلم الناس عن ذنب ، وأصفحهم عن مسيء ؛ وقد ظهر صحة ما قلناه يوم الجمل ؛ حيث ظفر بمروان بن الحكم - وكان أعدى الناس له ، وأشدهم بغضاً - فصفح عنه .

وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد ، وخطب يوم البصرة فقال : قد أتاك الوغد اللئيم علي بن أبي طالب - وكان علي عليه السلام يقول : ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى شب عبد الله - فظفر به يوم الجمل ، فأخذه أسيراً ، فصفح عنه ، وقال : اذهب فلا أرينك ؛ لم يزد على ذلك .

وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة ، وكان له عدواً ، فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً .

وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره ، فلما ظفر بها أكرمها ، وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عَمَمَهْنَ بالعمائم ، وقَلَدَهْنَ بالسيوف ، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يُذكر به ، وتأففت وقالت : هَتَكَ سِتْرِي برجاله وجنده الذين وكلهم بي ، فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمامتهن ، وقلن لها : إِنَّمَا نحن نسوة .

وحاربه أهل البصرة ، وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف ، وشموه ولعنوه ، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم ، ونادى مناديه في أقطار العسكر : أَلَا لَا يُتَّبَعُ مَوْلٌ ، وَلَا يُجْهَزُ عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا يُقْتَلُ مُسْتَأْسَرٌ ، وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ تَحَيَّزَ إِلَى عَسْكَرِ الْإِمَامِ فَهُوَ آمِنٌ . ولم

يأخذ أثقالهم ، ولا سبى ذرارئهم ، ولا غنم شيئاً من أموالهم ، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل ، ولكنه أبى إلا الصفح والعضو وتقيل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة ، فإنه عفا والأحقاد لم تبرد ، والإساءة لم تنس . انتهى .

أما الزبير فإنه خرج من المعركة ووصل إلى منطقة في ضواحي البصرة يقال لها « وادي السباع » فقتله ابن جرموز غيلة وأخذ رأسه وسيفه وخاتمه ، وجاء بها إلى معسكر الإمام ، فاستأذن ودخل وإذا به يرى القائد الأعلى للمسلمين جالساً ، بين يديه ترس عليه قرص من خبز الشعير ، فسلم عليه ، وهناه بالفتح عن الأحنف ، لأن الحرب قد وضعت أوزارها حينئذ ، وقال : أنا رسول الأحنف ، وقد قتلت الزبير ، وهذا رأسه وسيفه . فالتقاهما بين يديه .

فقال الإمام : كيف قتلته ؟ وما كان من أمره ؟ فحدثنا كيف كان صنعك به ؟

فقص عليه ما جرى فقال : ناولني سيفه . فناوله ، فاستله وهزه وقال : سيف أعرفه ، طالما جلا الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم التفت الإمام إلى ابن جرموز قائلاً : والله ، ما كان ابن صفية جباباً ولا لثيماً ، ولكن الجبن ومصارع السوء .

ثم تفرس في وجه الزبير وقال : ومنه قرابة ، ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد .

فقال ابن جرموز : الجائزة يا أمير المؤمنين .

فقال عليه السلام : أما إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلّم يقول : بشر قاتل ابن صفية بالنار .

وقبض أمير المؤمنين عليه السلام ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابة ومملوك ومتاع فقسّمه بين أصحابه .

فقال بعض أصحابه : أقسم بيننا أهل البصرة ، فاجعلهم رقيقاً .
فقال : لا .

فقالوا : كيف تحمل لنا دماءهم وتحرم علينا سبيهم ؟
فقال : كيف يحمل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة الإسلام ؟ وأما ما جلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم ، وأما ما وارت الدور وأغلقت عليه الأبواب فهو لأهله ، ولا نصيب لكم في شيء منه .
فلما أكثروا عليه القول قال : فاقرعوا على عائشة لأدفعها إلى من تصيبه القرعة .

فقالوا : نستغفر الله يا أمير المؤمنين . ثم انصرفوا .
فلما دخل عليه السلام بيت المال في نفر من المهاجرين والأنصار ، ونظر إلى كثرة ما فيه قال : غري غيري مراراً .
ثم نظر إلى المال وصعد وصوب بصره ، وقال : اقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة .

فقسّم بينهم ، فلا والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم بالحق نبياً ما نقص درهماً ولا زاد درهماً ، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره ، وكان مقدار المال ستة ملايين ، وعدد أصحابه اثنا عشر ألف رجل ، وأخذ هو خمسمائة درهم كواحد منهم .

فجاءه رجل لم يحضر الواقعة فقال : يا أمير المؤمنين ، كنت شاهداً بقلبي ، وإن غاب عنك جسمي ، فاعطني من الفيء شيئاً . فدفع إليه

الذي أخذه لنفسه ، ولم يصب من الفبيء شيئاً .

وفي رواية أخرى : جاء رجل فقال : إنَّ اسمي سقط من كتابك . فقال عليه السلام : ردّوها عليه . ثمَّ قال : الحمد لله الذي لم يصل إلَيَّ من هذا المال شيء .

ولما فرغ من تقسيم بيت المال قام خطيباً في أصحابه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

أيّها الناس ، إنّي أحمد الله على نعمة قتل طلحة والزبير ، وأيم الله لو كانت عائشة طلبت حقاً ، وهانت باطلاً ، لكان لها في بيتها مأوى ، وما فرض الله عليها الجهاد ، وإنَّ أوّل خطأها في نفسها ، وما كانت ، والله ، على القوم أشأم من ناقة الصخرة ، وما ازداد عدوكم إلّا حقداً ، وما زادهم الشيطان إلّا طغياناً ، ولقد جاؤوا مبطلين ، وأدبروا ظالمين ، إنَّ إخوانكم المؤمنين جاهدوا في سبيل الله وآمنوا يرجون مغفرة الله ، وإننا لعلّ الحقّ وإنهم لعلّ الباطل ، وبجمعنا الله وإياهم يوم الفصل ، واستغفر الله لي ولكم .

أرسل الإمام عليه السلام ابن عبّاس إلى عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل ، وقلة العرجة - الإقامة - فجاءها ابن عبّاس وهي في قصر بني خلف ، فطلب الإذن عليها فلم تأذن له ، فدخل عليها بغير إذنها ، فإذا بيت قفار لم يُعد فيه مجلس ، فإذا هي من وراء سترين ، نظر ابن عبّاس إلى ما في الحجرة ، فوقع بصره على طنفسة على رحل ، فمدّ الطنفسة وجلس عليها .

فصالت عائشة من وراء الستر : يا بن عبّاس ، أخطأت السنّة ، دخلت بيتنا بغير إذنتنا ، وجلست على متاعنا بغير إذنتنا .

فقال ابن عبّاس : نحن أولى بالسنّة منك ونحن علّمناك السنّة ،

وإنما بيتك الذي خلّفتك فيه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم فخرجت منه ظالمة لنفسك ، غاشّة لدينك ، عاتية على ربك ، عاصية لرسول الله ، فإذا رجعت إلى بيتك لم ندخله إلّا بإذنك ولم نجلس على متاعك إلّا بأمرك إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعث إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة وقلة العرجة .

فقالت عائشة : رحم الله أمير المؤمنين ، ذاك عمر بن الخطّاب .
فقال ابن عباس : هذا والله أمير المؤمنين ، وإنّ تربدت فيه وجوه ، ورغمت معاطس ، أما والله هو أمير المؤمنين ، وأمسّ برسول الله رحماً ، وأقرب قرابة ، وأقدم سبقاً وأكثر علماً ، وأعلى مناراً ، وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر .

فقالت عائشة : أبيت ذلك .

فقال ابن عباس : أما والله ، إن كان إباؤك - أي عدم قبولك - فيه لقصير المدة ، عظيم التبعة ، ظاهر الشؤم ، بين النكر ، وما كان إباؤك فيه إلّا حلب شاة حتّى صرت ما تأمرين ولا تنهين ولا ترفعين ولا تضعين ، وما كان مثلك إلّا كمثل ابن الحضرمي بن يجمان أخي بني أسد حيث يقول :

ما ذاك إهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الألقاب
حتّى تركتهم كأنّ قلوبهم في كل مجموعة طنين ذباب

سمعت عائشة فأراقت دمعها ، وبدا عويلها ، ثمّ قالت : اخرج والله عنكم ، فما في الأرض بلد أبغض إليّ من بلد تكونون فيه .

فقال ابن عباس : فلمّ؟ والله ماذا بلاؤنا عندك ، ولا يضعنا إليك ، إنّا جعلناك للمؤمنين أمّاً ، وأنت بنت أم رومان ، وجعلنا أباك صديقاً وهو ابن أبي قحافة حامل قصاع الودك - الخمر - لابن جذعان إلى أضيافه .

فقالت : يا ابن عباس تمنّون عليّ برسول الله ؟

فقال : وَلَمْ لَا نَمَنَّ عَلَيْكَ بَيْنَ لَوْ كَانَ مِنْكَ قَلَامَةٌ مِنْهُ مُنْتَسَا بِهِ ؟
ونحن لحمه ودمه ومنه ، وما أنت إلا حشيشة من حشايها تسع ، خلفهن
بعده ، لست بأبيضهن لوناً ، ولا بأحسنهن وجهاً ، ولا بأرشدهن عرقاً ،
ولا بأنضرن ورقاً ، ولا بأطهرهن أصلاً ، صرت تأمرين فتطاعين ،
وتدعين فتجابين ، وما مثلك إلا كما قال أخو بني فهر :

مننت على قومي فأبدوا عداوة فقلت لهم : كفوا العداوة والشكرا
ففيه رضا من مثلكم لصديقكم وأحجى بكم أن تجمعوا البغي والكفرا
ثم نهض ابن عباس وأق الإمام فأخبره بمقاتلتها ، وما ردَّ عليها ،
فقال عليه السلام : أما إني كنت أعلم بك حيث بعثتك .

استمرت الحرب من الزوال إلى الغروب ، وقيل استمرت ثلاثة
أيام ، وعلى كل حال فقد بلغ عدد القتلى خمسة وعشرين ألف قتيل : ستة
الآف من أصحاب الإمام ، والباقيون من أصحاب الجمل ، وأما الأيدي
والأرجل التي قطعت فقد بلغ عددها أربعة عشر ألفاً .

وهكذا روت الأرض بالدماء ، وهكذا زهقت الأرواح ، ولا تسأل
عن الجرحى ولا تسأل عن أرامل القتلى ويتألمهم .

كل هذا لمصلحة مَنْ ؟ هذا والكلام طويل ، وفي هذا المقدار
كفاية ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

نقلنا بعض وقائع هذه القصة من كتاب « علي من المهد إلى
اللحد » للسيد الخطيب القزويني مع الاختصار في العبارة ، أما المعنى
فواحد ، ومن كتاب نهج البلاغة ، ومن بحار الأنوار وموسوعة إحقاق
الحق ...

وروى هذه الواقعة معظم علماء القوم ومحدثيهم وحفاظهم ومؤرخيهم

بألفاظ مختلفة متقاربة ، مفصلة وموجزة في مسانيدهم وكتبهم التاريخية ،
فراجعها في مظانها .

وبلفظ آخر موجز ، أذكر ملخص معركة الجمل الصغرى والكبرى
اقتطفت بعض بنودها من كتاب « النص والاجتهاد » المورد ٨٥ من
ص ٢٩٨ - إلى ص ٣١٦ .

كانت عائشة من المؤيدين على قتل عثمان ، وربما كانت من أبرزهم ،
وهي أول من رفعت شعار الفتنة على قتله ، وذلك بعدما جاءته هي
وحفصة تطالبانه بإرثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعدما
ردّهما ذلك الرد القاطع بقوله : إذا كان أبواكما قد ورث فاطمة
عليها السلام فإنّي أورثكما ، وإنما افتريا على الرسول صلى الله عليه وآله
كذباً بقولهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنّنا معاشر
الأنبياء لا نورث وإنّ ما تركناه صدقة ، وحرّما فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ميراثها من أبيها ، وبعد خروجها من داره رفعت
عائشة علم الثورة على عثمان بقولها وقد أبرزت قميص رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم : « هذا قميص رسول الله لم يسلّ وعثمان أبلى سنّة
رسول الله وبدّل وغير ، اقتلوا نعثلاً فقد كفر » . شبّهته بأحد منافقي يهود
المدينة حينذاك ، وكان اسمه نعثل . كما أنّ عمرو بن العاص هيج الناس
من جانب آخر .

وبعد أن لقحت الفتنة وتيقّنها من إشعال نارها ، وأنّ عثمان حوصر
في داره بالمدينة خرجت وحفدتا إلى مكّة ، تنتظر النتيجة ، وبعد اشتداد
الفتنة ومقتل عثمان بسوء أعماله ، وانتخب الإمام أمير المؤمنين للخلافة
بصورة إجماعية ، بعد امتناعه الشديد وإصراره على عدم قبولها ، قائلاً لهم
أنا أحذكم أرضي ما ترضون به ، دعوني لكم وزير خير من أمير . وبعد

الضغط والإلحاح خاف من تفرق كلمتهم قبل البيعة له ، فكان أول من بايعه وأصفق على يده طلحة والزبير ، ثم انهالت الناس عليه بشكل لم يسبق له مثيل مبايعين طائعين غير مكرهين .

وعندما سمعت عائشة بمقتل عثمان ، قالت : لقد أراح الناس من شره . بعدها سألت : من انتخب من بعده ؟ فلما قيل لها : الإمام علي بن أبي طالب . صاحت من ساعتها بأعلى صوتها : ليت السماء انطبقت على الأرض ، قتل عثمان مظلوماً بعد أن استأبته . وجيشت الجيوش والناس على قتال الإمام أمير المؤمنين ، ورفعت هذه المرة شعار الشار بدم عثمان ، وحصل من أعانها على ذلك لبلوغ هدفها ، وبذل لها الخيل والسلاح والرجال ، وفي مقدمتهم بني أمية ، وعلى رأسهم مروان بن الحكم .

وبعد وصول طلحة والزبير إلى مكة والتحاقهما بالركب اشتد أزر المعارضة ، وأسرعوا في تسيير الجيوش إلى البصرة ، وكان في مقدمة قواده طلحة والزبير ، وتبعهم مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وغيرهم ، وكان ذلك في أواخر ربيع الأول من سنة ٣٦ هـ وفي العشرة الأخيرة بعد منتصف ربيع الثاني وصلت عائشة مع جيوشها البصرة .

وفي يوم ٢٥ ربيع الثاني هجم عسكر عائشة على والي البصرة من قبل أمير المؤمنين (عثمان بن حنيف) فجراً ، وكان يصلي بالناس صلاة الصبح في الجامع الأكبر ، فقتلوا من عارضهم من المصلين ، ثم أخذوه ومن كان من أعوانه ، وكبلوهم بالحديد ، وبعدها هجموا على دار الإمارة ، وقتلوا حراسه ، وكان عددهم سبعين حارساً بأمر من عائشة ، قتلوهم صبراً بيد الزبير وابنه المشؤوم عبد الله ، وأرادوا قتل الوالي عثمان بن حنيف غير أنه هدهم بأخيه سهل بن حنيف والي الإمام في المدينة حينذاك ، فتركوه بعد

أن تنفوا لحيته وشاربه وشعر رأسه وحتى أشفار عينيه وأوجعوه ضرباً .

وبعدها هجموا على بيوت أموال المسلمين بقيادة الزبير ، وكان على حراسته خمسين حارساً بعد أن قاوموا مقاومة شديدة وأبلوا بلاءً حسناً قتلوهم ، واستولوا على الأموال ، ونهبوا كل ما وجدوه .

ولما سمع حكيم بن جبلة ما صنع جيش عائشة بعثمان بن حنيف وقتل حرّاس دار الإمارة وحرّاس بيوت أموال المسلمين ونهب ثرواته ؛ خرج في ثلاثمائة رجل من عشيرته ، عبد قيس ، وكان سيدهم لمحاربة الغازين ، فخرجت عائشة راكبة على جملها (عسكر) ومعها جيشها الضال ، فحاربت القوم حرباً ضروساً ، وتجالدوا بالسيوف والرماح وأبلوا بلاءً حسناً ، حتى قتل حكيم بن جبلة ومَن معه من عشيرته من عبد قيس جميعهم ، وكانوا جميعاً مؤمنين صالحين رحمهم الله .

وكذلك حدث بعدها معارك أخرى بين بعض المؤمنين وبين جيش عائشة في موقعين أو ثلاث أو أكثر من ذلك ، حتى قتل أكثر من خمسمائة شخص من المؤمنين ، كما قتل من جيش عائشة بقدرهم أو ربما أكثر ، وكل هذه المعارك حدثت قبل وصول الإمام أمير المؤمنين وجيشه البصرة .

وهذه الحرب هي : (واقعة الجمل الصغرى) .

واقعة الجمل الكبرى

أما واقعة الجمل الكبرى فقد حدثت في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى من سنة ٣٦ هـ نفس السنة ، عندما وصل الإمام البصرة بجيوشه ، وحاول محاولات عديدة ، وبذل جهوداً جبّارة في إخماد نار الفتنة ، وحذّرهم وأنذرهم وألقى عليهم الحجج ، وكان آخر إنذار لهم أن أرسل المصحف الشريف على رأس شاب مؤمن من عسكره يدعوهم إلى

العمل بموجبه فكان جوابهم أن قطعوا يمينه وشماله وقتلوه أبشع قتلة ، وما اكتفوا بهذا حتى رشقوا جيش الإمام عليه السلام بالسهام والنبال ، وابتدأوا الحرب ، فاشتدّت ، فكانت حرباً ضروساً ، أكلت الرجال كما تأكل النار الهشيم .

وبعد أن نصر الله تعالى جنوده ، بقيادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وانكسار جيش أصحاب الجمل وهزيمتهم ، أحصى من قتل من جيش عائشة فكانوا حوالي الثلاثة عشر ألفاً أو يزيدون ، ومن بينهم طلحة .

أمّا الزبير فقد قتل بوادي السباع بعد أن ترك ساحة المعركة راجعاً إلى المدينة بعد تذكيره الإمام حديث الرسول ، وقد قتله ابن جرّموز غيلة وجاء برأسه وسيفه وخاتمه إلى الإمام فلمّا رآه وقصّ عليه كيفية قتله ، قال الإمام : سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : بشرّ قاتل ابن صفية بالنار .

وأما الذين استشهدوا من جيش الإمام عليه السّلام فكانوا حوالي ألف مؤمن شهيد ، أو يزيدون .

وفي بعض الروايات أن المقتولين في هذه المعركة بلغ خمسة وعشرون ألفاً عدا المجروحين والذين قطعت أيديهم وأرجلهم والتي بلغت أربعة عشر ألفاً ، منهم حوالي الثمانية عشر ألفاً أو يزيدون من أصحاب الجمل ، والباقي حوالي الستة آلاف أو يزيدون استشهدوا من جيش الإمام عليه السلام . فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

لمصلحة من قتل هذا العدد من المسلمين وأهريق دمائهم ويتمت أطفالهم ورملت نساؤهم وثكلت أمهاتهم وإخوانهم ؟
فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

معركة صفين

بعدما انتهت معركة الجمل في البصرة ووضعت الحرب أوزارها ،
رجع الإمام عليه السلام إلى الكوفة مظفراً منصوراً ، وجعل الكوفة مقراً
لحكمه وعاصمةً لإدارة شؤون المسلمين والدولة الإسلامية المترامية
الأطراف .

بعث أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية كتاباً بيد رجل من أصحابه
إلى الشام ، وبعد أن استلم معاوية الكتاب ، جمع بعض أصحابه وأطلعهم
على مضمون الكتاب وأمرهم بإشاعة هذا الخبر وإذاعته بين الناس ، أن
علياً قتل عثمان ، ومعاوية وليّ دمه ، فيجب الطلب بثأر عثمان ودمه .

وأعانه على هذه الفكرة ، عمرو بن العاص ، واشترط على معاوية
أنه إذا أعانه على حرب الإمام عليه السلام وأخرجوا مصر من تحت سلطة
أمير المؤمنين عليه السلام يكون عمرو بن العاص والياً وأميراً على مصر ، ولا
يدفع لمعاوية خراجها لمدة عشر سنين ، فقبل معاوية هذا الشرط ، فبايعه
على ذلك ، كما أن أهل الشام بايعوا معاوية على حرب أمير المؤمنين وخليفة
المسلمين .

فنهض معاوية بجيشه الجرار وأقبل إلى « صفين » وهي أرض واسعة

كبيرة ، مستعداً للقتال ، وأقبل الإمام بجيشه حتى عسكر في ذلك المكان .

وبعد أيام من وصوله عليه السلام استعرت نار الحرب فيما بين الفريقين ، وجرت أنهار من الدماء ، وتكوّنت أتلال من القتل من الفريقين ، فقد وصل أبو الأعور السلمي على مقدمة جيش معاوية إلى منطقة صفين ، الكائنة بالقرب من مدينة الرقة في سوريا ، ونزل منزلاً مستوياً واسعاً ، واستولوا على شريعة نهر الفرات .

وصل بعدها مالك الأشتر ومعه أربعة آلاف مقاتل ، وهم مقدمة الجيش العلوي ، فاصطدموا بجيش أبا الأعور السلمي وأزالوهم عن الفرات ، بعدها وصل معاوية مع جيشه الجرار ، فانسحب مالك الأشتر عنها ، فاستولى معاوية بجيشه على شاطئ نهر الفرات ، وصار الماء تحت سيطرتهم ، ولما وصل الإمام عليه السلام ومعه مائة ألف مقاتل أو يزيدون ، أمرهم الإمام أن ينزلوا ويضعوا أثقالهم ، وتسرع بعضهم إلى ناحية معاوية واقتتلوا قتالاً يسيراً ، وتقدّمت طائفة منهم إلى شاطئ الفرات ليستقوا فمنعهم جيش الشام .

أرسل الإمام عليه السلام صعصعة بن صوحان إلى معاوية يعاتبه على منعه الماء وجرى بينهم كلام طويل ، وقد سبق أن نصح عمرو بن العاص معاوية ، وأمره أن يفسح المجال لأصحاب الإمام كي يشربوا من الماء ، ولكن غرور معاوية ولؤمه منعه من قبول النصيحة .

قال معاوية لأهل الشام : هذا أول الظفر ، لا سقاني الله ولا أبا سفيان إن شربوا منه حتى يقتلوا بأجمعهم .

تباشر أهل الشام بالغلبة على عدوهم عن طريق حبس الماء عنهم ! فقام رجل همداني من جيش معاوية وقال : يا معاوية ، سبحانه الله سبقتم القوم إلى الفرات وتمنعونهم الماء ؟ أما والله لو سبقكم عليه علي لسقاكم

منه ، أليس أعظم ما تتألون من القوم أن تمنعوهم الفرات ؟ ! أما تعلمون
أنّ فيهم العبد والأمة والأجير والضعيف ومن لا ذنب له ؟ ! هذا والله أول
الجبور .

فاغلق له معاوية في الكلام ، وقال لعمر : اكفني صديقك ، فاتاه
عمر وقابله بالكلام الحسن ، فسار الهمداني في سواد الليل حتى لحق
بجيش الإمام عليه السلام .

ومكث أصحاب الإمام عليه السلام يوماً وليلة بغير ماء ، واغتم
الإمام عليه السلام من عطش أصحابه ، وقال عمرو بن العاص لمعاوية :
إنّ علياً لا يموت عطشاً ، ومعه تسعون ألفاً من أهل العراق أو يزيدون ،
وسيوفهم على عواتقهم ، دعهم يشربون وتشرب .

فقال : معاوية : لا والله ، أو يموتوا عطشاً كما مات عثمان .

خرج الإمام تلك الليلة يدور في عسكره ، فسمع قائلاً يقول :

أيمنعنا القوم ماء الفرات وفينا عليّ وفينا الهدى
وفينا الصلاة وفينا الصيام وفينا المناجون تحت الدجى
ثم مرّ بآخر ، فسمعه يقول :

أيمنعنا القوم ماء الفرات ؟ وفينا الرماح وفينا الحجف
وفينا عليّ له صولة . . . إذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن عداه لقينا الزبير . . . وطلحة خضنا غمار التلف
فما الناس أمس أسد العرين وما بالناس اليوم شاة عجف

« وألقي على الأشعث بن قيس ، وكان حينذاك في جيش الإمام
عليه السلام ، رقعة فيها شعر ، فلمّا قرأها هاجت فيه الحميّة ، فأخذها
ودخل على الإمام عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أيمنعنا القوم ماء

الفرات وأنت فينا والسيوف بأيدينا ؟ ! خلّ عنا وعن القوم ، فوالله لا نرجع حتى نرده أو نموت .

فقال الإمام عليه السلام : ذلك إليكم .

فرجع الأشعث فنأدى في الناس : مَنْ يريد الماء أو الموت ، فميعاده موضع كذا ، فإنّي ناهض .

فخرج اثنا عشر ألف رجل من قبيلة كِنْدَةَ وغيرهم ، واضعبي سيوفهم على عواتقهم ، وأقبل مالك الأشتر بخيله ، فحملوا على الفرات حملة رجل واحد ، وأخذت السيوف أهل الشام مأخذاً عظيماً ، فولّوا الدبر ، حتى غمست خيل الإمام سنابكها في الفرات واستولوا على الشريعة وأزالوا أبا الأعور السلمي عنها ، وقتل مَنْ قُتل منهم ، وغرق من غرق منهم ، ومن خيولهم ، وصارت الشريعة بأيدي جيش الإمام عليه السلام .

قالوا : لا والله لا نسقيهم . فأرسل إليهم الإمام عليه السلام أن خذوا حاجتكم من الماء ، وخلّوا بينهم وبين الماء ، فإن الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم .

فقال بعضهم للإمام عليه السلام . امنعهم الماء كما منعوك .

فقال عليه السلام : لا ، خلّوا بينهم وبينه ، لا أفعل ما فعله الجاهلون .

هذا الفرق بين العدل والجور ، وبين الحق والباطل .

واستأذن معاوية وروده المشرعة ، فأباح الإمام له ذلك ، وكان جلّ همّه المحافظة على السلام والأمان بقدر الإمكان ، كما فعل بأصحاب الجمل في البصرة .

أرسل الإمام عليه السلام الأشخاص إلى معاوية للتفاهم معه وحسم

النزاع ، وعدم إراقة وسفك الدماء ، وإلقاء الحجّة عليه ، ولكن معاوية كان مصراً على الحرب والقتال .

وأخيراً اصطدم العسكران واشتعلت نار الحرب ، فزحف بعضهم على بعض ، وتراموا بالنبال والحجارة حتّى فנית ، ثمّ تطاعنوا بالرماح حتّى تكسّرت ، ومشى بعضهم إلى بعض بالسيوف وعمد الحديد ، فلم يُسمع إلّا وقع الحديد ، وانكسفت الشمس وأمطرت السماء دماً وحملت الأفواج على الأفواج .

واستمر القتال متواصلاً ستّة وثلاثين ساعة ، واقترب جيش الإمام من مقر قيادة الجيش الأموي ، وطلب معاوية فرساً لينهزم ، وكان أهل الشام ينادون : يا معشر العرب ، الله الله في الحرمات من النساء والبنات ! الله الله في البقيّة ! لقد فנית العرب !

اقترب الجيش العلوي من الفتح ، ولاح لهم الظفر والنصر وتوجّه الخطر إلى معاوية ، ولم يستطع المقاومة إلّا عن طريق الخدعة والمكر والحيلة ، وبعد مشاورة عمرو بن العاص أمر معاوية أصحابه في جوف الليل أن يربطوا المصاحف على رؤوس الرماح ، وأصبح الصباح وإذا بأهل الشام رافعين خمسمائة مصحف على رؤوس رماحهم ، وينادون بما تقدّم من كلامهم ، ويستعطفون أهل العراق ، ويطلبون منهم ترك الحرب ، وكان آخر كلامهم : هذا كتاب الله بيننا وبينكم .

فقال الإمام عليه السلام : اللهم إنك تعلم أنّهم ما الكتاب يريدون .

وقال : كلمة حق يراد بها باطل .

ومن هذا المنطلق وهذه المكيّدة ، اختلف أصحاب الإمام عليه السلام فطائفة منهم قالت : القتال حتّى النصر .

وطائفة منهم قالت : المحاكمة إلى الكتاب ، ولا يحل لنا أن نقاتلهم
وقد دعينا إلى حكم الله في الكتاب .

فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها ، وكان عدي بن حاتم
الطائي يرى أن الفتح والنصر قد اقترب ، ويطلب من الإمام الاستمرار في
الحرب ، وقام عمر بن الحمق الخزاعي وطلب من الإمام أن يعمل بما
يرى ، فقام الأشعث بن قيس وقابل هؤلاء بالكلام الحسن ، وطلب كَفَّ
القتال ، عليه لعنة الله وهذا أول تمرد وخيانة فقال الإمام عليه السلام : إِنِّي
أحقُّ مَنْ أجاب إلى كتاب الله ، ولكن معاوية ، وعمر بن العاص ، وابن
أبي سرح ، وابن أبي معيط ، وابن مسلمة ، ليسوا بأصحاب دين ولا
قرآن ، وإِنِّي أعرف بهم منكم ، صحبتهم صفاراً ورجالاً ، فكانوا شرَّ
صفار وشر رجال ، ويحكم أنها كلمة حق يراد بها الباطل ، إنهم ما رفعوها
ليعرفونها ويعملون بها ، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة ، أعيروني
سواعدكم وجاهكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ، ولم يبق إلَّا أن
يقطع دابر الذين ظلموا .

استمرت الحرب من يوم شروعها إلى صبيحة ليلة الهريرمائة وعشرة
أيام ، وبلغ عدد القتلى من أهل الشام تسعين ألفاً ، ومن أهل العراق
عشرين ألفاً ، فكان مجموع القتلى مائة وعشرة آلاف قتيل ، كما ذكر
المسعودي ، إِنَّا لله وَإِنَّا إليه راجعون ، لمصلحة مَنْ سفكت هذه الدماء ؟ !

جاء إلى الإمام من أصحابه زهاء عشرين ألفاً ، بتحريضٍ من
الأشعث بن قيس رأس الفساد ، وأول من جراً القوم على التمرد
والعصيان ، مقتعين في الحديد ، حاملي سيوفهم على عواتقهم ، وقد
اسودّت جباههم من كثرة السجود - وهم الذين صاروا بعد ذلك خوارج -
فنادوا الإمام باسمه لا بإمرة المؤمنين ، وقالوا : يا علي ، أجب القوم إلى

كتاب الله إذ دعيت إليه ، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان ، فوالله لنفعلنها إن لم نجيبهم .

فقال الإمام عليه السلام : ويحكم أنا أول من دعا إلى كتاب الله ، وأول من أجاب . . . ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم ، وأنهم ليس العمل بالقرآن يريدون .

وكان مالك الأشتر في تلك الساعة يُقاتل ويتقدّم لحظة بعد لحظة ، وجيش معاوية ينسحب وينهزم وينقرض ساعة بعد ساعة ، ولو أمهلوا الأشتر ساعة واحدة لانتهت الحرب ، بانهزام جيش معاوية .

فصاح هؤلاء : يا أمير المؤمنين ، إبعث إلى الأشتر ليأتيك .

فبعث الإمام رجلاً إلى الأشتر أن اثني .

فقال الأشتر : ليس هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلي فيها عن موقعي ، إنّي رجوت الفتح فلا تعجلني .

رجع الرسول فأخبر الإمام ، وحمل الأشتر على أهل الشام وظهرت علامات الفتح ، ولكن القوم قالوا : يا أمير المؤمنين ، ما نراك إلا أمرته بالقتال .

فقال الإمام : أرايتموني شاورت رسولي إليه ؟ أليس إنّا كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون ؟

فقالوا : ابعث إليه ، وإلا فوالله اعتزلناك .

فذهب الرسول مرّة ثانية إلى الأشتر وأخبر بتمرد القوم واختلافهم ، وما كان الأشتر يحبّ مغادرة جبهة القتال في تلك الساعة الحرجة ، فقال له الرسول : أتحب أنّا ظفرت ههنا ، وإمامك بمكانه الذي هو فيه يفرج عنه ويُسلم إلى عدوّه ؟ !

فقال الأشر : سبحان الله ! لا والله ، لا أحب ذلك .

فقال الرسول : فإنهم حلفوا عليه لترسلن إلى الأشر فليأتيك ، أو لنقتلنك بأسيفنا كما قتلنا عثمان ، أو لنسلمنك إلى عدوك .

أقبل الأشر مغضباً وصاح بالقوم : يا أهل الذل والوهن ، . أحين علوتم القوم وضنوا أنكم قاهروهم رفعوا المصاحف يدعوكم إلى ما فيها . . . فلا تجيبوهم ، أمهلوني فإنني قد أحسست بالفتح . قالوا : لا نهلك ، .

وجرى كلام طويل بينهما حتى آل الأمر إلى السب ، والشتم ، والصياح ، فصاح الإمام بهم : كفوا . فصاح القوم أن أمير المؤمنين قد رضي المحاكمة بحكم القرآن !

كان الإمام ساكناً لا يتكلم طيلة هذه الفترة ، ولما سكتوا ، قال : أيها الناس ، إن أمري لم يزل معكم على ما أحب إلى أن أخذت منكم الحرب . . . ألا إني أمس أمير المؤمنين ، فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت ناهياً فأصبحت منبياً ، وقد أحببت البقاء ، وليس لي أن أحلکم على ما تكرهون .

اضطربت أقوال الرجال ، وقام الرؤساء وتكلموا بما تكلموا من الموافقة على رأي الإمام ورفض المحاكمة ، ولكن المهرجين نشروا هذه الكلمة : إن أمير المؤمنين رضي التحكيم .

ودخل الأشعث بن قيس ، واستأذن من الإمام أن يكون رسولاً إلى معاوية من قبله ، فأذن له .

فجاء الأشعث ودخل على معاوية وقال : لأي شيء رفعتم هذه المصاحف ؟ قال معاوية : لنرجع إلى ما أمر الله به فيها ، فابعثوا رجلاً

منكم ترضون به ، ونبعث رجلاً منا ، ونأخذ عليهما أن يعملما بما في كتاب الله ولا يعدوانه ، ثم نتبع ما اتفقنا عليه .

فرجع الأشعث ، فأقبل جماعة من أصحاب الإمام ، وجماعة من أصحاب معاوية ، واجتمعوا بين الصّفين ، وتذاكروا حول انتخاب الحكم ، فانتخب أهل الشام عمرو بن العاص ، وانتخب الأشعث ونظراؤه أبا موسى الأشعري ، فرفض الإمام أبا موسى ولم يرض به ، لأنّه كان عثمانى الهوى ، وهو الذي خذّل أصحاب الإمام من الخروج لحرب عائشة في حرب الجمل بالبصرة ، وكان والياً للإمام على الكوفة ، وذلك على أثر رسالة أرسلتها عائشة إليه ، تأمره بخذلان الناس عن نصرة الإمام ، حتى جاء مالك الأشتر وعزله عن إمرة الكوفة ، وطرده شرّاً طردة ، فذهب إلى الشام واحتفى بمعاوية .

وبعد رفض الإمام أبا موسى ، قام الأشعث بن قيس وجماعته ، وقالوا : لا ترضى إلّا به . فلم يوافق الإمام وانتخب ابن عبّاس ليكون حكماً من قبيله ، فلم يرض الأشعث ، بحجّة أنّ ابن عبّاس من أقاربه ، فاختر الإمام مالك الأشتر فلم يرضوا به .

جادل الأشعث الإمام بكل وقاحة وصلافة ، وردّ عليه جميع مقترحاته وبقي مصرّاً على انتخابه الأشعري ، فقال الإمام : فاصنعوا ما شئتم . وكان يصفق بيديه ويقول : يا عجباً أعصى ويطاع معاوية ؟ !

أرسلوا إلى أبي موسى الأشعري ، وكان بالشام ، فجاء إلى معسكر الإمام ، فجاء الأشتر ورشح نفسه ليكون هو الحكم ، وجاء الأحنف بن قيس وحذّر الإمام من الأشعري وعجزه وضعف نفسه ، ورشح نفسه للحكم ، فوافق الإمام على ذلك ، ولكن الناس اتّبعوا رأي الأشعث وقالوا : لا يكون إلّا أبا موسى الأشعري .

وكتبوا كتاب المودعة وهذه صورته : هذا ما تقاضى عليه ، عليّ أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان . . . فلما قرأ معاوية الكتاب قال : بش الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته .

أعادوا الكتاب إلى الإمام فأخبروه ، فأمر بمحو كلمة « أمير المؤمنين » فنهاء الأحنف عن ذلك ، فقال الأشعث : امح هذا الاسم ، فقال الإمام : إن هذا اليوم كيوم الحديبية ، حين كتب الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، وسهيل بن عمرو . . . فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك ، إنني إذا لظالم لك ، ولكن اكتب : محمد بن عبد الله . فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي ، إنني لرسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله ، ولن يحو عني الرسالة كتابي لهم ؛ إن ذلك الكتاب أنا كتبته بيننا وبين المشركين ، واليوم أكتبه إلى أبنائهم كما كان رسول الله كتبه إلى آبائهم شبيهاً ومثلاً .

فقال عمرو بن العاص ؛ سبحان الله ! أنشبهنا بالكفار ونحن مسلمون ؟

فقال الإمام : يا ابن النابغة ، ومتى لم تكن للكافرين ولياً وللمسلمين عدواً ؟

ولما أرادوا تنظيم الكتاب سألوا الإمام : أنقر أنهم مسلمون مؤمنون ؟ فقال الإمام : ما أقر لمعاوية ولا لأصحابه أنهم مؤمنون ولا مسلمون ، ولكن يكتب معاوية ما شاء ويقر بما شاء لنفسه ولأصحابه ، ويسمي نفسه بما شاء وأصحابه .

فكتبوا الكتاب وكان في أعلاه ختم الإمام ، وفي أسفله خاتم معاوية ، وشهد الشهود عليها ، وخرج الأشعث بالكتاب ، وقرأه على أهل العراق ، فهاج الناس وظهرت الفتنة والانقسام والتفرقة ، وتكونت فرقة

الخوارج وصاحوا : لا حكم إلا لله ، فأين قتلنا يا أشعث ؟ وحمل بعضهم على الأشعث ليقتله .

وأقبلوا إلى الإمام مستنكرين الحكم وطلبوا من الإمام نقض العهد والرجوع إلى الحرب فقال الإمام : ويحكم أبعد الرضى والميثاق والعهد ونرجع ؟ ! أليس الله تعالى قد قال : ﴿أوفوا بالعقود﴾^(١) .

وقال : ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾^(٢) فبرأ الخوارج من الإمام وبرأ منهم .

وأقبل الجيش يستأذنون الإمام بالهجوم على معاوية ، فقال الإمام عليه السلام : لو كان هذا قبل المعاهدة وسطر الصحيفة لأزلتهم عن عسكرهم .

وكان من التحكيم أنه توجه الأشعري للإجتماع بابن العاص للمحاكمة ، فحذره الناس من مكيدة ابن العاص وغدره وسوء سوابقه ، حتى اتخذ التدابير اللازمة ، ويكون على بصيرة من أمره ، ولكن كان كل هذا بلا جدوى ، بل كانت النتيجة معكوسة . الظاهر أن هذا الأمر كان مدبراً بين معاوية والأشعث والأشعري .

اجتمع الحكماء في المكان المعدّ لها فقال عمرو : تكلم يا أبا موسى .

فقال الأشعري : بل أنت تكلم .

فقال عمرو : ما كنت لأفعل وأقدم نفسي قبلك ، ولك حقوق كلّها واجبة .

فتكلم أبو موسى ، فقال عمرو : إن للكلام أولاً وآخرأ ، ومتى

(١) سورة المائدة : آية ١ .

(٢) سورة النحل : آية ٩١ .

تنازعنا الكلام لم نبلغ آخره حتى ننسى أوله ، فاجعل ما كان من كلام بيننا في كتاب يصير إليه أمرنا ؟ فقال أبو موسى : اكتب ، ودعا عمرو بصحيفة وكاتب .

وبعد سؤال وجواب ، وخداع وتزوير ، قال الأشعري : قد علمت أنّ أهل العراق لا يحبون معاوية أبداً ، وأنّ أهل الشام لا يحبون علياً أبداً ، فهلّم نخلعهما ، ونستخلف عبد الله بن عمر بن الخطاب . فقال عمرو : أيفعل ذلك ابن عمر : ؟ قال : نعم ، إذا حمّله الناس على فعل ذلك فعل . فقال عمرو : فهل لك في سعد بن أبي وقاص . قال : لا . فذكر ابن العاص جماعة ، والأشعري لا يرضى بهم ، وكل هذا كان مرواغة من ابن العاص ليستغفله ، فقال عمرو : قم واخطب . فقال الأشعري : قم أنت واخطب .

فامتنع ابن العاص فقام الأشعري وخرج من الخيمة ، وقد اجتمع أربعائة رجل من أصحاب الإمام ، ومثلهم من أصحاب معاوية ، فقال الأشعري في خطبته .

أيها الناس ، إنّنا نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ولم الشعث ، وحقن الدماء وجمع الألفة خلعنا علياً ومعاوية ، وقد خلعت علياً كما خلعت عمامتي هذه وخلع عمامته المشؤومة .

ثمّ قام عمرو وقال : أيها الناس ، إنّ أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع علياً وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب ، وهو أعلم به ، ألا وإني خلعتُ علياً وأثبتُ معاوية عليّ وعليكم .

فقال الأشعري : كذب عمرو لم نستخلف معاوية ، ولكننا خلعنا معاوية وعلياً .

فقال عمرو : بل كذب عبد الله بن قيس ، قد خلع علياً ولم أخلع معاوية .

فقال الأشعري : مالك لا وفقك الله ؟ ! غدرت وفجرت ؛ إنما مثلك كمثل الكلب إنَّ تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

فقال عمرو : بل إياك يلعن الله ، كذبت وغدرت ، إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً .

فضرب عمرو أبا موسى فسقط ، وضرب شريح عمرواً بالسوط ، فركب الأشعري راحلته وتوجّه إلى مكّة وحلف أن لا ينظر في وجه عليّ .
إلى هنا انتهت مهزلة التحكيم وملابساتها ، وأنا لله وأنا إليه راجعون ..

الخوارج في واقعة النهروان

لما تقرر التحكيم غادر الإمام عليه السلام صفين وقصد الكوفة ، وبقي فيها ينتظر إنهاء مدة الهدنة ، ليعيد الحرب والقتال ، وبعد فشل التحكيم انشقت أمة من جيش الإمام وتمرد عليه وعزت فشلها إلى قبول الإمام بالتحكيم ، فتكونت فرقة «الخوارج» كما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسماهم «المارقون» فقد مرقوا من الدين كما مرق السهم من الرمية .

وأول من انفصل من جيش الإمام بعد وصولهم الكوفة أربعة آلاف مقاتل من أصحابه ، وهم المعروفون بالنسك والعبادة وأصحاب الجباه السود من السجود ، وتكتلوا كتلة واحدة ضد الإمام ، فخرجوا من الكوفة لإعلان المخالفة والانشقاق ، وأطلقوا شعارهم المعروف « لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى الله » .

وانضم إليهم من يرى رأيهم من أهل الكوفة والبصرة وغيرها ثمانية آلاف آخرين ، فصاروا اثني عشر ألفاً ، وساروا قاصدين الحروراء ، وتجمعوا فيها وجعلوها مقراً لهم .

وحروراء قرية قرب الكوفة على ميلين منها .

ونادى مناديهـم : إن أمير القتال : شُبث بن ربعي ، وأمير الصلاة عبد الله بن الكوّ ، والأمر شورى بعد الفتح ، والبيعة لله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

دخل زرعة الطائي وحر قوص بن زهير - ذو الثدية - على الإمام : فقالا : لا حكم إلّا لله . فقال الإمام عليه السلام : كلمة حقّ يراد بها الباطل .

فقال ذو الثدية : تب من خطيئتك ، وارجع عن قصتك ، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتّى نلقى ربنا .

فقال عليه السلام : قد أردتكم على ذلك فعصيتُموني ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وشروطاً ، وأعطينا عليهم عهداً وميثاقاً ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ (١) .

فقال ذو الثدية : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب عنه .

فقال عليه السلام : ما هو بذنبٍ ولكنه عجز من الرأي وضعف في العقل ، وقد تقدّم فنهيتكم عنه .

فقال ابن الكوّ : الآن صَحَّ عندنا أنّك لست بإمام ، ولو كنت إماماً لما رجعت .

فقال عليه السلام : ويلكم قد رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عام الحديبية عن قتال أهل مكة .

فقال زرعة : أما والله لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لأقتلنك ، اطلب بذلك وجه الله ورضوانه .

(١) سورة النحل : آية ٩١ .

فقال عليه السلام : بؤساً لك ، ما أشقاك ، كاني بك قتيلاً ، تسفى عليه الرياح .

قال زرعة : وددت أنه كان ذلك .

بعث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام صعصعة بن صوحان مع زياد بن النضر وعبد الله بن العباس إلى القوم فلم يرتدعوا ، فدعا الإمام صعصعة وقال له : بأي القوم رائيهم أشد طاعة ؟ فقال صعصعة : يزيد بن قيس الأرحبي . فركب الإمام عليه السلام إلى حروراء ، حتى وصل إلى خيمة يزيد بن قيس فصلّى هناك ركعتين ثم خرج ، فاتكأ على قوسه ، وأقبل على المنشقين فقال : هذا مقام من فلج فيه فلج إلى يوم القيامة . ثم تكلم وناشدهم فقال لهم : ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم : إن هذه مكيدة ووهم ، ولو أنهم قصدوا إلى حكم المصاحف لأتوني وسألوني التحكيم ؟

قالوا : صدقت .

قال : أفتعلمون أن أحداً أكره إلى التحكيم مني ؟

قالوا : لا .

قال : فهل تعلمون أنكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم ، فاشتربت أن حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله ، فمتى خالفاه فانا وانتم من ذلك براء ، وانتم تعلمون أن حكم الله لا يعدوني ؟

فقال ابن الكوّاء : حكمت في دين الله برأينا ، ونحن مقرّون بأننا كفرنا ، ولكن الآن تائبون ، فأقرر بما أقرنا به ، وتب نهض معك إلى الشام . فقال عليه السلام : أما تعلمون أن الله قد أمر بالتحكيم في شقاق بين الرجل وامرأته ، فقال سبحانه : ﴿ فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من

أهلها ﴿^(١)﴾ وفي صيد - كأرنب - يساوي نصف درهم فقال : ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ ^(٢) .

فقالوا له : فإن عمرو بن العاص لما أبى أن تقول في كتابك : هذا ما كتبه عبد الله عليّ أمير المؤمنين ، محوت اسمك من الخلافة وكتبت : علي بن أبي طالب ، فقد خلعت نفسك .

فقال عليه السلام : لي أسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب : هذا ما كتبه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسهيل بن عمرو ، وقال : لو أقررت بأنك رسول الله ما خالفتك ، ولكني أقدمك لفضلك ، فاكتب محمد بن عبد الله ، فقال لي : يا علي ، امح كلمة رسول الله . فقلت : يا رسول الله ، لا تشجعني نفسي على محو اسمك من النبوة . فقال صلى الله عليه وآله وسلم : دلني عليه . فمحا بيده الشريفة ، ثم قال : اكتب محمد بن عبد الله . ثم تبسم إليّ وقال : إنك لتسام مثلها فتعطي .

فقالوا : إنا أذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم ، وقد تبنا ، فتب إلى الله كما تبنا ، نعد لك .

فقال عليه السلام : استغفر الله من كل ذنب . فرجع معه منهم ستة آلاف ، فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن علياً رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً ، وقالوا : إنما ينتظر أن يسمن الكراع ويحيى المال ، ثم ينهض بنا إلى الشام . فأق الأشت بن قيس علياً عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الناس قد تحدّثوا أنك رأيت الحكومة ضلال والإقامة عليها كفرأ .

(١) سورة النساء : آية ٣٥ .

(٢) سورة المائدة : آية ٩٥ .

فقام الإمام عليه السلام فخطب وقال : مَنْ زعم أنّي رجعت عن الحكمين فقد كذب ، وَمَنْ رآها ضلال فقد ضلّ .

فخرجت الخوارج من المسجد ، ثُمَّ توجّهت إلى النهروان ، « وهم الستّة آلاف الذين رجعوا معه من حروراء إلى الكوفة » والتحقوا بجماعتهم ، والنهروان قريبة من حروراء ، استعداداً لإشعال نار الحرب ضد جيش الإمام .

وقعت لهم في طريقهم إلى النهروان ، مفارقات عجيبة وقضايا مبكية ومضحكة ، وشر البلية ما يُضحكُ .

فمنها : أنّهم وجدوا في طريقهم مسلماً نصرانياً ، فقتلوا المسلم لأنّه عندهم كافر إذ كان على خلاف معتقدهم ، واستوصوا بالنصراني وقالوا : احفظوا ذمة نبيكم .

ووثب رجل على رطبة سقطت من نخلة فوضعها في فمه فصاحوا به ، حتّى لفظها تورعاً .

ورأى أحدهم خنزيراً فضربه وقتله ، فقالوا : هذا فساد في الأرض وأنكروا عليه قتل الخنزير .

وساموا رجلاً نصرانياً بنخلة له فقالوا : ما كنا لناخذها إلّا بالثمن . فقال النصراني : واعجباه أقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا نخلة إلّا بالثمن ؟ ؟

أمّا العبد الصالح عبد الله بن خباب الأزدي ، فلمّا كان راكباً على حمار ومعه زوجته وهي حامل ، فسألوه عدّة أسئلة ، منها : فما تقول في عليّ بعد التحكيم ؟

قال : إن عليّاً أعلم بالله وأشدّ توقياً على دينه ، وأنفذ بصيرة .

قالوا : إنك تتبع الهوى ، إنما تتبع الرجال على أسمائهم .

ثم قَرَّبوه على شاطئ النهر فأضجعوه وذبحوه ، ثم عمدوا إلى امرأته فشَقَّوا بطنها وهي حامل .

وصل القوم إلى النهروان والتحق بهم المنشقون الذين كانوا بحروراء وتوجَّه الإمام عليه السلام بجيشه إليهم ، فقال عليه السلام : يا بن عباس ، امض إلى هؤلاء القوم ، فانظر ما هم عليه ، ولماذا اجتمعوا ؟ فلما وصل إليهم ، قالوا : ويحك يا بن عباس ، كفرت بربك كما كفر صاحبك علي بن أبي طالب . وخرج خطيبهم عتاب بن الأعرور الثعلبي فسأله ابن عباس : مَنْ بنى الإسلام ؟ أجابه عتاب : الله ورسوله .

فقال ابن عباس : النبي أحكم أموره وبينَ حدوده أم لا ؟ فقال عتاب : بلى .

فقال ابن عباس : فالنبي بقي في دار الإسلام أم ارتحل ؟ فقال عتاب : بل ارتحل .

فقال ابن عباس : فأُمر الشرع ارتحلت معه أم بقيت ؟ فقال عتاب : بل بقيت بعده .

فقال ابن عباس : فهل قام أحد بعده بعمارة ما بناه ؟ فقال عتاب : نعم ، الذرية والصحابة .

فقال ابن عباس : فعَمَّروها أو خربوها ؟ فقال عتاب : بل عَمَّروها .

فقال ابن عباس : فالآن هي معمورة أم خراب ؟ فقال عتاب : بل خراب .

فقال ابن عباس : خربها ذريته أم أمته ؟ فقال عتاب : بل أمته .
فقال ابن عباس : أنت من الذرية أو من الأمة ؟ فقال عتاب : من
الأمة .

فقال ابن عباس : أنت من الأمة وخربت دار الاسلام ، فكيف
ترجو الجنة ؟

فقالوا : ليخرج إلينا علي بن نفسه لنسمع كلامه ، عسى أن يزول ما
بأنفسنا إذا سمعناه .

فرجع ابن عباس فأخبر الإمام بما حصل ، فركب عليه السلام في
جماعة ، ومضى إليهم ، فركب ابن الكواء في جماعة منهم ، فلما التقوا ،
قال الإمام عليه السلام : يا ابن الكواء إن الكلام كثير ، فأبرز إلي من
أصحابك لأكلمك . فقال : أنا آمن من سيفك ؟ قال عليه السلام : نعم .

فخرج إليه في عشرة من أصحابه ، فقال لهم عليه السلام : ألم أقل
لكم أن أهل الشام إنما خدعوكم بها - الحكومة ورفع المصاحف وغير ذلك -
فإن الحرب قد عضتكم فذروني أناجزهم فأبيتم ؟ ألم أرد نصب ابن عمي -
ابن عباس - وقلت : إنه لا ينخدع فأبيتم إلا أبا موسى الأشعري .
وقلتم : رضينا به حكماً ، فأجبتكم كارهاً ؟ ولو وجدت في ذلك الوقت
أعواناً غيركم لما أجبتكم ، وشرطت على الحكمين بحضوركم ، أن يحكما بما
أنزل الله من فاتحته إلى خاتمته ، والسنة والجماعة ، وأنها إن لم يفعلوا فلا
طاعة لهما علي ، كان ذلك أو لم يكن ؟

قال ابن الكواء : صدقت ، كان هذا كله ، فلم لا نرجع الآن إلى
حرب القوم ؟

قال الإمام عليه السلام : حتى تنقضي المدة التي بيننا وبينهم .

قال ابن الكوّاء : وأنت مجمع على ذلك ؟

قال عليه السلام : نعم ، لا يسعني غيره .

فعاد ابن الكوّاء والعشرة الذين معه إلى أصحاب الإمام عليه السلام

راجعين عن دين الخوارج ، وتفرّق الباقيون وهم يقولون : لا حكم إلّا

لِلَّهِ . وأمروا عليهم ، عبد الله بن وهب الراسبي وذو الشدية ، وعسكروا

بالنهر وان ، وخرج الإمام عليه السلام حتّى بقي على فرسخين منهم ،

وكتبهم وراسلهم ، فلم يرتدعوا ، فأمر الإمام ابن عبّاس أن يركب

إليهم ، وقال سلهم ما الذي نقموه ؟ وأنا ردّك فلا تخف منهم .

فلما جاءهم ابن عباس قال : ما الذي نقمتم من أمير المؤمنين ؟

قالوا : نقمنا أشياء لو كان حاضراً لكفرنا بها . والإمام يسمع

كلامهم فقال ابن عبّاس : يا أمير المؤمنين ، قد سمعت كلامهم وأنت أحقّ

بالجواب .

فتقدّم عليه السلام وقال : أيّها الناس ، أنا علي بن أبي طالب ،

فتكلّموا بما نقمتم عليّ .

قالوا : نقمنا عليك أولاً أنّا قاتلنا بين يديك بالبصرة ، فلما أظفرك

الله بهم أبحتنا ما في عسكرهم ومنعتنا النساء والذرية ، فكيف حلّ لنا ما

في العسكر ولم يحلّ لنا النساء ؟

فقال عليه السلام : يا هؤلاء ، إنّ أهل البصرة قاتلونا بالقتال ، فلما

ظفرتهم بهم قسمتم سلب من قاتلكم ، ومنعتكم من النساء والذرية ، فإنّ

النساء لم يقاتلن والذرية ولدوا على الفطرة ، ولم ينكثوا ولا ذنب لهم ، ولقد

رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم منّ على المشركين ، فلا تعجبوا

إن مننت على المسلمين ، فلم أسبّ نساءهم ولا ذريتهم .

قالوا : نعمنا عليك يوم صفين كونك محوت اسمك من إمرة المؤمنين
فإذن لم تكن أميرنا ، ولست أميراً لنا .

قال عليه السلام : يا هؤلاء إنما اقتديت برسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم حين صالح سهيل بن عمرو .

قالوا : نعمنا عليك أنك قلت للحكمين : انظروا كتاب الله ، فإن
كنت أفضل من معاوية فاثبتاني في الخلافة ، فإذا كنت شاكاً في نفسك ،
فنحن فيك أشد وأعظم شكاً .

قال عليه السلام : إنما أردت بذلك النصفة - الإنصاف - فلما لو
قلت : احكما لي دون معاوية لم يرض ولم يقبل ، ولو قال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم لنصارى نجران لما قدموا عليه : تعالوا نبتهل فأجعل لعنة
الله عليكم ، لم يرضوا ، ولكن أنصفهم من نفسه كما أمره الله فقال :
« فنجعل لعنة الله على الكافرين » فأنصفهم من نفسه ، فكذلك فعلت
أنا ، ولم أعلم بما أراد عمرو بن العاص من خديعة أبي موسى .

قالوا : فإننا نعمنا عليك أنك حكمت حكماً في حق هؤلاء .

فقال عليه السلام : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حكم
سعد بن معاذ في بني قريظة ولو شاء لم يفعل ، وأنا اقتديت به ، فهل بقي
عندكم شيء ؟

فسكتوا وصاح جماعة منهم من كل جانب : التوبة التوبة يا أمير
المؤمنين .

فأعطى الإمام راية أمان مع أبي أيوب الأنصاري ، فناداهم أبو
أيوب : من جاء إلى هذه الراية أو خرج من الجماعة فهو آمن . فرجع منهم
ثمانية آلاف ، فأمر الإمام عليه السلام المستأمنين بالاعتزال .

وبقي أربعة آلاف منهم مستعدّين للقتال ، فخطبهم الإمام عليه السّلام
ووعظهم فلم يرتدعوا ، وصاح مناديهم : دعوا مخاطبة علي وأصحابه ،
وبادروا إلى الجنّة . وصاحوا : إلى الجنّة .

وتقدّم حرقوص ذو الثدية ، وعبد الله بن وهب وقالاً : ما نريد
بقتالنا إياك إلّا وجه الله والدار الآخرة .

فقال عليه السلام : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ
سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ ^(١) .

فكان أوّل من خرج أخنس بن العزير الطائي ، فقتله الإمام
عليه السلام وخرج عبد الله بن وهب ، ومالك بن الوضاح ، وبرز الإمام
إليهم وقتل الوضاح وضرب ضربة على رأس الحرقوص وقتله ، وأمر
أصحابه بالمهجوم على العدو .

وعندما استعرت الحرب والتهبت نيرانها ، صاح عبد الله بن
راسب : يا بن أبي طالب ، والله لا نبرج من هذه المعركة حتّى نأتي على
أنفسنا أو نأتي عليك ، فابرز إليّ وأبرز إليك ، وذّر الناس جانباً ، فلمّا
سمع الإمام كلامه تبسّم وقال : قاتله الله من رجل ما أقلّ حيائه ، أما إنّه
ليعلم أنّي لحليف السيف وخدين الرمح ، ولكنه قد يش من الحياة ، وإنّه
ليطمع طمعاً كاذباً . ثمّ حل عليه الإمام فضربه وقتله وألحقه بأصحابه في
النار .

واختلط الجيشان فلم تكن إلّا ساعة حتّى قتلوا بأجمعهم وكانوا أربعة
آلاف ، ولم ينج منهم إلّا تسعة رجال ، فرجلان هربا إلى خرسان إلى أرض
سجستان وبها نسلهما ، ورجلان صارا إلى اليمن وفيها نسلهما وهم

(١) سورة الكهف : آية ١٠٣ - ١٠٤ .

الأباضية . ولا يزالون ، ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يعرف
بالسن والبواريج نواحي تكريت في شمال العراق ، بعد مدينة سامراء
والباقون تفرّقوا في المغرب العربي ولا يزال نسلهم بين ليبيا والجزائر .

وقتل من أصحاب الإمام عليه السلام تسعة بعدد من سلم من
الخوارج ، وكان عليه السلام قد أخبر بذلك قبل بدء المعركة ، فكانت هذه
من دلائله وبراهينه .

استخلصت هذا الحديث من كتب التاريخ وكتاب « علي من المهدي
إلى اللحد » لكتابه الخطيب السيد القزويني .

شهادة أمير المؤمنين عليه السّلام

قتل الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام ، ليلة الأربعاء التاسعة عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، وقبض ليلة الجمعة ليلة إحدى وعشرين هذا ما كان عليه علماء أهل البيت عليهم السّلام ومؤرخيهم والسائرين عليه .

وروى الطبري وابن الأثير أنه ضرب عليه السّلام ليلة الجمعة لإحدى عشر ليلة بقيت من شهر رمضان فتكون شهادته ليلة الأحد ، وعمره الشريف ثلاث وستون عاماً .

وروى الحاكم في المستدرک عن محمد بن الحنفية أو أربع وستون أو خمس وستون سنة ، منها عشر سنين أو اثنا عشر سنة قبل البعثة ، وثلاث وعشرون مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد البعثة ثلاث عشرة بمكة وعشر بالمدينة وثلاثون سنة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل في سنة غير ذلك فروى الحاكم في المستدرک عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه قتل وهو ابن ثمان وخمسين سنة . وأشهر الأقوال الأول والثالث قال ابن شهر آشوب في المناقب : قبض صلوات الله عليه قتيلاً في مسجد الكوفة وقت التنوير ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة

مضين من شهر رمضان فبقي يومين إلى نحو الثالث من الليل وله يومئذ خمس وستون سنة في قول الصادق عليه السّلام وقالت العامة ثلاث وستون سنة « اهـ » وروى الحاكم في المستدرک بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى : قتل علي يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ٤٠ وهو يوم قتل ابن ثلاث وستين سنة أو أربع وستين (وبسنده) عن أبي بكر بن أبي شيبة : قتل علي بن أبي طالب سنة ٤٠ من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة قتل يوم الجمعة للحادي والعشرين من شهر رمضان ومات يوم الأحد ودفن بالكوفة « اهـ » . وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا نحواً من أربعة أشهر أو ثلاثة أشهر لأنه بويح لخمس بقين من ذي الحجة سنة ٣٥ كما مر . وروى الحاكم في المستدرک عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن خلافته كانت خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ثم روى عن أبي بكر بن أبي شيبة أنه قال ولي علي بن أبي طالب خمس سنين « اهـ » وكأنه مبني على نوع من التسامح .

نعيه نفسه قبل مقتله

قال ابن الأثير في الكامل : قيل من غير وجه أن علياً كان يقول ما يمنع اشتقاكم أن يخضب هذه من هذه يعني لحيته من دم رأسه .

وقال الحسن بن كثير عن أبيه : خرج علي من الفجر فأقبل الأوز يصحن في وجهه فطردوه عن فقه ذروهم فانهن نوائح ، فضر به ابن ملجم في ليلته ، وقال الحسن بن علي يوم قتل علي : خرجت البارحة وأبي يصلي في مسجد داره فقال لي يا بني إني بت أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة فملكنتي عيناى فتمت فسنح لي رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلّم فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد^(١)
فقال لي : ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير منهم وابدلهم
بي من هو شر مني فجاء ابن الشباح فأذنه بالصلاة فخرج وخرجت خلفه
فضربه ابن ملجم فقتله .

سبب قتل أمير المؤمنين عليه السّلام

قال الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل : كان سبب قتله
عليه السّلام أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله
التميمي الصريمي واسمه الحجاج وعمرو بن أبي بكر التميمي السعدي
وهم من الخوارج اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس وعابوا الولاة ثم ذكروا أهل
النهر فترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شربنا أنفسنا الله
وقتلنا أئمة الضلال وارحنا منهم البلاد فقال ابن ملجم أنا اكفيكم علماً
وقال البرك بن عبد الله أنا اكفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر أنا اكفيكم
عمرو بن العاص فتعاهدوا أن لا ينكص أحدهم عن صاحبه الذي توجه إليه
حتى يقتله أو يموت دونه وأخذوا سيوفهم فسموها واتعدوا لتسع عشرة أو
سبع عشرة من رمضان فأتى ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه بها وكتهم
أمره ورأى يوماً أصحاباً له من تيم الرباب ومعهم امرأة منهم اسمها قطام
(بنت الأخضر التيمية) قتل أبوها وأخوها يوم النهر وكانت فائقة الجمال
فخطبها فقالت لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي
فقال اما قتل علي فما أراك ذكرته وأنت تريدني قالت بل الشمس غرته
فإن أصبته شفيت نفسك ونفسي ونفعك العيش معي وإن قتلت فما عند الله
خير من الدنيا وما فيها قال والله ما جاء بي إلا قتل علي فلك ما سألت
قالت سأطلب لك من يشد ظهرك ويساعدك وبعثت إلى رجل من قومها

(١) قال أبو الفرج : والأود الموج واللدد الخصومات .

اسمه وردان فأجابها وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع اسمه شبيب بن بجرة فقال هل لك في شرف الدنيا والآخرة قال وما ذاك قال قتل علي بن أبي طالب قال شبيب ثكلتك أمك لقد جئت شيئاً إداً كيف تقدر على قتله قال اكمن له في المسجد فإذا خرج إلى صلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه قال ويحك لو كان غير علي كان أهون قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه في الإسلام وما أجدني أنشرح لقتله قال اما تعلمه قتل أهل النهر العباد الصالحين قال بلى قال فلنقتله بمن قتل من أصحابنا فأجابه فلما كان ليلة الجمعة^(١) وهي الليلة التي واعد ابن ملجم فيها أصحابه على قتل علي ومعاوية وعمرو جاؤوا قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة فدعت لهم بالحرير وعصبتهم به . وقال المفيد: أنهم أتوا قطام ليلة الأربعاء . وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبين أنهم أتوا قطام بنت الأخضر بن شجنة من تيم الرباب وهي معتكفة في المسجد الأعظم قد ضربت عليها قبة فدعت لهم بحرير فعصبت به صدورهم وتقلدوا سيوفهم ومضوا فجلسوا مما يلي السدة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين عليه السّلام إلى الصلاة . (قال المفيد) وقد كانوا قبل ذلك القوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين عليه السّلام واطأهم على ذلك وحضر الأشعث في تلك الليلة لمعونتهم وكان حجر بن عدي في تلك الليلة بائناً في المسجد فسمع الأشعث يقول لابن ملجم النجاء لحاجتك فقد فضحك الصبح فأحس حجر بما أراد الأشعث فقال قتلته يا اعور وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين عليه السّلام ليخبره الخبر ويحذره من القوم وخالفه أمير المؤمنين عليه السّلام في الطريق فدخل

(١) هكذا في تاريخ الطبري وكامل ابن الأثير ولعل الصواب ما يأتي عن المفيد ناقلاً له عن أبي مخنف أنه ضرب ليلة الأربعاء وقبض ليلة الجمعة وأنه وقع اشتباه بين ليلة الضرب وليلة الوفاة والله أعلم .

المسجد قال الطبري وابن الأثير: فلما خرج علي نادى الصلاة الصلاة
 فضربه شبيب بالسيف فوق سيفه بعضادة الباب أو الطلق وضربه ابن
 ملجم على قرنه بالسيف وقال الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك .
 وقال أبو الفرج: فضربه ابن ملجم فأثبت الضربة في وسط رأسه قال ابن
 عبد البر: فقال علي فزت ورب الكعبة لا يفوتكم الرجل . قال المفيد
 وأبو الفرج: وأقبل حجر والناس يقولون قتل أمير المؤمنين وروى أبو
 الفرج بسنده عن عبد الله بن محمد الأزدي قال إني لأصلي في تلك
 الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر كانوا يصلون في
 ذلك الشهر من أوله إلى آخره إذ نظرت إلى رجال يصلون قريباً من السدة
 إذ خرج علي بن أبي طالب عليه السلام لصلاة الفجر فأقبل ينادي الصلاة
 الصلاة فما أدري أنادى أم رأيت بريق السيوف وقائلاً يقول الحكم لله يا
 علي لا لك ولا لأصحابك وسمعت علياً يقول لا يفوتكم الرجل . وفي
 الاستيعاب اختلفوا هل ضربه في الصلاة أو قبل الدخول فيها وهرب
 القوم نحو أبواب المسجد وتبادر الناس لأخذهم قال أبو الفرج فأما شبيب
 فأخذه رجل فصرعه وجلس على صدره وأخذ السيف ليقتله به فرأى الناس
 يقصدون نحوه فخشى أن يعجلوا عليه ولم يسمعوا منه فوثب على صدره
 وخلاه وطرح السيف من يده ومضى شبيب هارباً حتى دخل منزله ودخل
 عليه ابن عم له فرآه يحل الحرير عن صدره فقال له ما هذا لعلك قتلت
 أمير المؤمنين فأراد أن يقول له لا فقال نعم فمضى ابن عمه واشتمل على
 سيفه ثم دخل عليه فضربه حتى قتله ، قال المفيد: وأما ابن ملجم
 فلحقه رجل من همدان فطرح عليه قطيفة ثم صرعه وأخذ السيف من يده
 وجاء به أمير المؤمنين عليه السلام وافلت الثالث وانسل بين الناس ، وفي
 رواية الطبري وابن الأثير أن الذي قتل وردان والذي افلت شبيب . قال
 ابن الأثير: وقدم علي عليه السلام جعدة بن هبيرة ابن أخته أم هانئ
 يصلي بالناس الغداة قال الشيخ في الأمالي وخرج الحسن والحسين

عليهما السّلام وأخذ ابن ملجم وأوثقاه ، واحتمل أمير المؤمنين عليه السّلام فأدخل داره فقعدت لبابة عند رأسه وجلست أم كلثوم عند رجله ففتح عينيه فنظر إليهما فقال الرفيق الأعلى خير مستقراً وأحسن مقيلاً ثم عرق ثم أغمي عليه ثم افاق فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يأمرني بالروح إلى عشاء ثلاث مرات ، قال ابن الأثير : وادخل ابن ملجم على أمير المؤمنين وهو مكتوف فقال أي عدو الله ألم أحسن إليك قال بلى قال فما حملك على هذا ؟ قال شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه ، قال علي لا أراك إلا مقتولاً به ولا أراك إلا من شر خلق الله ثم قال النفس بالنفس إن هلكت فاقتلوه كما قتلتني وإن بقيت رأيت فيه رأيي ، يا بني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن إلا قاتلي ، انظر يا حسن إذا أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثلن بالرجل فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يقول إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور ، قال المفيد : فقال ابن ملجم والله لقد ابتعته بألف وسممته بألف فإن خانني فأبعده الله ، ونادته أم كلثوم يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين قال إنما قتلت أباك ، قالت يا عدو الله إني لأرجو أن لا يكون عليه بأس ، قال لها فأراك إنما تبكين علي إذاً والله لقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم . فأخرج من بين يديه وإن الناس ينهشون لحمه بأستانهم كأنهم سباع وهم يقولون يا عدو الله ما فعلت أهلك أمة محمد و قتلت خير الناس وأنه لصامت لا ينطق فذهب به إلى الحبس وجاء الناس إلى أمير المؤمنين فقالوا مرنا بأمرك في عدو الله والله لقد أهلك الأمة وأفسد الملة فقال لهم إن عشت رأيت فيه رأيي وإن هلكت فاصنعوا به كما يصنع بقاتل النبي اقتلوه ثم احرقوه بعد ذلك بالنار . قال الطبري : وفي قتل علي يقول ابن أبي مياس المرادي ونسبها

الحاكم في المستدرك إلى الفرزدق :

ولم أر مهراً ساقه ذو سماحة كمهر قطام من فصيح واعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وان غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

قال الطبري : وأما البرك بن عبد الله فإنه في تلك الليلة قعد لمعاوية فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بسيفه فوقع في البيت فأخذ فقال إن عندي خبراً اسرك به فإن أخبرتك فنافعي ذلك عندك قال نعم قال إن أخاً لي قتل علياً في مثل هذه الليلة قال لعله لم يقدر على ذلك قال بلى إن علياً يخرج ليس معه من يحرسه فأمر به معاوية فقتل ، وبعث معاوية إلى الساعدي وكان طبيباً فقال اختر اما أن أحمي حديدة فأضعها موضع السيف وأما إن أسقيك شربة تقطع منك الولد وتبرأ فإن ضربتك مسمومة ، قال : اما النار فلا صبر لي عليها وأما الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني فسقاه الشربة فبرىء وعالج جرحه حتى التأم ولم يولد له بعدها . قال سبط ابن الجوزي : لما بلغ القاضي أبا حازم ذلك قال يا ليت ذلك قبل أن يولد يزيد ، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه إذا سجد ، قال ابن الأثير : وهو أول من عملها في الإسلام (أقول) المقصورة بناء أو شبهه يصلي داخله الحامل لقب الخلافة لئلا يغتاله أحد ويصلي الناس خلفه . أول من عمله معاوية واقتدى به من بعده . وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان اشتكى بطنه ، فأمر خارجة بن حذافة صاحب شرطته من بني عامر بن لؤي فخرج ليصلي فشد عليه وهو يرى أنه عمرو فقتله فأخذ إلى عمرو فرآهم يسلمون عليه بالإمرة فقال من هذا قالوا عمرو قال فمن قتل قالوا خارجة فقال لعمرو أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك قال عمرو أردتني وأراد الله خارجة فقدمه عمرو فقتله وبلغ

ذلك معاوية فكتب إلى عمرو :

وقتك وأسباب المنايا كثيرة منية شيخ من لؤي بن غالب
فيا عمرو مهلاً إنما أنت همه وصاحبه دون الرجال الأقارب
نجوت وقد بل المرادي سيفه من ابن أبي شيخ الأباطح طالب
ويضربني بالسيف آخر مثله فكانت علينا تلك ضربة لازب

(أقول) : وفي ذلك يقول ابن عبدون في رأيته المشهورة :

وليتها إذ فدت عمرأ بخارجة فدت عليأ بمن شاءت من البشر

وروى أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبين وابن عبد البر في الاستيعاب بإسناديهما وبين كل منهما بعض التفاوت ونحن نذكر محصل الكلامين : أنه جمع لعلي عليه السلام أطباء الكوفة يوم جرح فلم يكن اعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هاني السكوني وكان أبصرهم بالطب وكان متطبياً صاحب كرسي يعالج الجراحات وقال أبو الفرج كان من الأربعين غلاماً الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في عين التمر فسيأهم وقال ابن عبد البر وهو الذي تنسب إليه صحراء أثير فلما نظر إلى الجرح أخذ رثة شاة حارة فتبع عرقاً منها فاستخرجه وأدخله في الجرح ثم نفخ العرق فاستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ فقال يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك . قال أبو الفرج الأصبهاني روى أبو مخنف عن أبي الطفيل أن صعصعة بن صوحان استأذن على علي عليه السلام وقد أتاه عائداً لما ضربه ابن ملجم فلم يكن عليه إذن فقال صعصعة للأذن : قل له يرحمك الله يا أمير المؤمنين حياً وميتاً لقد كان الله في صدرك عظيماً ولقد كنت بذات الله عليماً . فابلغه الأذن فقال قل له وأنت يرحمك الله فلقد كنت خفيف المؤونة كثير المعونة .

وروى الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في أماليه بسنده

إلى الأصبح بن نباتة قال لما ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام غدونا عليه نفر من أصحابنا أنا والحارث وسويد بن غفلة وجماعة معنا فقعدنا على الباب فسمعنا البكاء من الدار فبكينا فخرج إلينا الحسن بن علي عليهما السّلام فقال يقول لكم أمير المؤمنين انصرفوا إلى منازلكم فانصرف القوم غيري واشتد البكاء في منزله فبكيت فخرج الحسن فقال ألم أقل لكم انصرفوا فقلت لا والله يا ابن رسول الله ما تتابعني نفسي ولا تحملني رجلاي ان انصرف حتى أرى أمير المؤمنين وبكيت فدخل الدار ولم يلبث أن خرج فقال لي أدخل فدخلت على أمير المؤمنين عليه السّلام فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء قد نزع دمه واصفر وجهه فما أدري وجهه أشد صفرة أم العمامة فاكببت عليه فقبلته وبكيت فقال لي لا تبك يا اصنغ فإنها والله الجنة فقلت له جعلت فداك إني أعلم والله أنك تصير إلى الجنة وإنما أبكي لفقداني إياك يا أمير المؤمنين (وروى) قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي في كتاب الخرائج عن عمرو بن الحمق قال دخلت على علي عليه السّلام حين ضرب الضربة بالكوفة فقلت ليس عليك بأس إنما هو خدش قال لعمرى إني لمفارقكم ثم أغمى عليه فبكت أم كلثوم فلما أفاق قال لا تؤذيي يا أم كلثوم فإنك لو ترين ما أرى إن الملائكة من السماوات السبع بعضهم خلف بعض والنبيين يقولون انطلق يا علي فما أملك خير لك مما أنت فيه . وروى ابن الأثير في أسد الغابة بسنده عن عمرو ذي مر قال لما أصيب علي بالضربة دخلت عليه وقد عصب رأسه فقلت يا أمير المؤمنين أرني ضربتك فحلها فقلت خدش وليس بشيء قال إني مفارقكم فبكت أم كلثوم من وراء الحجاب فقال لها اسكتي فلو ترين ما أرى لما بكيت فقلت يا أمير المؤمنين ماذا ترى قال هذه الملائكة وفود والنبيون وهذا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقول يا علي ابشر فما

تصير إليه خير مما أنت فيه . وروى الشيخ أبو جعفر الطوسي في الأمالي بسنده عن حبيب بن عمرو نحوه .

وصية أمير المؤمنين عليه السلام

ذكرها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه وأبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبين . بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أوصى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين أوصيكم بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما ، وقولا بالحق واعملا للأجر (للاخرة خ ل) وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً ، أوصيكم بجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغهم كتابي هذا من المؤمنين بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام وإن البغضة حالقة الدين ولا قوة إلا بالله انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب والله الله في الأيتام لا تغيروا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله له الجنة كما أوجب لأكل مال اليتيم النار والله الله في القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ما زال يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم والله الله في بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا وإن أدنى ما يرجع به من أمه أن يغفر له ما سلف من ذنبه والله الله في الصلاة فإنها خير العمل وإنها عمود

دينكم والله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب ربكم والله الله في صيام شهر رمضان فإن صيامه جنة من النار والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم فإنما يجاهد في سبيل الله رجلان إمام هدى ومطيع له مقتد بهداه والله الله في ذرية نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم والله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤووا محدثاً فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بهم ولعن المحدث منهم ومن غيرهم والمؤوى للمحدث ، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم والله الله في النساء وما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن قال أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت أيمانكم ثم قال الصلاة الصلاة ولا تخافن في الله لومة لائم يلفكم من أرادكم ويغى عليكم قولوا للناس حسناً كما أمركم الله عز وجل ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولي الله الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ، عليكم بالتواصل والتبازل والتبار وإياكم والتقاطع والتدابير والتفرق وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم واستودعكم الله خير مستودع واقرأ عليكم السَّلام ورحمة الله وبركاته .

وقال ابن الأثير أنه دعا الحسن والحسين عليهما السَّلام فقال لهما أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تبكيا على شيء زوي عنكما منها وقولا الحق وارحما اليتيم وكونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم ثم نظر إلى محمد بن الحنفية فقال هل حفظت ما أوصيت به أخوك قال نعم قال فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخوك العظيم حقهما عليك ولا تقطع دونهما أمراً ثم قال أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما أن

أباكما كان يحبه وقال للحسن أوصيك أي بني بتقوى الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش .

ثم قال للحسن : ابصروا ضاربي اطعموه من طعامي واسقوه من شراي . ثم قال للحسن عليه السلام إذا أنا مت فلا تغال في كفني وصل عليّ وكبر عليّ سبعاً وفي رواية خمساً وغيب قبري .

قال ابن الأثير ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى توفي صلوات الله عليه « اهـ » وبقي إلى نحو ثلث الليل وتوفي فصرخت بناته ونساؤه وارتفعت الصيحة في القصر فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين عليه السلام قد قبض فأقبل الرجال والنساء يهرعون أفواجاً وأفواجاً وصاحوا صيحة عظيمة فارتجت الكوفة بأهلها وكثر البكاء والنحيب وكثر الضجيج بالكوفة وقبائلها ودورها وجميع أقطارها فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما توفي غسله الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد يصب الماء وقال أبو الفرج غسله الحسن وعبد الله بن عباس وقال ابن الأثير وعبد الله بن جعفر مكان عبد الله بن عباس^(١) وكفن في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة بل كان

(١) روى المفيد أنه كان يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر . والذي في الأصل عبد الله بن عباس ووضع عبد الله بن جعفر مكان عبد الله بن عباس خطأ مطبعي ولعل الصواب أنه كان يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر وليلة عند عبد الله بن العباس وأن هؤلاء هم الذين غسلوه . وهذا من الأدلة على أن ابن عباس لم يفارق أمير المؤمنين عليه السلام كما أنه سيأتي في سيرة الحسن عليه السلام أن عبد الله بن العباس قام بين يديه ودعا الناس إلى بيعته فبادروا إليها وأن الحسن عليه السلام رتب العمال وأنفذ عبد الله بن العباس إلى البصرة وهو أيضاً من الأدلة على عدم مفارقتها أمير المؤمنين عليه السلام إلا =

القميص والعمامة من غيرها، وحنط ببقية حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ثم وضعوه على سريريه وصلى عليه الحسن ابنه وكبر خمساً وقيل ستاً وقيل سبعاً وقيل تسعاً وحمل في جوف الليل من تلك الليلة إلى ظهر الكوفة إلى النجف فدفن بالثوية عند قائم الغرين .

وفي خبر عن الباقر عليه السلام دخل قبره الحسن والحسين ومحمد بنوه عليهم السلام وعبد الله بن جعفر رضي الله عنه . وكان إخفاء قبره بوصية منه عليه السلام خوفاً من بني أمية ومن الخوارج .

وروى أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبين بسنده عن أبي البخري أنه لما جاء عائشة قتل أمير المؤمنين عليه السلام سجدت . وقال الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل وروى أبو الفرج في مقاتل الطالبين وابن سعد في الطبقات وذكر المرزباني في معجم الشعراء أنه لما أتى عائشة نعي أمير المؤمنين عليه السلام تمثلت :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرعينا بالاياب المسافر

ثم قالت من قتله ؟ قيل رجل من مراد فقالت :

فإن يك نائياً فلقد نعاه غلام ليس في فيه التراب

فقالت زينب ابنة أبي سلمة العلي تقولين هذا ؟ ! فقالت إني أنسى

فإذا نسيت فذكروني قال أبو الفرج ثم تمثلت :

ما زال اهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الألقاب

حتى تركت كأن قولك فيهم في كل مجتمع طنين ذباب

= أن يكون الصواب عبيد الله بن العباس مصغراً بدل عبد الله مكبراً كما ربما يدل عليه قول الطبري وابن الأثير أن الذي حضر صلح الحسن هو عبيد الله لا عبد الله والله أعلم .

« اهـ . » وفي ضربة ابن ملجم أمير المؤمنين عليه السّلام يقول
عمران بن حطان الرقاشي الخارجي :

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنني لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا
أكرم يقوم بطون الأرض أقرهم لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا
لله در المرادي الذي سفكت كفاه مهجة شر الخلق إنساناً
أمسى عشية غشاه بضربته مما جناه من الأثام عرياناً
وقد رد عليه جملة من الشعراء منهم طاهر بن محمد حكاه عنه
سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص فقال :

يا ضربة من لعين ما أراد بها إلا إمام الهدى ظلماً وعدوانا
إنني لأذكره يوماً فأنبته أشقى البرية عند الله خسرانا
وقال هذا رسول الله سيدنا وخاتم الرسل اعلاما واعلانا
ومنهم القاضي أبو الحارث الطبري أورده سبط ابن الجوزي أيضاً
وفي الإصابة عارضه الإمام أبو الطيب الطبري وذكر البيتين الأولين فقط :

إنني لأبرأ مما أنت قائله عن ابن ملجم الملعون بهتاناً
إنني لأذكره يوماً فألعنه ديناً والعن عمران بن حطاناً
عليك ثم عليه الدهر متصلاً لعائن الله إسراراً وإعلاناً
فأنتم من كلاب النار جاء به نص الشريعة برهاناً وتبياناً
ومنهم السيد الحميري فقال :

لا در در المراد الذي سفكت كفاه مهجة خير الخلق إنساناً
قد صار مما تعاطاه بضربته مما عليه من الإسلام عرياناً
أبكى السماء لباب كان يعمره منها وحتت عليه الأرض تحناناً

طورا أقول ابن ملعونين ملتقط
ويل أمه أي ماذا لعنة ولدت
عبد تحمل اثماً لو تحمله
من نسل إبليس بل قد كان شيطانا
لا أن كما قال عمران بن حطانا
ثهلان طرفة عين هد ثهلانا

ومنه أبو المظفر الشهرستاني في كتابه التبصير فقال :

كذبت وايم الذي حج الحجيج له
لتلقين بها ناراً مؤججة
تبت يدها لقد خابت وقد خسرت
هذا جوابي لذلك النذل مرتجلا
وقد ركبت ضلالاً منك بهتاناً
يوم القيامة لا زلفى ورضواناً
وصار أبخس من في الحشر ميزاناً
أرجو بذاك من الرحمن غفراناً

وقال أبو بكر بن حماد أو بكر بن حماد التاهرتي :

قل لابن ملجم والأقدار غالبة
قتلت أفضل من يمشي على قدم
واعلم الناس بالقرآن ثم بما
صهر النبي ومولاه وناصره
وكان منه على رغم الحسود له
وكان في الحرب سيفاً صار ما ذكرنا
ذكرت قاتله والدمع منحدر
إني لأحسبه ما كان من بشر
أشقى مراد إذا عدت قبائلها
كماقر الناقة الأولى التي جلبت
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها
فلا عفا الله عنه ما تحمله
لقوله في شقي ظل مجترماً
(يا ضربة من تقي ما أراد بها
هدمت ويلك للإسلام أركاناً
وأول الناس إسلاماً وإيماناً
سن الرسول لنا شرعاً وتباناً
أضحت مناقبه نوراً وبرهاناً
مكان هرون من موسى بن عمران
ليثاً إذا لقي الأقران أقراناً
فقلت سبحان رب الناس سبحاناً
كلا ولكنه قد كان شيطانا
وأخسر الناس عند الله ميزاناً
على ثمود بأرض الحجر خسراناً
قبل المنية اشقاها وقد كانا
ولا سقى قبر عمران بن حطانا
ونال ما ناله ظلماً وعدواناً
إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً)

بل ضربة من غوي أوردته لظى فسوف يلقي بها الرحمن غضباناً
كأنه لم يرد قصداً بضربته إلا ليصلي عذاب الخلد نيراناً

قتل ابن ملجم لعنه الله

كان أمير المؤمنين عليه السلام لما ضربه ابن ملجم أوصى به فيما
رواه الحاكم في المستدرک فقال أحسنوا إليه فإن اعش فهضم أو قصاص
وإن أمت فعاجلوه فإنني مخاصمه عند ربي عز وجل . (وفي رواية) للحاكم
لما جازوا بابن ملجم إلى علي عليه السلام قال اصنعوا به ما صنع
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برجل جعل له على أن يقتله فأمر أن
يقتل ويحرق بالنار .

قال الطبري ولما قبض أمير المؤمنين عليه السلام بعث الحسن إلى
ابن ملجم فأحضره فقال للحسن هل لك في خصلة إني أعطيت الله عهداً
أن لا أعاهد عهداً إلا وفيت به وإنني عاهدت الله عند الحطيم أن أقتل
علياً ومعاوية أو أموت دونهما فإن شئت خلعت بيني وبينه فلك علي عهد
الله إن لم أقتله وبقيت أن آتيك حتى اضع يدي في يدك فقال له الحسن
لا والله حتى تعاین النار ثم قدمه فقتله وأخذته الناس فأدرجوه في بواري
وأحرقوه بالنار ، وقال المفيد في الارشاد : استوهبت أم الهيثم بنت
الأسود النخعية جيفته منه لتتولى إحراقها فوهبها لها فأحرقها بالنار ،
وروى الحاكم في المستدرک بسنده عن أبي إسحاق الهمداني رأيت قاتل
علي بن أبي طالب يحرق بالنار في أصحاب الرماح .

موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام

قد عرفت أنه حمل ليلاً إلى ناحية الغرين ودفن هناك وأخفي قبره
بوصية منه . وحكى ابن أبي الحديد في شرح النهج عن أبي القاسم
البلخي أنه قال إن علياً عليه السلام لما قتل قصد بنوه أن يخفوا قبره خوفاً

من بني أمية أن يحدثوا في قبره حدثاً فاهموا الناس في موضع قبره تلك الليلة وهي ليلة دفنه ايهامات مختلفة فشدوا على جمل تابوتاً موثقاً بالجلال يفروح منه روائح الكافور وأخرجوه من الكوفة في سواد الليل صحبة ثقاتهم يوهمون أنهم يحملونه إلى المدينة فيدفنونه عند فاطمة عليها السلام وأخرجوا بغلاً وعليه جنازة مغطاة يوهمون أنهم يدفنونه بالحيرة وحفروا حفائر عدة منها بالمسجد ومنها برحبة قصر الإمارة ومنها في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة المخزومي ومنها في أصل دار عبد الله بن يزيد القسري بحذاء باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد ومنها في الكناسة ومنها في الثوبة فعمي على الناس موضع قبره ولم يعلم دفنه على الحقيقة إلا بنوه والخواص المخلصون من أصحابه فإنهم خرجوا به عليه السلام وقت السحر في الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان فدفنوه على النجف بالموضع المعروف بالغري بوصاة منه عليه السلام إليهم في ذلك وعهد كان عهد به إليهم وعمي موضع قبره على الناس واختلفت الأراجيف في صبيحة ذلك اليوم اختلافاً شديداً أو افرقت الأقوال في موضع قبره الشريف وتشعبت وادعى قوم أن جماعة من طيء وقعوا على جمل في تلك الليلة وقد أضله أصحابه ببلادهم وعليه صندوق فظنوا فيه مالاً فلما رأوا ما فيه خافوا أن يطلبوا به فدفنوا الصندوق بما فيه ونحروا البعير وأكلوه وشاع ذلك في بني أمية وشيعتهم واعتقدوه حقاً فقال الوليد بن عقبة من أبيات يقصد فيها الرد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال وإن تولوها علياً تجدوا هادياً مهدياً :

فإن يك قد ضل البعير بحمله فما كان مهدياً وكان هادياً

(اهـ) ما حكاه ابن أبي الحديد ولذلك وقع الاختلاف في موضع قبره الشريف بين غير الشيعة اما الشيعة فمتفقون خلفاً عن سلف نقلاً عن أئمتهم أبناء أمير المؤمنين عليه وعليهم السلام أنه لم يدفن إلا في الغري

في الموضع المعروف الآن ووافقهم المحققون من علماء سائر المسلمين والأخبار فيه متواترة وقد كتب السيد عبد الكريم بن طاوس كتاباً في ذلك سماه فرحة الغري استقصى فيه الآثار والأخبار الواردة في ذلك وأتى بما لا مزيد عليه .

وروى المفيد في الإرشاد بسنده عن جابر بن يزيد قال سألت أبا جعفر بن علي الباقر عليهما السلام أين دفن أمير المؤمنين قال دفن بناحية الغريين ودفن قبل طلوع الفجر ويسنده عن أبي عمير عن رجاله قيل للحسين بن علي عليهما السلام أين دفنتم أمير المؤمنين قال خرجنا به ليلاً على مسجد الأشعث حتى خرجنا به إلى الظهر بجنب الغريين فدفناه هناك وقال ابن الأثير دفن عند مسجد الجماعة وقيل في القصر وقيل غير ذلك والأصح أن قبره هو الموضع الذي يتبرك به ويزار . (أقول) وهذا مما لا شبهة فيه ولا ريب لأن أولاده وذريته وشيعتهم كانوا يزورونه في هذا الموضع وأعرف الناس بقبر الميت أهله وأتباعه وعليه جميع الشيعة وأئمة أهل البيت وجميع المسلمين إلا من شذ . وفي تذكرة الخواص : حكى أبو نعيم الأصفهاني أن الذي على النجف إنما هو قبر المغيرة بن شعبة قال ولو علم به زواره لرجموه قلت وهذا من أغلاط أبي نعيم فإن المغيرة بن شعبة لم يعرف له قبر وقيل أنه مات بالشام قال المفيد في الإرشاد لم يزل قبره عليه السلام مخفياً (لا يعرفه غير بنيه وخواص شيعتهم) حتى دل عليه الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام في الدولة العباسية وزاره عند وروده إلى أبي جعفر وهو بالحيرة فعرفته الشيعة واستأنفوا إذ ذاك زيارته . قال صفوان بن مهران الجمال فيما روي عنه في فرحة الغري : لما وافيت مع جعفر الصادق عليه السلام الكوفة يريد أبا جعفر المنصور قال لي يا صفوان انخ الراحلة فهذا قبر جدي أمير المؤمنين فانختها ثم نزل فاغتسل وغير ثوبه وتحفى وقال لي :

افعل مثلما افعل ثم أخذ نحو الذكوة وقال لي قصر خطاك (طلباً لثواب زيادة الخطى) إلى أن قال ثم مشى ومشيت معه وعلينا السكينة والوقار نسبح ونقدس ونهلل إلى أن بلغنا الذكوات فوقف ونظر يمنة ويسرة وخط بعكازته فقال لي اطلب فطلبت فإذا أثر القبر ثم أرسل دمعه وقال : السلام عليك أيها الوصي إلى آخر الزيارة (إلى أن قال) قلت سيدي تأذن لي أن أخبر أصحابنا من أهل الكوفة به فقال نعم وأعطاني دراهم وأصلحت القبر (وفي رواية) عن الصادق عليه السّلام أنه قال لما كنت بالحيرة عند أبي العباس (يعني السفاح) كنت آتي قبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه ليلاً بناحية نجف الحيرة إلى جانب غري النعمان فاصلي عنده صلاة الليل وانصرف قبل الفجر (وفي رواية) عن صفوان الجمال قال حملت جعفر بن محمد عليهما السّلام فلما انتهيت إلى النجف قال يا صفوان تياسر حتى تجوز الحيرة فتأتي القائم فبلغت الموضع الذي وصف فتزل وتوضأ ثم تقدم هو وعبد الله بن الحسن فصلياً عند قبر فلما قضيا صلاتهما قلت جعلت فداك أي موضع هذا القبر قال هذا قبر علي بن أبي طالب وهو القبر الذي تأتية الناس هناك (وينبغي) أن يكون هذا في خلافة السفاح لأنه هو الذي وفد عليه عبد الله بن الحسن وعن فرحة الغري بسنده عن عبد الله بن عبيد بن زيد قال رأيت جعفر بن محمد وعبد الله بن الحسن بالغري عند قبر أمير المؤمنين عليه السّلام (وروى) ابن قولويه في كتاب كامل الزيارة بسنده عن صفوان الجمال قال سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن موضع قبر أمير المؤمنين عليه السّلام فوصف لي موضعه حيث دكادك^(١) الميل فاتيتة فصليت عنده ثم عدت إلى أبي عبد الله عليه السّلام من قابل فأخبرته

(١) الدكادك جمع دكدك ما يكبس من الرمل أو أرض فيها غلظ والميل ثم الغري الذي مر تفسيره في الحاشية السابقة .

بذهابي وصلاتي عنده فقال أصبت فمكثت عشرين سنة أصلي عنده .
(أقول) : صفوان كان جمالاً يسافر بجماله من الحجاز إلى العراق
وبالعكس فكان كلما سافر إلى العراق يصلي عند القبر الشريف وكان هذا
كان قبل أن يركب معه الصادق عليه السّلام من الحجاز إلى العراق كما
مر فدلّه على القبر فعرفه بالوصف ثم لما حمّله على جمّله دلّه على
موضعه بالتعيين وكان من أصحاب الصادق عليه السّلام وشيعته (وفي
عدة روايات) عن الصادق عليه السّلام أنه لما أتى الكوفة صلى ركعتين
ثم تنحى فصلى ركعتين ثم تنحى فصلى ركعتين فسأل عن ذلك فقال
الأولى موضع قبر أمير المؤمنين والثانية موضع رأس الحسين^(١) والثالثة
موضع منبر القائم عليهم السّلام وقد دلّ الصادق عليه السّلام جماعة من
أصحابه على قبر أمير المؤمنين عليه السّلام بظهر الكوفة في المكان
المعروف منهم أبو بصير وعبد الله بن طلحة ومعلّى بن خنيس ويونس بن
ظبيان ووزارة وغيرهم وقبل ذلك جاء الإمام علي زين العابدين عليه السّلام
من الحجاز إلى العراق مع خادم له لزيارته فزاره ثم رجع ولكن لم يعرفه
جميع الناس ثم عرفه وأظهره الرشيد العباسي بعد سنة ١٧٠ فعرفه عامة
الناس روى المفيد في الإرشاد عن محمد بن زكريا : حدثنا عبد الله بن
محمد بن عبد الله عن ابن عائشة حدثني عبد الله بن حازم قال خرجنا يوماً
مع الرشيد من الكوفة تنصيد فصرنا إلى ناحية الغريين والثوية فرأينا طباء
فأرسلنا عليها الصقور والكلاب فجاولتها ساعة ثم لجأت الطباء إلى أكمه
فوقفت عليها فسقطت الصقور ناحية ورجعت الكلاب فعجب الرشيد من
ذلك ثم إن الطباء هبطت من الأكمة فهبطت الصقور والكلاب فرجعت
الطباء إلى الأكمة فتراجعت عنها الصقور والكلاب فعلت ذلك ثلاثاً فقال
الرشيد اركضوا فمن لقيتموه فأتوني به فاتيناه بشيخ من بني أسد فقال له

(١) لما روي من أن رأس الحسين مدفون مما يلي رأس أمير المؤمنين عليهما السّلام .

هارون أخبرني ما هذه الأكمة قال إن جعلت لي الأمان أخبرتك قال لك عهد الله وميثاقه أن لا أهيجك ولا أؤذيك قال حدثني أبي عن آبائه أنهم كانوا يقولون أن في هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب جعله الله حرمًا لا يأوي إليه شيء إلا أمن فتزل هارون فدعا بماء فتوضأ وصلى عند الأكمة وتمرغ عليها وجعل يبكي ثم انصرفنا قال محمد بن عائشة وكان قلبي لا يقبل ذلك فحججت إلى مكة فرأيت بها ياسراً خادم الرشيد فقال قال لي الرشيد ليلة من الليالي وقد قدمنا من مكة فتزلنا الكوفة يا ياسر قل لعيسى بن جعفر فليركب فركبا جميعاً وركبت معهما حتى إذا صرنا إلى الغريين فأما عيسى فطرح نفسه فنام وأما الرشيد فجاء إلى اكمة فصلى عندها فكلما صلى ركعتين دعا وبكى وتمرغ على الأكمة ثم يقول يا ابن عم أنا والله أعرف فضلك وسابقتك وبك والله جلست مجلسي الذي أنا فيه وأنت وأنت ولكن ولدك يؤذونني ويخرجون علي ثم يقوم فيصلني ثم يعيد هذا الكلام ويدعو ويبكي حتى إذا كان وقت السحر قال لي يا ياسر اقم عيسى فاقمته فقال له يا عيسى قم فصل عند قبر ابن عمك قال له وأي ابن عم مني هذا قال هذا قبر علي بن أبي طالب فتوضأ عيسى وقام يصلي فلم يزال كذلك حتى طلع الفجر فقلت يا أمير المؤمنين ادركك الصبح فركبنا ورجعنا إلى الكوفة .

تعمير القبر الشريف العمارة الأولى

أول من عمّره هارون الرشيد بعد سنة ١٧٠ وما في بعض الكتب من أن ذلك كان سنة ١٥٥ اشتباه لأن الرشيد استخلف سنة ١٧٠ ومات سنة ١٩٣ وإظهاره القبر وتعميره إنما كان في خلافته قال الديلمي الحسن بن أبي الحسن محمد في إرشاد القلوب بعدما ذكر مجيء هارون إلى القبر : وأمر أن تبنى عليه قبة بأربعة أبواب . وقال أحمد بن علي بن الحسين الحسيني في كتابه عمدة الطالب بعدما ذكر زيارة الرشيد للقبر الشريف : ثم إن هارون أمر فبنى عليه قبة وأخذ الناس في زيارته والدفن لموتاهم حوله وقال السيد عبد الكريم بن أحمد بن طاوس الحسيني في كتاب فرحة الغري : ذكر ابن طحال أن الرشيد بنى عليه بنياناً بأجر أبيض أصغر من هذا الضريح اليوم من كل جانب ذراع ولما كشفنا الضريح الشريف وجدنا مبنياً عليه تربة وجصاً وأمر الرشيد أن يبنى عليه قبة فبنيت من طين أحمر وعلى رأسها جرة خضراء وهي في الخزانة اليوم .

ويظهر من حديث رواه السيد عبد الكريم بن طاوس في كتاب فرحة الغري الأنف الذكر أن داود العباسي^(١) عمل على القبر صندوقاً

(١) ذكر بعض المعاصرين أن داود هذا هو داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن =

وقال أبو الحسن علي بن الحسن بن الحجاج أنه رأى هذا الصندوق لطيفاً قال السيد عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن طاوس في فرحة الغري : اخبرني عمي السعيد علي بن موسى بن طاوس والفقيه نجم الدين أبو القاسم بن سعيد والفقيه المقتدى بقية المشيخة نجيب الدين يحيى بن سعيد ادام الله بركاتهم كلهم عن الفقيه محمد بن عبد الله بن زهرة الحسيني عن محمد بن الحسن العلوي الساكن بمشهد الكاظم عليه السلام عن القطب الراوندي عن محمد بن علي بن المحسن الحلبي عن الشيخ الطوسي ونقلته من خطه حرفاً حرفاً عن المفيد محمد بن محمد بن النعمان عن محمد بن أحمد بن داود عن أبي الحسين محمد بن تمام الكوفي حدثنا أبو الحسن علي بن الحسن بن الحجاج من حفظه قال كنا جلوساً في مجلس ابن عمي أبي عبد الله محمد بن عمران بن الحجاج وفيه جماعة من أهل الكوفة من المشايخ وفيمن حضر العباس بن أحمد العباسي وكانوا قد حضروا عند ابن عمي يهنونه بالسلامة لأنه حضر وقت سقوط سقفة سيدي أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في ذي الحجة سنة ٢٧٣ فبيناهم قعود يتحدثون إذ حضر المجلس إسماعيل بن عيسى العباسي فاحجمت الجماعة عما كانت فيه وأطال إسماعيل الجلوس فقال يا أصحابنا أعزكم الله لعلي قطعت حديثكم بمجيئي فقال أبو الحسن علي بن يحيى السليماني وكان شيخ الجماعة ومقهماً فيهم لا والله يا أبا عبد الله أعزك الله ما أمسكنا لحال من الأحوال فقال لهم يا أصحابنا اعلموا أن الله عز وجل مسائلني عما أقول لكم وما أعتقده من المذهب حتى حلف بعق

= عبد الله بن عباس لكن سيأتي أن إسماعيل بن عيسى قال عمي داود وإذا كان هو ابن عيسى يكون أخاه لا عمه إلا أن يكون إسماعيل وأبوه كلاهما يسمى عيسى أو غير ذلك .

جواريه ومماليكه وحبس دوابه أنه لا يعتقد إلا ولاية علي بن أبي طالب والسادة من الأئمة وعدهم واحداً واحداً فانبسط إليه أصحابنا ثم قال لهم رجعنا يوم الجمعة من الصلاة مع عمي داود فقال لنا أينما كنتم قبل أن تغرب الشمس فصيروا لي ولا يتخلف منكم أحد وكان جمرة بني هاشم فصرنا إليه فقال صيحوا بفلان وفلان من الفعلة فجاءه رجلان معهما ألتهما فقال لنا اركبوا في وقتكم هذا وخذوا معكم الجمل غلاماً كان له أسود يعرف بالجمل وكان هذا الغلام لو حمل على سكر دجلة لسكرها من شدته وبأسه وأمضوا إلى هذا القبر الذي قد افتتن به الناس ويقولون أنه قبر علي حتى تنبشوه وتجيؤوني بأقصى ما فيه فمضينا إلى الموضع فحفر الحفارون وهم يقولون لا حول ولا قوة إلا بالله في أنفسهم حتى نزلوا خمسة أذرع فقالوا قد بلغنا إلى موضع صلب وليس نقوى بنقره فانزلوا الحبشي فأخذ المنقار فضرب ضربة سمعنا لها طينياً شديداً ثم ضرب ثانية فسمعنا طينياً أشد ثم ضرب الثالثة فسمعنا طينياً أشد ثم صاح الغلام صيحة فقلنا اسأله ما باله فلم يجبهم وهو يستغيث فشدوه بالحبل وأخرجوه فإذا على يده من أطراف أصابعه إلى مرافقه دم وهو يستغيث لا يكلمنا ولا يحير جواباً فحملناه على بغل ورجعنا طائرين حتى انتهينا إلى عمي فأخبرناه فالتفت إلى القبلة وتاب ورجع عن مذهبه وركب بعد ذلك في الليل إلى مصعب بن جابر فسأله أن يعمل على القبر صندوقاً ولم يخبره بشيء مما جرى ووجه من طم الموضع وعمر الصندوق عليه قال أبو الحسن بن حجاج رأينا هذا الصندوق الذي هذا حديثه لطيفاً (إلى أن قال) : هذا آخر ما نقلته من خط الطوسي (رض) - ورواه الشريف أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن الشجري بإسناده نحوه ، قال الفقيه صفي الدين محمد بن معد : وقد رأيت هذا الحديث بخط أبي يعلى محمد بن حمزة الجعفري صهر

الشيخ المفيد والجالس بعد وفاته مجلسه أقول وقد رأيته بخط أبي يعلى الجعفري أيضاً في كتابه كما ذكره صفى الدين المراد نقله من كلام ابن طاوس في فرحة الغري .

العمارة الثانية

عمارة محمد بن زيد الحسنى الملقب بالداعي الصغير صاحب بلاد الديلم وطبرستان فلما أمر بعمارته وعمارة الحائر بكربلاء والبناء عليهما بعد سنة ٢٧٩ وبني على المشهد العلوي حصناً فيه سبعون طاقاً ، وهو محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب بالداعي الصغير ملك طبرستان بعد أخيه الحسن بن زيد ، وأقام بها سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وخطب له رافع بن هرثمة بنيسابور ثم سار إلى خراسان لما بلغه أسر الصفار ليستولي عليها ، وحاربه محمد بن هارون السرخسي صاحب إسماعيل بن أحمد الساماني وجرى بينهما قتال شديد ثم انهزم عسكر العلوي وجرح جراحات عديدة ومات منها بعد أيام ٢٨٧ وأسر ابنه زيد بن محمد في المعركة وحمله إلى إسماعيل الساماني فأكرمه ووسع عليه وحمل رأسه إلى إسماعيل إلى بخارى ودفن بدنه بجرجان عند قبر الدياج محمد بن الصادق . قال ابن طاوس في فرحة الغري أن محمد بن زيد الداعي بنى المشهد الشريف الغروي أيام المعتضد والمعتضد ببيع سنة (٢٧٩) وتوفي (٢٨٩) . وعن محمد بن أبي طالب في كتابه زينة المجالس أنه قال : إلى أن خرج الداعيان الحسن ومحمد ابنا زيد بن الحسن فأمر محمد بعمارة المشهدين مشهد أمير المؤمنين ومشهد أبي عبد الله الحسين وأمر بالبناء عليهما وممن ذكر بناء محمد بن زيد العلوي محمد بن طحال فيما حكى عنه .

ويدل بعض الأخبار الذي بناه الحسن بن زيد الملقب بالداعي الكبير أخو محمد بن زيد المتقدم ظهر بطبرستان سنة ٢٥٠ وتوفي سنة ٢٧٠ قتله مرداويج الديلمي ففي ذيل خبر داود العباسي المتقدم الذي مر أنه عمر عليه الصندوق قال أبو الحسن بن حجاج رأينا هذا الصندوق الذي هذا حديثه لطيفاً وذلك قبل أن يبنى عليه الحائط الذي بناه الحسن بن زيد ، وفي ذيل حديث ابن الشجري المشار إليه آنفاً وذلك قبل أن يبنى عليه الحائط الذي بناه الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالداعي الخارج بطبرستان « اهـ » ولعله وقع اشتباه من النساخ أو بعض المؤلفين فأبدل اسم محمد باسم أخيه الحسن أو أن الحسن كان قد بنى عليه حائطاً ثم بناه أخوه محمد فجعل له حصناً بسبعين طاقاً كما مر وبعد ذلك زيد فيه .

وممن عمره الشريف عمر بن يحيى بن الحسين بن أحمد بن عمر المقتول سنة ٢٥٠ ابن يحيى بن الحسين ذي الدمعة بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . في مستدركات الوسائل أن عمر الثاني هذا رد الله على يده الحجر الأسود لما نهبت القرامطة مكة سنة ٣٢٣ وبنى قبة جده أمير المؤمنين عليه السلام من خالص ماله .

هذا ولكن يظهر من بعض الروايات أن ابن زيد هو أول من بنى على القبر الشريف وأنه قبل عمارته لم يكن عليه بناء ولم يكن عليه شيء وما كان إلا الأرض وهو ينافي ما مر من أن أول من بناه الرشيد وأن داود العباسي عمل له صندوقاً ، فمن الطبري في دلائل الإمامة عن حبيب بن الحسين عن عبيد بن خارجة عن علي بن عثمان عن فرات بن احنف عن الصادق عليه السلام في حديث زيارته لأمير المؤمنين عليه السلام قال : ها هنا قبر أمير المؤمنين ، أما أنه لا تذهب الأيام حتى يبعث الله رجلاً

ممتحناً في نفسه بالقتل يبنى عليه قال حبيب بن الحسين سمعت هذا الحديث قبل أن يبنى على الموضع شيء ثم إن محمد بن زيد وجه فبنى عليه . وعن كتاب المنتظم لأبي الفرج الجوزي : انبأنا شيخنا أبو بكر بن عبد الباقي سمعت أبا الغنائم ابن السرسي كان يقول توفي بالكوفة ٣١٣ من الصحابة لا يدري أحد منهم قبره إلا قبر علي ، وجاء جعفر بن محمد ومحمد بن علي بن الحسين فزارا الموضع من قبر أمير المؤمنين علي ولم يكن إذ ذاك القبر وما كان إلا الأرض حتى جاء محمد بن زيد الداعي فأظهر القبر . ولكن ما تقدم يؤكد بناء الرشيد عليه لا سيما قول ابن طائوس أن الجرة الخضراء التي كانت على أعلى القبة موجودة في الخزانة ، ويمكن أن يكون بناء الرشيد قد انهدم ودرس لا سيما أنه كان من طين أحمر وأما بناؤه القبر بالأجر الأبيض فالظاهر أنه كان تحت الأرض ولم يكن ظاهراً منه إلا قدر أربع أصابع أو نحو ذلك فطمر بالرمال على طول المدة .

العمارة الثالثة

عمارة السلطان عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمي في أيام الطائع فإنه عمّر المشهدين العلوي والحسيني وبلغ الغاية في تعظيمهما والأوقاف عليهما وعمّر مشهد أمير المؤمنين عليه السلام عمارة عظيمة وأنفق عليه أموالاً جلية وستر حيطانه بخشب الساج المنقوش ووقف له الأوقاف وبنى عليه قبة بيضاء ، وفيها يقول ابن الحجاج الشاعر المشهور :

يا صاحب القبة البيضاء على النجف من زار قبرك واستشفى لديك شفي
وملك عضد الدولة العراق سنة ٣٦٧ وتوفي (٣٧٢) والظاهر أن
العمارة كانت سنة ٣٦٩ فما يوجد في بعض المؤلفات أن عمارته كانت

سنة ٣٣٨ وما في بعضها أنها كانت سنة ٣٧٦ اشتباه لأن التاريخ الأول متقدم على ولايته العراق والثاني متأخر عن وفاته . قال الديلمي في إرشاد القلوب بعدما ذكر أن الرشيد أمر أن يبنى عليه قبة بأربعة أبواب : وبقي إلى أيام السلطان عضد الدولة فجاء فأقام في ذلك الطريق قريباً من سنة هو وعساكره وبعث فأتي بالصناع والأستاذية من الأطراف وخرب تلك العمارة وصرف أموالاً كثيرة جزيلة وعمر المشهدين عمارة جليلة حسنة هي العمارة التي كانت قبل عمارة اليوم وظاهره أن العمارة التي كانت قبل عمارة عضد الدولة هي عمارة الرشيد مع أنها عمارة الحسن بن زيد . وفي عمدة الطالب عند ذكره لهذه العمارة قال : وعين له أوقافاً ولم تزل عمارته باقية إلى سنة ٧٥٣ وكان قد ستر الحيطان بخشب الساج المنقوش فاحترقت تلك العمارة وجددت عمارة المشهد على ما هي عليه الآن ولم يبق من عمارة عضد الدولة إلا القليل وقبور آل بويه هناك ظاهرة مشهورة لم تحترق . ولكن عن آخر كتاب الأماقي في شرح الايلاقي لعبد الرحمن العتايقي الحلبي المجاور بالنجف الأشرف في نسخته المخطوطة في الخزانة العلوية الذي تم كتابة في المحرم سنة ٧٥٥ قال : في هذه السنة احترقت الحضرة الغروية صلوات الله على مشرفها وعادت العمارة وأحسن منها في سنة (٧٦٠) وهو أعرف بتاريخ احتراقها من صاحب إرشاد الديلمي لأنه شاهده وذلك متأخر عنه لأنه توفي (٨٤١) وأراد عضد الدولة أن يجري الماء من الفرات إلى النجف تحت الأرض لأن مكانه مرتفع لا يمكن أن يصل إليه الماء على وجه الأرض فحفر إلى جهة الشمال فنبعت في أثناء الحفر عين منعت من مواصلة الحفر لكن ماءها ليس بشروب فاكتفى بها للارتفاع بغير الشرب وساق ماءها إلى آباء عميقة محكمة البناء ووصل بينها بقنوات محكمة يسير فيها الفارس فيجري الماء من بئر إلى بئر ثم يخرج ما يفضل منه

إلى جهة المغرب ، ثم حفر الناس بعد ذلك آباراً آخر منها موصول بتلك الآبار ومنها غير موصول ولذلك كانت بعضها آباراً شرعية وبعضها حكم مائها حكم الماء الجاري . والسرايب التي لها شبائيك إلى تلك الآبار يأتي إليها الهواء البارد في الصيف لاتصال بعضها ببعض ، وقد شاهد عمارة عضد الدولة ابن بطوطة في رحلته وكانت سنة ٧٢٧ فقال : دخلنا من باب الحضرة حيث القبر الذي يزعمون أنه قبر علي عليه السلام وبازائه المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة وحيطانها بالقاشاني وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة ولكل وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر ومن تلك المدرسة يدخل إلى باب القبة ثم أشار إلى الاستئذان وتقبيل العتبة قال وهي من الفضة وكذلك العضادتان ثم يدخل الزائر القبة وفي وسطها مصطبة مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل مسمرة بمسامير الفضة قد غلب على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء وارتفاعها دون القامة وفوقها ثلاثة قبور يزعمون أنها قبر آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام وعلي رضي الله عنه وبين القبور طشوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب يغمس الزائر في ذلك يده ويدهن به وجهه تبركاً وللقبة باب آخر عتبه أيضاً من الفضة يفضي إلى مسجد وله أبواب أربعة عتبتها فضة وذلك هو الذي بناه عمران بن شاهين في أيام عضد الدولة بعد عمارة عضد الدولة وقوله أن بين القبور طشوت ذهب وفضة لعله اشتباه منه فرأى أواني تشبه الذهب والفضة فظنهما منهما فاستعمال أواني الذهب والفضة محرم لا يمكن أن يرخص فيه العلماء ولا أن يستعمل من دون إذنهم . وقال ابن طائوس في فرحة الغري : إن عضد الدولة بنى الرواق المعروف برواق عمران في المشهدين الشريفين الغروي والحائري على مشرفهما السلام وإلى الآن يعرف الباقي

منه في دهليز باب الطوسي بمسجد عمران . وبلغ عضد الدولة الغاية في تعظيم المشهد وبنى لنفسه قبة عظيمة في النجف بجوار المشهد من جهة الغرب وأوصى أن يدفن فيها فدفن هناك وبقيت القبة حتى هدمها السلطان سليمان العثماني لما دخل العراق سنة ٩٤٠ وجعلها تكية للبكتاشية وبقيت إلى هذا الزمان وبابها في الجهة الغربية من الصحن الشريف . وبعض يظن أن الذي فعل ذلك هو السلطان سليم والصواب أنه ولده سليمان وإنما نسب إلى سليم لشهرته . وحكى بعض المعاصرين عن صاحب خريدة العجائب أنه قال عند ذكر الكوفة وفيها قبة عظيمة يقال إنها قبر علي بن أبي طالب والقبة بناء أبي العباس عبد الله بن حمدان في دولة بني العباس . وفي نزهة الجليس للسيد عباس الموسوي العاملي المكي أنه قد عقدت على قبر آدم ونوح وعلي عليهم السلام قبة عظيمة وأول من عقد هذه القبة عليهم عبد الله بن حمدان في دولة بني العباس ثم عمرها الملوك من بعده وعبد الله هذا هو والد سيف الدولة الملقب بأبي الهيجاء ولاء المكتفي إمارة الموصل سنة ٢٩٣ ، وإذا صحت هذه الرواية كان بناء عبد الله بن حمدان قبل بناء عضد الدولة لأن ابن حمدان توفي قبل سنة ٣١٧ وعضد الدولة توفي سنة ٧٧٢ ولكن لم نجد من ذكر بناء عبد الله بن حمدان غيرهما والله أعلم .

العمارة الرابعة

التي حصلت بعد عمارة عضد الدولة التي احترقت كما مر فجددت سنة ٧٦٠ ولا يعلم مجدددها وربما تكون من جماعة لا من شخص واحد ولذلك لم يذكر مجدددها والعادة قاضية بأنها لو كانت من شخص واحد لذكر اسمه خصوصاً إذا كان معروفاً وخصوصاً ممن شاهدها كابن العتايقي كما مر . وفي أثناء هذه المدة حدثت فيه إصلاحات وعمارات من البويهيين والحمدانيين وبعض العباسيين وبني جنكيز والایلخانين وغيرهم .

العمارة الخامسة

الموجودة اليوم والمشهور بين أهل النجف أنها للشاه عباس الصفوي الأول وأن المباشرة والمهندس لها الشيخ البهائي فجعل القبة خضراء بعدما كانت بيضاء ولكن في رسالة نزهة أهل الحرمين أن الابتداء بها كان بأمر الشاه صفي الصفوي سنة ١٠٤٧ كما ذكره صاحب البحر المحيط واشتغلوا بها إلى أن توفي الشاه صفي سنة ١٠٥٢ فأتى ابنه الشاه عباس الثاني وما اشتهر بين أهل النجف أنها عمارة الشاه عباس بهذا الاعتبار ثم استشهد على ذلك بكلام السيد شرف الدين علي النجفي في حواشيه على اثني عشرية صاحب المعالم حيث قال عند ذكر محراب مسجد الكوفة وحائطه القبلي وأن فيهما تيامناً عكس ضريحه المقدس ما لفظه : وعند عمارته بأمر السلطان الأعظم الشاه صفي قلت للمعمار غيره إلى التيامن فغيره ومع هذا فله تياسر في الجملة ومخالف لمحراب الكوفة واستشهد أيضاً بقول الشيخ محمد بن سليمان بن زوير السليمانى : الذي ثبت عندي أن أول عمارته الموجودة الآن كانت سنة ١٠٥٧ والشاه صفي توفي (١٠٥٢) والمشهور بين أهل المشهد أن العمارة كانت في أكثر من عشرين سنة ولا يستقيم ذلك إلا بأن يكون مبدأ العمارة كان زمن الشاه صفي وإتمامها على يد الشاه عباس . أقول كلام السيد شريف الدين يدل على عمارته بأمر الشاه صفي ولا ينبغي أن يكون عمر قبل ذلك بأمر الشاه عباس الأول فقد بقي في الملك ٧٢ سنة فيمكن أن يكون عمره في أوائل سلطنته ثم وقع فيه خلل فأعاده حفيده الشاه صفي وأما كلام السليمانى فظاهر أنه اجتهد لقوله : الذي ثبت عندي وبناءه أن إكمال عمارته على يد الشاه عباس الثاني على ما اشتهر بين أهل المشهد فإذا كانت للشهرة بينهم قيمة فليعتبر ما اشتهر بينهم أن مؤسسها الشاه عباس الأول ويحصل الجمع بذلك على أن امتداد العمارة

أكثر من عشرين سنة والأمر بها ملك عظيم بعيد عن الاعتبار على أن المحكي عن المنتظم الناصري في حوادث سنة ١٠٤٢ أن الشاه صفي حينما زار المشهد الشريف رأى بعض النقصان في بناء المرقد فأمر وزيره ميرزا تقي المازندراني بإصلاح تلك الأماكن المشرفة فجاء بالمعمارين والمهندسين إلى النجف ومكث فيها ثلاث سنين مشغولاً بهذا العمل وهو ينافي ما تقدم عن السليمانى ولعله الصواب هذا مع ما يظهر من بعض القيود أن الشاه صفي وسع الصحن الشريف وزاد عليه والله أعلم ثم جدد عمارة الصفوية السلطان نادر الأفشاري وزاد عليها وزخرف القبة الشريفة ومنارتي المشهد وإيوانه بالذهب الإبريز بعد فتحه الهند كما هي عليه اليوم ويقال أن على كل لبنة تومناً نادرياً من الذهب وأهدى إلى المشهد الشريف من الجواهر والتحف شيئاً كثيراً وذلك في سنة ١١٥٦ أو ٥٤ وكتب اسمه داخل طاق الباب الشرقي هكذا (المتوكل على الملك القادر السلطان نادر) وتحت تاريخ لم يبق بذاكرتي وأظنه التاريخ السابق وعمر فيه الشاه أحمد ناصر الدين القاجاري بعد ذلك وتنافس الملوك والأمراء في عمارته والإهداء إليه وأهدى إليه السلطان عبد العزيز العثماني شمعدانين عظيمين من الفضة المؤزرة بالذهب على أبداع شكل وكذلك إلى مشهد الحسين عليه السلام ومثلهما إلى مشهدي الكاظمية وسامراء ومشهد الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد .

أسوار النجف

لما كانت النجف على طرف البرية المتصلة ببر الشام وكان يخشى عليها من غزو الأعراب وغيرهم اجتهد ملوك الشيعة وأمراؤها في حفظها ورد عادية الغزاة عنها فبنوا عليها سوراً وجددوه كلما اقتضى الحال .

السور الأول

بناه عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمي ملك العراق حين عمر

الحضرة الشريفة بين سنة ٣٦٧ و ٣٧٢ كما مر .

السور الثاني

بناه الحسن بن سهلان وزير سلطان الدولة بن بويه الديلمي سنة ٤٠٠ كما ذكره ابن الأثير وغيره وذلك أنه مرض فنذر إن عوفي أن يبني عليها سوراً فعوفي فأمر ببناؤه أما بأن يكون الأول قد استهدم فهدمه وأعاد بناءه أو بنى سوراً أوسع من الأول وهدم الأول .

السور الثالث

بناه بعض ملوك الهند كما عن بستان السياحة ويقال أنه أوسع من السور الثاني ويقال أن نادر شاه حين مجيئه للنجف أم بتسويرها وكان مجيئه إليها سنة ١١٥٦ ولعله أصلح السور السابق .

السور الرابع

بناه نظام الدولة محمد حسين خان العلاف الأصفهاني وزير فتحعلي شاه القاجاري وهو أعلى الأسوار التي بنيت وأحكمها وهو الموجود الآن وفي هذه السنين هدم كثير منه لعدم الحاجة إليه .

مؤلفات امير المؤمنين عليه السلام

- (١) جمع القرآن وتأويله أو جمعه على ترتيب النزول كما مر في المقدمات .
- (٢) كتاب أملى فيه ستين نوعاً من أنواع علوم القرآن وذكر لكل نوع مثلاً يخصه وذكرنا في المقدمات سندنا إليه .
- (٣) الجامعة (٤) الجفر (٥) صحيفة الفرائض (٦) كتاب في زكاة النعم (٧) كتاب في أبواب الفقه (٨) كتاب آخر في الفقه (٩) عهده للأشتر (١٠) وصيته لمحمد بن الحنفية (١١) كتاب عجائب أحكامه وقضاياه وقد جمعها جماعة من العلماء وجمعناها نحن في كتاب وأدرجنا فيه كتاب عجائب أحكامه رواية محمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي عن أبيه عن جده (مطبوع) (١٢) ما أثر عنه من الأدعية والمناجاة جمعه بعض العلماء وسماه الصحيفة العلوية (ط) (١٣) مسنده الذي جمعه النسائي أي ما أثر عنه من الأحاديث والروايات . في كشف الظنون ما صورته : مسند علي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفي سنة ٣٠٣ (هـ) وهو غير كتاب خصائص النسائي في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام الذي ذكر في كشف الظنون أيضاً . والثلاثة الأخيرة إنما يمكن عدها من مؤلفاته بنوع من التوسع (١٤) جنة الأسماء . في كشف الظنون ما صورته : جنة الأسماء للإمام علي بن أبي طالب شرحها

الإمام حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ كذا وجدت في بعض الكتب (اهـ) ولم يظهر ما هي جنة الأسماء هذه التي شرحها الغزالي وما هي جهة نسبتها إلى أمير المؤمنين عليه السلام ولعله وقع تحريف في الكلام .

الكتب المجموعة من كلامه عليه السلام

قال ابن أبي الحديد أنه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دون له . ونذكر هنا أسماء ما أطلعنا عليه مما دون من كلامه عليه السلام (١) نهج البلاغة جمعه الشريف الرضي طبع عدة مرات (٢) ما فات نهج البلاغة من كلامه جمعه الفاضل المعاصر الشيخ هادي ابن الشيخ عباس ابن الشيخ حسن ابن الشيخ جعفر الفقيه النجفي الشهير ط (٣) مائة كلمة جمع الجاحظ ط (٤) غرر الحكم ودرر الكلم جمع عبد الواحد بن محمد عبد الواحد الأمدي التميمي جمعه من حكمه القصيرة يقارب نهج البلاغة ودعاه إلى جمعه ما تبجح به الجاحظ في جمعه المائة كلمة ط (٥) دستور معالم الحكم ط (٦) نثر اللاليء جمع أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب مجمع البيان ط (٧) كتاب مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب جمع أبي إسحاق الوطواط الأنصاري فيه مائة من الحكم المنسوبة إليه طبع في لبسك وبولاق وترجم إلى الفارسية والألمانية (٨) قلائد الحكم وفرائد الكلم جمع القاضي أبي يوسف يعقوب بن سليمان الأسفرايني (٩) كتاب معميات علي عليه السلام (١٠) أمثال الإمام علي بن أبي طالب طبع الجوائب مرتب على حروف المعجم (١١) ما جمعه المفيد في كتاب الإرشاد من كلامه عليه السلام (١٢) ما اشتمل عليه كتاب صفين لنصر بن مزاحم من خطبه وكتبه (١٣) ما اشتمل عليه كتاب جواهر المطالب من كلامه إلى غير ذلك .

أقوال الصحابة والتابعين في علي عليه السلام

من المعيب أن نستدل على فضل علي بن أبي طالب عليه السلام بأقوال الصحابة والتابعين ، وهم لولا جهاده وأثاره لكانوا في طي النسيان ، وعالم الإهمال ، وما قيمة ما ذكروه بعد قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم له : يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا ، وناهيك بهذا شرفاً وفخراً .

نعم ، إيراد كلمات هؤلاء الأعلام تعطينا صورة صادقة عن إكبار المخالف والمؤلف لعلي بن أبي طالب ، وهيام الجميع بحبه ، وحفظهم لفضائله .

وقد استغنينا بكلمات الصحابة والتابعين عن إيراد كلمات العلماء والعظماء لكثرتها ، فهي فوق الحصر ، فلا يوجد كتاب في التاريخ الإسلامي أو التراجم والسير ، إلا واسم علي بن أبي طالب يلمع في كل فصل من فصوله ، ولم يترجم أحد للخالدين إلا وصدره باسم علي بن أبي طالب .

نذكر من كلماتهم :

١ - قال أبو بكر لأمر المؤمنين عليه السلام : أمسيت يا ابن أبي

طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة^(١) .

٢ - قال عمر بن الخطاب : لولا علي لهلك عمر^(٢) .

وقال أيضاً : لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن^(٣) .

وقال أيضاً : لا يفتن أحد في المسجد وعلي حاضر^(٤) .

وقال أيضاً : لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب^(٥) .

وقال أيضاً : علي أقضانا^(٦) .

وقال أيضاً : اللهم لا تبقي لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب^(٧) .

٣ - قال عثمان بن عفان : لولا علي لهلك عثمان^(٨) .

٤ - قال عبد الله بن مسعود : كنا نتحدث أن أفضى المدينة

علي بن أبي طالب^(٩) .

٥ - قال سعيد بن المسيب : ما كان أحد من الناس يقول سلوني

غير علي بن أبي طالب^(١٠) .

٦ - قال سعد بن أبي وقاص لمعاوية لما سأله : ما يمنعك أن تسب

أبا تراب ؟

(١) الفتوحات الإسلامية ٢/ ٤٧٠ . قالها بعد أن قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من

كنت مولاه فعلي مولاه .

(٢) شرح نهج البلاغة ٦/ ١ . تذكرة الخواص ص ٨٧ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٦ . أسد الغابة ٤/ ٢٢٠ . تهذيب التهذيب ٧/ ٣٣٧ .

(٤) شرح نهج البلاغة ٦/ ١ .

(٥) تذكرة الخواص ٨٨ .

(٦) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٣٧ .

(٧) تذكرة الخواص ٨٧ .

(٨) الغدير ٨/ ٢١٤ عن زين الفتى في شرح سورة هل أتى .

(٩) أسد الغابة ٤/ ٢٢ . الأئمة الإثنا عشر لابن طولون ٥٠ .

(١٠) أسد الغابة ٤/ ٢٢ . الأئمة الإثنا عشر لابن طولون ٥١ .

قال : أما ما ذكرت ثلاث قالهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلن أسبه ، لأن يكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي وقد خلفه في بعض مغازيه فقال له علي : يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؛ وسمعت يقول له يوم خيبر : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فتناولنا إليها ، فقال : ادعوا علياً ، فأتاه وبه رمد ، فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ، ففتح الله عليه ؛ وأنزلت هذه الآية : ﴿ قل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهلي^(١) .

٧ - قال زيد بن أرقم : أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب^(٢) .

٨ - خطب الحسن بن علي بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام فقال : لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ، ولا يدركه الآخرون بعمل ، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه ، ولقد كان يوجهه برايته فيكتفه جبرائيل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه^(٣) .

(١) أسد الغابة ٢٦/٤ .

(٢) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣٢/٣ .

(٣) مقاتل الطالبين ٣٥ .

٩ - قالت عائشة : ما رأيت رجلاً أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه ^(١) .

وقالت أيضاً : أما إنه لأعلم الناس بالسنة ^(٢) .

١٠ - قال أبو سعيد الخدري : كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً ^(٣) .

١١ - قال قيس بن سعد بن عبادة لمعاوية بن أبي سفيان : إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين ، فبعثه إلى الناس كافة ، إلى الجن والإنس ، والأحمر والأسود والأبيض ، اختاره لنبوته ، واختصه برسالته ، فكان أول من صدقه وآمن به ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأبو طالب يذب عنه ويمنعه ، ويحول بين كفار قريش وبين أن يردعوه أو يؤذوه ، وأمره أن يبلغ رسالة ربه ، فلم يزل ممنوعاً من الضيم والأذى حتى مات عمه أبو طالب ، وأمر ابنه بمؤازرته ، فأزره ونصره ، وجعل نفسه دونه في كل شديدة وكل ضيق وكل خوف ؛ واختص الله بذلك علياً من بين قريش ، وأكرمه من بين جميع العرب والعجم ، فجمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميع بني عبد المطلب ، منهم أبو طالب وأبو لهب ، وهم يومئذ أربعون رجلاً ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخادمه علي ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجر عمه أبي طالب فقال : أيكم ينتدب أن يكون أخي ووزيرِي ووصي وخليفتي في أمتي ، وولي كل مؤمن بعدي ؟ فسكت القوم ، حتى أعادها ثلاثاً ، فقال علي : أنا يا رسول الله

(١) العقد الفريد ٢/ ٢١٦ .

(٢) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣/ ٤٠ .

(٣) الأئمة الاثنا عشر لابن طولون ٥٦ .

صلى الله عليك ، فوضع رأسه في حجره وتفل في فيه ، وقال : اللهم
املاً جوفه علماً وفهماً وحكماً ، ثم قال لأبي طالب : يا أبا طالب اسمع
الآن لابنك وأطع ، فقد جعله الله من نبيه بمنزلة هارون من موسى ؛
وآخى صلى الله عليه وآله وسلم بين علي وبين نفسه^(١) .

١٢ - قال عبد الله بن عباس لقوم يتناولون علياً : ويحكم أتذكرون
رجلاً كان يسمع وطأ جبرئيل عليه السلام فوق بيته ، ولقد عاتب الله
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن ولم يذكره إلا
بخير^(٢) .

وقال أيضاً : أعطي علي رضي الله عنه تسعة أعشار العلم ، والله
لقد شاركهم في العشر الباقي^(٣) .

وقال أيضاً : لعلي أربع خصال ليست لأحد غيره : وهو أول عربي
وعجمي صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو الذي كان
لواءه معه في كل زحف ، وهو الذي صبر معه يوم فَرَّ غيره ، وهو الذي
غسله وأدخله قبره^(٤) .

١٣ - قال عبد الله بن عمر لنافع بن الأزرق - لما قال : إني أبغض
علياً - أبغضك الله ، أبغض رجلاً سابقة من سوابقه خير من الدنيا وما
فيها^(٥) .

(١) الغدير ١٠٧/٢ .

(٢) تذكرة الخواص ٩٠ ، الاستيعاب بهامش الإصابة ٤٠/٣ .

(٣) الأئمة الإثنا عشر لابن طولون ٥٢ .

(٤) الاستيعاب بهامش الإصابة ٢٧/٣ .

(٥) المناقب ٢٤٠/١ .

وقال أيضاً : ما كنت آسي على شيء إلا أنني لم أقاتل مع علي
الفئة الباغية^(١) .

١٤ - قال سعيد بن العاص : أما إنه ما كان يسرني أن يكون قاتل
أبي غير ابن عمه علي بن أبي طالب^(٢) .

١٥ - كان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب
رضي الله عنه عن ذلك ، فلما بلغه قتله قال : ذهب الفقه والعلم بموت
ابن أبي طالب .

فقال له أخوه عتبة : لا يسمع هذا منك أهل الشام .

فقال له : دعني عنك^(٣) .

١٦ - قال جابر بن عبد الله الأنصاري : ما كنا نعرف المنافقين إلا
ببغض علي بن أبي طالب عليه السلام^(٤) .

١٧ - قال ضرار بن ضمرة الكناني لما طلب منه معاوية أن يصف له
علياً : كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم
عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، ويستوحش
من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان غزير الدمعة ، طويل
الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خشن ،
ومن الطعام ما جشب ، وكان فينا كأحدنا ، يدنينا إذا أتينا ، ويجبينا إذا
سألناه ، ويأتينا إذا دعوانا ، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن والله مع تقريره
إيانا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه هية له ، فإن ابتسم فعن مثل اللؤلؤ

(١) الاستيعاب بهامش الإصابة ٥٣/٣ .

(٢) أعيان الشيعة ٣ ق ٣٦/١ .

(٣) الاستيعاب بهامش الإصابة ٤٥/٣ .

(٤) الاستيعاب بهامش الإصابة ٤٥/٣ .

المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويقرّب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله . وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، قابضاً على لحيته ، يتململ تمللم السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، فكأنني أسمع الآن وهو يقول : يا ربنا ، يا ربنا ، يتضرع إليه ، ثم يقول : يا دنيا غري غيري ، إليّ تعرضت ، أم إليّ تشوقت هيهات هيهات ، قد طلقنتك ثلاثاً لا رجعة فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك كبير ، وعيشك فقير ، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ، ووحشة الطريق .

فبكي معاوية ووكفت دموعه على لحيته ما يملكها ، وجعل ينشفها بكمه ، وقد اختنق القوم بالبكاء ، وقال : رحم الله أبا الحسن وكان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟

قال : حزن من ذبح ولدها بحجرها ، فهي لا ترقأ عبرتها ، ولا يسكن حزنها^(١) .

١٨ - قام القعقاع بن زرارة على قبره فقال : رضوان الله عليك يا أمير المؤمنين ، فوالله لقد كانت حياتك مفتاح الخير ، ولو أن الناس قبلوك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ولكنهم غمطوا النعمة ، وآثروا الدنيا^(٢) .

١٩ - قال الحسن البصري : كان والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه ، ورباني هذه الأمة وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لم يكن بالنومة عن أمر الله ، ولا

(١) صفة الصفوة ١/١٢٢ . تذكرة الخواص ٧٠ . أعيان الشيعة ٣ ق ٢٥/١ .

(٢) تاريخ يعقوبي ١٩١/٢ .

بالملمومة في دين الله ، ولا بالسرقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ففاض منه برياض موفقة ، وذلك علي بن أبي طالب^(١) .

٢٠ - سئل عطاء : أكان في أصحاب محمد أحد أعلم من علي ؟ قال : لا والله لا أعلمه^(٢) .

٢١ - قال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة لسعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص - لما سأله : يا عم لم كان صفو الناس إلى علي ؟ - قال : يا ابن أخي إنّ علياً كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم ، وكان له البسطة في العشيرة والقدم في الإسلام ، والصهر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والفقہ في السنة ، والنجدة في الحرب والجود بالماعون^(٣) .

٢٢ - قال عامر بن عبد الله بن الزبير لابن له ينتقص علياً : يا بني إياك والعودة إلى ذلك ، فإن بني مروان شتموه ستين سنة ، فلم يزد الله بذلك إلّا رفعة ، وإنّ الدين لم يبن شيئاً فهدمته الدنيا ، وإنّ الدنيا لم تبني شيئاً إلّا عاودت علي ما بنت فهدمته^(٤) .

٢٣ - كتب محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة إلى معاوية بن أبي سفيان : فكان أول من أجاب وأتاب وآمن وصدق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب ، صدّقه بالغيب المكتوم ، وأثره على كل حميم ، ووقاه بنفسه كل هول ، وحارب حربه ، وسالم سلمه ، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الليل والنهار ، والخوف والجزع ، حتى برز

(١) العقد الفريد ٢/٢٧١ . الإصابة ٣/٤٧ .

(٢) أسد الغابة ٤/٢٢ .

(٣) تهذيب التهذيب ٧/٣٣٨ . أسد الغابة ٤/٢٢ .

(٤) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣/٥٥ .

سابقاً لا نظير له فيمن اتبعه ، ولا مقارب له في فعله ، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو ، أصدق الناس نية ، وأفضل الناس ذرية ، وخير الناس زوجة وأفضل الناس ابن عم ، وأخوه الشاري بنفسه يوم مؤتة ، وعمه سيد الشهداء يوم أحد ، وأبوه الذاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن حوزته . . فكيف يا لك الويل تعدد نفسك بعلي وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم ووصيه ، وأبوه ولده ، أول الناس له اتباعاً وأقربهم به عهداً ، يخبره بسرّه ، ويطلعه على أمره^(١) .

٢٤ - قال الشعبي : كان علي بن أبي طالب في هذه الأمة مثل المسيح ابن مريم في بني إسرائيل ، أحبه قوم فكفروا في حبه ، وأبغضه قوم فكفروا في بغضه^(٢) .

وقال أيضاً : كان أسخى الناس ، وكان على الخلق الذي يحبه الله : السخاء والجود ، ما قال لا لسان قط^(٣) .

٢٥ - قال عمر بن عبد العزيز : ما علمنا أن أحداً من هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أزهد من علي بن أبي طالب ، وما وضع لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة^(٤) .

٢٦ - خطب معاوية بن يزيد بن معاوية على المنبر فقال : ألا إن جدي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره ، لقربته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعظم فضله وسابقته ، أعظم المهاجرين قدراً ، وأشجعهم قلباً ، وأكثرهم علماً ، وأولهم

(١) مروج الذهب ٤٣/٢ .

(٢) العقد الفريد ٢ - ٢١٦ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٧/١ .

(٤) أسد الغابة ٢٤/٤ . تذكرة الخواص ٦٤ .

إيماناً ، وأشرفهم منزلة ، وأخوه ، زوجه صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمة ، وجعله لها بعلاً باختياره لها ، وجعلها له زوجة باختيارها له ، أبو سبطيه سيدي شباب أهل الجنة ، وأفضل هذه الأمة ، تربية الرسول ، وابني فاطمة البتول ، من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية ، فركب جدي معه ما تعلمون ، وركبتم معه ما لا تجهلون^(١) إلى آخر خطبته عند تنازله .

٢٧ - قال أبو قيس الأودي : أدركت الناس وهم ثلاث طبقات : أهل دين يحبون علياً ، وأهل دنيا يحبون معاوية ، وخوارج^(٢) .

٢٨ - قال ابن شبرمة : ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر سلوني غير علي بن أبي طالب^(٣) .

٢٩ - قال ابن إسحاق : أول ذكر آمن بالله ورسوله علي بن أبي طالب وهو يومئذ ابن عشر سنين^(٤) .

٣٠ - قال صعصعة بن صوحان : الولي التقي ، الجواد الحيي ، الحليم الوفي ، الكريم الخفي ، المانع بسيفه ، الجواد بكفه ، الوري زنده ، الكثير وفده ، الذي هو من ضئضي أشرف أمجاد ليس بأقعد ولا أنكاد ، ليس في أمره ولا في قوله فند ، ليس بالطايش النزق ، ولا بالرايث المذق ، كريم الأبناء ، شريف الآباء ، حسن البلاء ، ثاقب النساء ، مجرب مشهور ، وشجاع مذكور ، زاهد في الدنيا ، راغب في الآخرة^(٥) .

(١) حياة الحيوان الكبرى ٥٧/١ .

(٢) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣ - ٥١ .

(٣) أعيان الشيعة ٣ ق ١٠٣/١ عن نقض الثمانية للأسكافي وشرح نهج البلاغة .

(٤) الاستيعاب بهامش الإصابة ٢١/٣ .

(٥) تذكرة الخواص ٦٩ .

٣١ - قال سفيان بن عيينة : ما بني علي رضي الله عنه لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة^(١) .

٣٢ - قال الأحنف بن قيس لمعاوية : لله در ابن أبي طالب ، لقد جاد من نفسه بما لم تسمع به أنت ولا غيرك^(٢) .

٣٣ - قال خالد بن معمر لمعاوية - لما سأله : على ما أحبيت علياً ؟

قال : على ثلاث خصال : على حلمه إذا غضب ، وعلى صدقه إذا قال ، وعلى عدله إذا حكم^(٣) .

٣٤ - قال له ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري بعد ما بويع عليه السلام بالخلافة : والله يا أمير المؤمنين لئن كانوا تقدموك في الولاية فما تقدموك في الدين ، ولئن كانوا سبقوك أمس لقد لحقتهم اليوم ، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك ، ولا يجهل مكانك ، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون وما احتجت إلى أحد مع علمك .

٣٥ - قال خزيمة بن ثابت الأنصاري - ذو الشهادتين - بعدما بويع عليه السلام بالخلافة : يا أمير المؤمنين ما أصبنا لأمرنا غيرك ، ولا كان المنقلب إلّا إليك ، ولئن صدقنا أنفسنا فيك لآنت أقدم الناس إيماناً ، وأعلم الناس بالله ، وأولى المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لك ما لهم وليس لهم ما لك^(٤) .

(١) الأئمة الإثنا عشر لابن طولون ٥٢ .

(٢) تذكرة الخواص ٦٤ .

(٣) الفصول المهمة ١١١ .

(٤) تاريخ يعقوبي ١٥٥/٢ .

٣٦ - قال مالك الأشتر بعدما بويع عليه السلام بالخلافة : أيها الناس هذا وصي الأوصياء ، ووارث الأنبياء ، العظيم البلاء ، الحسن العناء ، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان ورسوله الخ^(١) .

٣٧ - سئل أنس بن مالك من كان آثر الناس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رأيت ؟

قال : ما رأيت أحداً بمنزلة علي بن أبي طالب ، إنه كان يبعث في جوف الليل إليه فيستخلي به حتى يصبح ؛ هذا كان له عنده حتى فارق الدنيا .

وقال : ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول : يا أنس تحب علياً ؟

قلت : والله يا رسول الله إني لأحبه كحبك إياه .
فقال : أما إنك إن أحبيته أحبك الله ، وإن أبغضته أبغضك الله وإن أبغضك الله أولجك النار^(٢) .

٣٨ - قالت أم سلمة : والله إن علي بن أبي طالب لعلى الحق قبل القوم ، عهداً معهوداً مقضياً^(٣) .

(١) تاريخ يعقوبي ١٥٥/٢ .

(٢) كشف الغمة ١١٨ .

(٣) الكنى والأسماء للدولابي ٨٩/٢ .

وهذه خاتمة حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ،
ما عاش غيره كما عاش ، وما أدرك كماله غير ابن عمه رسول الله صلى الله
عليه وآله حيث ولد في أشرف بقعة بالدنيا «الكعبة المشرفة» ، وكانت حياته
كلها عبادة وطاعة وختم حياته بالشهادة في أفضل وقت وهو يؤدي فريضة
الصبح وفي أشرف مكان بعد الكعبة وهو مسجد الكوفة .

« فسلام عليه يوم ولد ويوم جاهد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً » .

تم بحمد الله وتوفيقه هذا السفر الجليل بجزءه الثالث ، والحاوي
على بعض فضائل ومناقب أعظم رجل عرفه التاريخ بعد الرسول الأكرم
صلى الله عليه وآله وسلم سائلاً من الله العلي القدير والنبى الكريم ومن
الشهيد المظلوم قبل هذا السير .

وأسأله تعالى أن لا يجرمنا حب النبي وأهل بيته الطاهرين وأن يجعلنا
من شيعتهم ومواليهم ولا يفرق بيننا وبينهم طرفة عين في الدنيا والآخرة
وأن يرزقنا زيارتهم عاجلاً وشفاعتهم أجلاً فإنه أرحم الراحمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد
وآله الطيبين الطاهرين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حسين الشاكري

تم الكتاب في يوم الخميس الفاتح من ذو القعدة الحرام ١٤١١ هـ .

تفضل سماحة حجة الإسلام المجاهد المهاجر السيد
عبد الكريم شبر ، بهذا التقرير مرفقاً بالأبيات الشعرية في
تاريخ صدور الجزء الأول سنة ١٤١٠ ، والجزئين الآخرين سنة
١٤١٢ .

فله الشكر مني ومن الله الأجر والثواب .

المؤلف

بسمه تعالى وله الحمد

قدم لي الأديب اللامع المحسن الحاج حسين الشاكري مشكوراً
نسخة من كتابه الكريم الموسوم بذلك الوسام الفاخر (علي في الكتاب
والسنة) وهو أكبر رصيد له في الدارين فأسال الله سبحانه وتعالى أن يفتح
له آفاق العلم والمعرفة أكثر ليتوسع في بحثه المبارك وأسأله جلّت قدرته
أن يوفقه لما يحبه ويرضاه وأن يجعل كتابه مصدراً وحسنةً له في الدنيا
والآخرة وأسأل الله سبحانه أن يجعل الكتاب صدقة جارية لأن الحديث
الشريف (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يستغفر
له أو صدقة جارية أو علم ينتفع به الناس) والمؤلف النبيل لم يحرم من
هذه الثلاثة إن شاء الله فأرجو له مزيداً من الخير والثواب ولجميع
المؤمنين والله الموفق وهو نعم المولى ونعم النصير وقوة بحث الكتاب
وجمال صياغته وسلامة مصادره وسعة باع المؤلف بالعلم والمعرفة كل
ذلك دفعني أن أقول أبياتاً من الشعر علماً أنني لست بشاعر ولكن الكتاب
الكريم شجعني ودفعني فقلت تقديراً ومؤرخاً صدور الجزء الأول منه
(١٤١٠ هجرية في عيد الغدير) الأغر .

بقلوبنا حب الوصي منبته وبالكتاب رب العرش ثبته
ولقد قال النبي مصرحاً علي مع الحق والحق منهجه
من والاه لا يخشى به فشلاً في الدارين وهو مأمنه

وَلَاءُ الْمُرْتَضَى حَصَنٌ لِدَاخِلِهِ	قَالَ الْمَصْطَفَى الرَّحْمَنُ عَيْنُهُ
مَنْ عَادَا عَلِيًّا مَأْوُهُ عَفْنٌ	وَقَدْ طَابَ مَنْ وَالَاهُ مَوْلَاهُ
هُوَ الْجَبَلُ الْمَتِينُ بِاللَّهِ مُتَّصِلًا	وَمَاسِكَ الْحَبْلِ لَا يَخِيبُهُ
هُوَ بَابُ النَّبِيِّ وَعِلْمُهُ	وَطَالِبُ الْعِلْمِ فَهُوَ مِنْهُلُهُ
هُوَ تَاجُ الرَّسُولِ وَسَيْفُهُ	هُوَ الْمَقْدَامُ فِي الْحَرْبِ قَدَمُهُ
هُوَ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمُ قَائِدٍ	وَسَيْفُهُ الْبَتَارُ لِلشَّرِيكِ مَزْقُهُ
عَلَى الْآيَاتِ قَاتِلٌ فِي تَنْزِيلِهَا	وَفَسَّرَ الْقُرْآنَ وَهُوَ مُعْجَمُهُ
هُوَ لِلوُجْدَانِ مَقْيَاسٌ بِهَمَّتِهِ	وَأَخْبَارُ الْفَرِيقَيْنِ جَاءَتْ تَوْيْدُهُ
هُوَ السَّاقِي بِيَوْمِ الْحَشْرِ شِيعَتِهِ	كَرُمَتْ يَدُ السَّاقِي وَسَاغَ مَشْرَبُهُ
وَالشَّكَارِيُّ مُوَفَّقٌ فِي سَعْيِهِ	وَيَحْتَسِبُهُ رَبُّ الْإِنَامِ تَمَنُّهُ
وَقَدْ أَتَى بِالْيَمِينِ تَارِيخَهُ	(وَدَّ عَيْدُ الْغَدِيرِ يُهَنِّئُهُ)

١٢٤٥/٩٤ / ٧١ / سنة ١٤١٠ هـ

وهذا تاريخ صدور الخبرين الآخرين الثاني والثالث سنة

١٤١٢ هـ .

كِتَابُ الْحُسَيْنِ بِرَهَانٍ بِهِي	بَوَضَّحَ الْأَخْبَارَ وَالنَّصَّ الْجَلِيَّ
وَالسَّنَةَ الْبَيْضَاءَ بَيْنَهَا	وُثِّبَتْ بِالْآيَاتِ فَضْلٌ عَلَى
وَبِالْيَمِينِ وَحُذِفَ الْبَاءُ تَارِيخُهُ	لَقَدْ شَكَرَ اللَّهُ سَعْيَ الشَّكَارِيِّ

مجموع المادة ١٠ / ١٤٢٢ حذف الباء

١٤١٢

أقل الطلبة

عبد الكريم شبير

فهرس الموضوعات

٥	الإهداء
٧	تقديم سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن الجواهري
٢٩	المدخل
٣١	علم علي وحكمته
٤٢	بعض أقواله عليه السلام في الحكمة والموعظة
٤٥	وصيته عليه السلام لأبي ذر الغفاري
٥٣	فصاحة علي (ع) وبلاغته
٥٦	الخطبة الشقشقية
٦٢	شذرات من زهده وفصاحته (ع)
٦٧	من خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجب خلق الطاووس
٧٣	من خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلق الخفاش
٧٥	الخطبة الخالية من الألف
٨٠	الخطبة الخالية من النقط
٩٣	فقه علي (ع) وقضائه
١٠٢	فضال علي (ع) ومناقبه
١٠٣	شجاعته ونجدته
١٠٤	كراماته

١٠٦	إخباره بالغيبات
١٠٨	حادثة رد الشمس
١١٤	شعره
١١٧	استجابة دعائه
١٢٠	المؤاخاة بين النبي (ص) وعلي (ع)
١٢٣	تصدق علي (ع) بالخاتم
١٢٩	علي (ع) وآي المباهلة
١٤٠	علي (ع) وآية التطهير
١٤٥	علي (ع) وآية النجوى
١٤٩	علي (ع) وسورة هل آتى
١٥٥	حديث سد الأبواب
١٥٨	علي (ع) ومفاخرة العباس وشيبة
١٦٠	تبليغ علي (ع) سورة البراءة
١٦٤	سقيفة بني ساعدة
١٧١	تجهيز النبي ودفنه
١٧٤	محنة الزهراء بعد أبيها
١٨٢	زواج عليّ (ع) بعد فاطمة عليها السلام
١٨٢	كلام حول أزواج الإمام وأولاده
١٨٥	علي (ع) جليس البيت
١٩٤	أسباب الثورة على عثمان وانهايار خلافته
٢١٨	تجهيز الخليفة ودفنه
٢٢١	صدقات علي (ع) وموقوفاته
٢٢٦	بيعة أمير المؤمنين (ع) وما جرى بعدهما
٢٢٨	مبايعة أمير المؤمنين (ع) بالخلافة

٢٧١	واقعة الجمل الكبرى
٢٧٣	معركة صفين
٢٨٦	الخوارج في واقعة النهروان
٢٩٧	شهادة أمير المؤمنين عليه السلام
٢٩٨	نعيه نفسه قبل مقتله
٢٩٩	سبب قتل أمير المؤمنين عليه السلام
٣٠٦	وصية أمير المؤمنين عليه السلام
٣١٢	قتل ابن ملجم لعنه الله
٣١٢	موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام
٣١٨	تعمير القبر الشريف
٣١٨	العمارة الأولى
٣٢١	العمارة الثانية
٣٢٣	العمارة الثالثة
٣٢٦	العمارة الرابعة
٣٢٧	العمارة الخامسة
٣٢٨	أسوار النجف
٣٢٨	السور الأول
٣٢٩	السور الثاني
٣٢٩	السور الثالث
٣٢٩	السور الرابع
٣٣٠	مؤلفات أمير المؤمنين عليه السلام
٣٣١	الكتب المجموعة من كلامه عليه السلام
٣٣٢	أقوال الصحابة والتابعين في علي عليه السلام
٣٤٤	خاتمة الكتاب

صدر للمؤلف

- ١ - الكبائر من الذنوب - الطبعة الثالثة - وزع مجاناً .
- ٢ - علي في الكتاب والسنة - بأجزائه الثلاثة .
- ٣ - المنتخب من الأدعية والزيارات - للحج والعمرة - .

سيصدر قريباً جداً

- ١ - المتتقى من الكشكول الكامل للعلامة الشيخ بهاء الدين العاملين مع ترجمة حياته ، وتعليقات وهوامش .
- ٢ - النجاة من الذنوب - كتاب أخلاقي تربوي .
- ٣ - الدعاء وأثره في تهذيب النفس .
- ٤ - مذكراتي .
- ٥ - كشكول الشاكري .
- ٦ - وأخيراً وليس آخراً إن شاء الله . . . السلسلة الذهبية - المصطفى والعتره -
 - أ - الحلقة الأولى . . . محمد رسول الله (ص)
 - ب - الحلقة الثانية . . . علي المرتضى (ع)
 - ج - الحلقة الثالثة . . . فاطمة الزهراء (ع)

د- الحلقة الرابعة الحسن المجتبي (ع)

هـ- الحلقة الخامسة . . . الحسين الشهيد بكربلا (ع)

بقية الحلقات تأتي تباعاً إن شاء الله ومن الله استمد العون

والتوفيق .